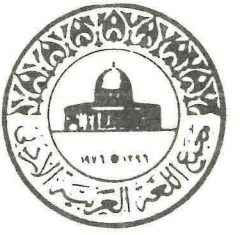

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

هيئة تحرير المجلة :

رئيس التحرير : الأستاذ عبد الكريم خليفة
رئيس المجمع

الأعضاء :

الأستاذ محمود السمرة – نائب رئيس المجمع
الأستاذ سعيد التل
الأستاذ محمود ابراهيم
الأستاذ عبد الرحمن بشناق
الأستاذ قنديل شاكر
الأستاذ عبد المجيد نصير
الأستاذ احسان عباس

الفهرس

أولاً : البحوث

لغة العلم المعاصر، للدكتور ابراهيم مدكور، رئيس مجمع القاهرة ٩
تعريب علوم الطب، للدكتور حسني سبح، رئيس مجمع دمشق ١٣
الصعوبات المفتعلة على درب التعريب، للدكتور جميل الملائكة،
عضو المجمع العلمي العراقي ٢٧
نحو نظام عربي للرموز العلمية، للدكتور أحمد سعيدان،
عضو مجمع اللغة العربية الأردني ٣٩
الذخيرة اللغوية العربية، للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح،
مدير معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر ٤٩
معالم جديدة للمنهج المقارن بين اللغات السامية، جوانب انثروبولوجية
ونفسية واجتماعية للدكتور سمير ستيتية، جامعة اليرموك ٦٣
من مظاهر المعيارية في الصرف العربي، فوزي الشايب، جامعة اليرموك ٧٩
في أيام غسان مع الأحاليف في الشعر الجاهلي،
للدكتور نصرت عبد الرحمن، الجامعة الأردنية ٩٧
تدريس اللغة العربية لأغراض أكاديمية في ضوء الدراسات
الأسلوبية الحديثة، للدكتور مفيق حسن دوشق جامعة اليرموك ١٤٧
تمييز الدقيق من الرقيق، للأستاذ صبحي البصام ١٦٧

ثانيا : مع الكتب

درة القاري، منظومة في ظاءات القرآن الكريم، نظم الحافظ
عبد الرزّاق الرسعني، تحقيق الدكتور عبد الهادي الفضلي ١٨٥
معجم شعراء أساس البلاغة ٢٠١

ثالثاً : تعليقات ومناقشات ومطارحات

القول في الأُذين للدكتور محمد هيثم الخياط ٢٣٣
تساؤلات للأستاذ حسن الكرمي ٢٣٦
استدراك وتعليق على كتاب « حروف الممدود والمقصور »
لابن السكيت ، تحقيق الدكتور حسن الشاذلي ،
للدكتور رياض حسن الخوام ، جامعة أم القرى ٢٣٨
أديب الشام الدكتور شكري فيصل ، للدكتور نسيب نشاوي ، جامعة عنابة ٢٤٢

رابعاً : أخبار مجمعية :

تعريب التعليم العلمي الجامعي ٢٤٩
رسالة دولة رئيس الوزراء ٢٥٠
رسالة دولة رئيس مجلس الأعيان ٢٥١
تعريب المصطلحات العسكرية ٢٥٢
تعليمات دعم التأليف والترجمة والنشر في المجمع ٢٥٢
المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ٢٥٦
ندوة اتحاد المجامع اللغوية القادمة ٢٦٥
المؤتمر السنوي الثاني والخمسون لمجمع القاهرة ٢٦٥
استقبال الدكتور عبد الكريم خليفة في مجمع القاهرة ٢٦٦
الموسم الثقافي الرابع للمجمع لعام ١٩٨٦ م ٢٦٦
وفد اتحاد الجامعات العربية ٢٦٧
مجلة البحوث والدراسات العربية ٢٦٨

اولاً : البحوث

لغة العلم المعاصر

للأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور
رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

المصطلح العلمي أداة البحث ولغة التفاهم بين العلماء، وليس ثمة علم بدون قوالب لفظية تؤديه، ويوم أن ينهض العلم ويخطو إلى الأمام، تنمو مصطلحاته، وتدق ألفاظها، وتتحدد معانيها، وإذا كانت العلوم في سير مطرد، وحركة دائبة، فإن مصطلحاتها لا بد أن تلاحقها وتتابع السير معها، ولا يمكن أن تتحقق نهضة علمية بدون نهضة لغويّة واصطلاحية تسايرها جنباً إلى جنب.

وقد كان للعرب علوم يتعهدونها ويتدارسونها، فأقاموا من أجلها المعامل والمراصد، وتتبعوا الظواهر، وأجروا التجارب، وانتهوا إلى كشوف لم يسبقوا إليها. وكانت لهم لغة علمية متجددة، فلكل علم مصطلحاته، وإذا ما رأوا أن مصطلحاً لا يؤدي معناه أداء كاملاً عدلوا عنه إلى ما هو أدق وأضبط. ولم يبالوا بأن يكون المصطلح عربياً أصيلاً أو مستعرباً دخيلاً، وربما فضلوا اللفظ الأجنبي إذا كان أدخل في المعنى وأكمل في الأداء ولم يفتهم أن يسجلوا مصطلحاتهم في معاجم خاصة وتوافر بذلك للعربية مجموعة قيمة من "المفردات" و"التعريفات" ويكفي أن نشير من بينها إلى "مفاتيح العلوم" للخوارزمي (٩٩٧م)، و"كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي (١٧٤٥م).

ويوم أن ركد البحث العلمي في الإسلام، ركدت لغته معه، فأهملت المعامل ونسيت المصطلحات. ثم جاءت النهضة العلمية العربية الحديثة على فترة، وكأن رجالها الأول – في القرن التاسع عشر – لم يكونوا على علم بماضيهم، ولا صلة بعلومهم ومصطلحاتهم القديمة. فلم يستفيدوا كثيراً من هذا التراث، وأخذوا يؤدون الحقائق العلمية أداء فيه كثير من التعجل والخطأ. وكان على أبناء القرن العشرين

أن يتداركوا هذا النقص ويصلحوا هذا الخطأ. وأريد بالمجمع في القاهرة أن يساهم في ذلك بنصيب، ومن أهم أغراضه أن يجعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بأن يحدد في معاجم، أو مطبوعات خاصة، ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب.

ووضع المصطلح العلمي أمر غير يسير، فهو يتطلب تمكناً من المادة، وفقهاً في اللغة، وإحاطة بالتاريخ، ووقوفاً على النشاط العلمي المعاصر. وللزمن والاستعمال شأنهما في وضوح أي مصطلح واستقراره. ومنذ أن قام "مجمع القاهرة" وهو يولي المصطلحات العلمية كبير عنايته، فقعد القواعد لوضعها، ووجه النظر إلى تاريخها، ويسر السبل للحصول عليها. ودعا الخبراء والمختصين لتسجيل ما استقر رأيهم عليه منها، وناقشه طويلاً في مجلسه ومؤتمره. وما أخذ به قيّده في محاضرة، ونشره في مجلته ليفيد منه القراء في العالم العربي بأسره.

× × × × × × × × × × ×

أصبحنا وفي العلم جديد دون انقطاع، ولم تستحث خطاه قط بقدر ما تستحث اليوم. فالمراكز القومية للبحوث العلمية ينافس بعضها بعضاً. والمعامل والمختبرات تملأ الدنيا وهذه كلها تبحث وتنقب في الأرض والسماء، في البحار وعالم الفضاء ولا يقنع العلماء بالكشف عن حقائق جديدة، بل يحرصون على أن يعبروا عنها، وإلا كتموا علمهم ولم يفد الناس منه. فلغة العلم في سير مطرد وثروة متزايدة، والمعاجم العلمية يلاحق بعضها بعضاً لتدارك ما فات واستكمال ما جدّ.

ولم يكن بد لمجمع اللغة العربية في القاهرة أن يتابع هذا السير، فقد أدت الفصحى قديماً العلم خير أداء، وهي كفيلة بأن تؤديه اليوم في ضبط ودقة. وتكاد المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية تكون الشغل الشاغل للمجمعيين،

يتدارسونها في لجانهم، ويقفون عليها كثيراً في جلساتهم، وكل همهم أن يلائموا بين مقترحات المختصين وأصول اللغة وروحها. وقد سبق للعرب أن اشتقوا ونحتوا، واستعانوا بالمجاز اللفظي لأداء شتى المعاني، ولم يترددوا في أن يعرفوا ويخضعوا المعربات لصيغهم وأوزانهم. ولا تضيق لغتنا ذرعاً بلفظ مهما كان مصدره، ولا بتركيب مهما كانت غرابته.

وقيمة المصطلح في أن يؤخذ به ويشيع بين الناس. وقد درج المجمع على أن يعرض مصطلحاته على مؤتمره، وفيه ممثلون للبلاد العربية، لكي يدلوا برأيهم ويلائموا بين الاستعمالات المختلفة. ويوم أن يستقر رأيهم على مصطلح ينشر ويذاع، ولا ضير في أن يعاد النظر فيه ويعدل إن دعا الأمر. ويلتزم المجمع عادة أن ينشر مع كل مصطلح تعريفه، كي يكون أدنى للفهم وأبين لحكم المختصين، وكم يسعده أن يقف على ملاحظاتهم ويذلل معهم بعض صعابهم.

× × × × × × × × × × ×

إننا نعيش في عصر العلم والتكنولوجيا، وهما معا يمداننا بجديد لا ينقطع، جديد في الآراء والنظريات، وجديد في الأجهزة والمخترعات، وكل تلك في حاجة إلى دوال تؤديها، وألفاظ تعبر عنها، وتسير لغة العلم حثيثة متنوعة، تتنوع بتنوع العلوم والفنون، وتنمو بنمو الموضوعات والبحوث. وليست لغة التكنولوجيا بأقل تجديداً وابتكاراً، فهي تغمرنا بسيل من الألفاظ والأسماء لمستحدثات الحضارة وثمار العلم في الحياة العملية.

وهذان موردان كبيران لنمو اللغات وتطورها، وربما تتبعنا التأليف المعجمي فيها، وجدنا أن مادته في زيادة مطردة في الخمسين سنة الأخيرة، وترجع هذه الزيادة في أغلبها إلى لغة العلم والحضارة.

وفي العالم العربي اليوم نشاط علمي متواصل، يحرص على أن يستعيد مجد الماضي، وينافس في الحاضر، ويسهم باختصار في حركة العلم العالمية. وفيه أيضاً نهضة صناعية وفنية ملحوظة، فيه مناجم ومحاجر، وآبار زيت ومصاف، ومصانع ومولدات للطاقة الكهربية والذرية. ويعنيه أن يعبر عن ذلك كله بلسان عربي مبين.

× × × × × ×

لا نظن أنه قدر للغة العلم قط ذيوع وانتشار مثل ما قدر لها اليوم، وما ذاك إلا ثمرة من ثمار سيادة العلم وسلطانه. ونحن نعيش في عصره ولا شك، ويكاد يفرض نفسه على مظاهر الحياة كلها. فنحس به في الحقل والمنزل، ونخضع له في المصنع والمتجر، ونعيش معه في المدرسة والمعهد. ولا سبيل لنا إلا أن نستخدم ألفاظه ونردد مصطلحاته، إن شئنا أن نفهم ونتفاهم، وننعم بمستحدثات الحضارة والمدنيّة.

تلك ظاهرة لا سبيل إلى إنكارها، وفي كل يوم يغزو العلم ميادين جديدة، ويهدى إلى كشوف ومبتكرات لا عهد لنا بها. وتسير لغته معه أينما سار، فللحياة العامة فيها نصيب، ولها في الفن والأدب شأن واضح، وفي الاقتصاد والسياسة مجال ملحوظ، وعليها تقوم الدراسات العلمية والفلسفية على اختلافها. ولا بد لنا من ملاحقتها في سيرها الحثيث، وربطها باللغة العامة.

× × × × × × ×

وقيمة لغة العلم في أن يلتقي عندها العلماء، وهي لا شك اصطلاح وقد قيل قديما: "لا مشاحة في الاصطلاح" ومن العيب أن نلتقي عند اللفظ الأجنبي ثم نختلف في مقابله العربي. واستقرار الاستعمال وشيوعه وذيوعه يمنح المصطلح العلمي قوة تحقق فيه أسباب البقاء والحياة. والمعجمات العلمية وسيلة ناجعة من

وسائل البحث والدرس وعليها أن تأخذ باللفظ الشائع والاستعمال السائد. وأذكر تجربة فرنسية بدأت في فجر هذا القرن، وحاولت أن تجمع كلمة المختصين على المصطلح الفلسفي وقد اضطلع بها جمع من كبار الفلاسفة الفرنسيين وأخرجت معجم "لالند" الذي لا يزال حُجة حتى الآن. وعلى هيئاتنا العلمية والثقافية أن تفيد من هذه التجربة.

وتعد معجمات متخصصة يقرها المشتغلون بالعلم في كل مادة وتلك رسالة المنظمة العربية للتربية والثقافية والمجامع اللغوية والعلمية، واتحاد المجامع واتحاد الجامعات وبذا نحقق وحدة المصطلح العلمي في العالم العربي جميعه كما حققها أسلافنا في النهضة الإسلامية الكبرى.[1]

(١) ألقي هذا البحث في المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد فى عمان ما بين ٢١-١٩٨٥/٩/٢٥م.

تعريب علوم الطب

للأستاذ الدكتور حسني سبح
رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

لما رغب إلي أن أتحدث في هذا المؤتمر الزاهر*، عن تعريب علوم الطب، أو استعراب الطب كما يحلو لي أن يقال، ترددت حيناً بين القبول والاعتذار، فكان مما يدعوني إلى الاعتذار أن هذا الموضوع قد عولج مراراً في مثل هذا اللقاء، وفي غير مؤتمر وندوة مما عقد في كنف اتحاد الجامعات العربية، ومكتب تنسيق التعريب، واتحاد المجامع العلمية واللغوية، وكان يُتناولُ بتمامه، أو تُتَناوَلُ شعب منه، تحت عناوين شتى كـ(تعريب التعليم العالي وتعريب المصطلحات العلمية وتوحيد المصطلح الطبي ونحو ذلك). وكنت ممن شارك في بعضها، فخشيت إنْ ما عاودت الحديث فيه أن لا يكون لي جديد أطرفكم به، وأن أضطر إلى تكرار بعض ما سلف أن قلته وقاله غيري، فيكون ذلك مدعاة إلى السآمة والملل، ثم حملني على القبول أمور: منها أنه ما اقترح علي الحديث في هذا الموضوع إلا والحاجة إلى ذلك قائمة، ومنها أنّي أصدر في الحديث عن هذه القضية عن معاناة لها وتجربة فيها طويلة، وذلك أني واحد من قلة باقية قدر لهم أن يشهدوا مولد الاستعراب الجديد في مهده: دمشق، وأن يقفوا على مراحل تطوره ونمائه حتى بلغ ما بلغ، كما قدر لي أن أكون ممن أسهم في ذلك ولو إسهاماً متواضعاً أيضاً. ولقد بدأنا أنا وثلة من أترابي دراستنا للطب بالتركية قبيل الحرب العالمية الأولى. وامتد ذلك طوال السنوات الأربع الأول، وختمناها في السنة الخامسة بدراسته بالعربية. ثم كان أن أسند إلي تدريس الأمراض الباطنة وسريرياتها في المعهد الطبي العربي الذي أقيم في دمشق إبان قيام الحكومة العربية الأولى فيها، وهو الذي آل فيما بعد

* المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمّان ما بين ٢١-١٩٨٥/٩/٢٥م.

إلى كلية الطب بالجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) وخبرت أن أدرس الأمراض الباطنة بجميع فروعها عدة عقود سنين وليت خلالها عمادة الكلية ورئاسة الجامعة. وقد اضطرني ذلك إلى أن وضعت بضعة عشر كتاباً في موضوعات الأمراض الباطنة لتكون مراجع لطلبة الطب على اختلاف شعبهم ومستوياتهم، وإلى أن شاركت في وضع ما دعت الحاجة إلى وضعه من مصطلحات.

هذا، وما أراني بحاجة إلى أن أفيض في ذكر تجربة أسلافنا الأقدمين في هذا الباب، وما كان للطب العربي الإسلامي من شأن في نمو هذا العلم وتطوره، فقد أصبح من الحقائق التي لا مراء فيها أن أطباءنا الأقدمين لم يقتصروا على الاطلاع على ما ترجم إليهم من مواريث الأمم الغابرة في هذا العلم بل أعادوا النظر فيما ترجم وعمدوا إلى تنقيحه؛ وتجاوزوا ذلك إلى الإبداع فيه، فنفوا من طب الأوائل ما ثبت عندهم خطؤه، وتداركوا ما كان فيه من نقص، وأضافوا إليه الكثير من الجديد الذي هدتهم إليه بحوثهم وتجاربهم، حتى أصبح الطب عربياً خالصاً وسارت فيه المقولة المشهورة: كان الطب معدوماً فأوجده بقراط، وميتاً فأحياه جالينوس، ومتفرقاً فجمعه الرازي، وناقصاً فأكمله ابن سينا، وبذلك صارت العربية لغة هذا العلم بلا منازع، حتى اضطر طلبة العلم من الغربيين إلى أن يتعلموها ليدرسوا بها الطب وغيره من العلوم. ثم عكف فريق منهم على ما ألفه أعلام الطب المسلمون كالرازي وابن سينا والمجوسي من أطباء المشرق وابن رشد وابن زهر من أطباء الأندلس، وأخذوا يترجمونه إلى اللاتينية لغة الدين والعلم عندهم إذ ذاك، وظل ما ترجموه عماد دراسة الطب فيما أنشئ في إيطاليا وفرنسا من مدارس لتعليمه، وامتد ذلك قروناً. وكان من ذاك أن سَرَى إلى لغة الطب في الغرب كثير من الألفاظ العربية.

وقد كان الطب العربي الإسلامي قميناً بأن يستمر في النمو والتطور لولا أن قُدِّرَ لهذه الأمة أن تمر في أواخر القرن السابع الهجري بفترة ركود حضاري كان

نتيجة حتمية لما دهاها من الأحداث والكوائن العظمى، في طليعة ذلك أن اصطلح عليها في آن زحفان لم يعرف التاريخ أكبر منهما الزحف الصليبي من الغرب يؤازره الزحف المغولي من الشرق، مما اضطرها إلى أن تسخر على مدى قرنين معظم جهودها وطاقاتها لدرء هذا الغزو الذي كان يستهدف أصل وجودها، وما أن تم لها طرد الغزاة حتى فاءت إلى بلهنية امتدت قروناً، على حين كان الغرب يستيقظ من رقدته الطويلة ويستأنف نشاطاً حضارياً جديداً انطلق فيه مما أخذه من الحضارة العربية الإسلامية. وما أن ذرّ قرن عصر النهضة الصناعية في ربوعه في القرن الثامن عشر للميلاد، حتى تمخضت تلك النهضة عن استحداث كثير من الأدوات والآلات التي لم يكن للإنسانية بها عهد، وعن استنباط تقنيات جديدة، مما هيأ الأسباب للكشف عن عالم ظل حتى ذلك الحين محجوباً عن الأبصار، وذلك عالم المجهريات – عالم ما لا يمكن رؤيته إلا بالمجاهر – واستعلنت حقائق من حقائق الحياة والوجود كانت خافية، فكان ذلك بداية طور جديد خلقت فيه العلوم خلقاً جديداً، بدت معه كأنها لا صلة لها بما تقدم في العصور الغابرة، وكانت البداية التي انطلق منها تطور الطب حتى بلغ في أيامنا ما بلغ، أن اكتشف إذ ذاك حقيقة بدن الإنسان وغيره من الأحياء، وأن نُسُجَه مكونة من وحدات صغيرة هي التي تدعى بالخلايا، وأن اكتشفت أيضاً الطفيليات الدنيا المتناهية في الصغر والجراثيم التي هي الأصل في كثير مما يصيب الإنسان وغيره من الأحياء من أمراض.

هذا إلى أن أصحاب الكيمياء تمكنوا في ذلك الحين أيضاً من استحداث مركبات شتى سرعان ما أخذ كثير منها سبيله إلى صناعة الصيدلة فركبت عقاقير طبية كثيرة، كانت أنجع في المداواة من أدوية الطب القديم وهكذا تم استعراب الطب وسائر العلوم.

ولما قيض لأمتنا أن تصحو من غفوتها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري كان لا بد لاستكمال أسباب النهضة أن تضيف إلى ما ورثته من حضارتها السالفة ما استحدثته الحضارة الغربية في باب العلوم والصناعة، وكان قصب السبق في ذلك لأرض الكنانة مصر.

وما أن انتهى أمر الحكم في مصر إلى محمد علي حتّى أنشأ – فيما أنشأ من مرافق– مدرسة لتعليم الطب أقيمت أولاً في أبي زعبل ثم نقلت إلى قصر العيني في القاهرة. واستقدم لها أساتيذ من فرنسا، جاعلاً التدريس فيها بالعربية. ونشطت الترجمة لأمهات كتب الطب، وتتابع إرسال البعثات. وكان لا بد بعد ذلك من إيجاد ألفاظ ومصطلحات طبية عربية سلكوا في سبيلها ما يأخذ به المشتغلون باستعراب الطب اليوم: أحيوا من مصطلح الطب العربي الإسلامي ما رأوه وافياً بالغرض، واجتهدوا في وضع مقابل بالعربية لما جد من مصطلحات، وأما ما لم يهتدوا فيه إلى لفظ عربي مناسب فقد لجأوا فيه إلى التعريب، ولم يمض عقدان من السنين حتى استعرب الطب في جميع أنحاء مصر استعراباً كاملاً وبلغ عدة ما ترجمه وألفه أساتيذ هذه المدرسة ستة وسبعين كتاباً اشتملت على ألوف من المصطلحات وقد امتد هذا الاستعراب زهاء سبعين عاماً، ثم دهيت مصر سنة ١٨٨٢ بالاحتلال الإنجليزي وسيطرة داهية القوم (دنلوب) على التعليم فيها، ففرض تعليم العلوم بالإنكليزية وبذلك حلت الإنكليزية محل العربية في مدرسة قصر العيني وغير اسمها فصارت (كلية الطب) ثم ألحقت بعد بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة اليوم) وظل التدريس فيها بالإنكليزية كما أراد (دنلوب) حتى اليوم.

وقفا أثر هذه الجامعة في ذلك سائر ما أنشئ بعد في مصر من جامعات، مع أن النظام الأساسي لكل منها ينص صراحة على أن لغة التدريس فيها هي العربية مع جواز التدريس بالإنكليزية استثناء، إلا أن واقع الأمر أن هذا الاستثناء أصبح هو الأصل. وأخذت معالم الاستعراب السابق الذي تم على أيدي رجال من أعلام

قصر العيني وغيرهم من معاصريهم تمحي شيئاً فشيئاً حتّى كادت تندثر على رغم الجهود الكبيرة الصادرة التي بذلها رجال مجمع اللغة العربية بالقاهرة والأعمال العظيمة التي قاموا بها بمعونة خبراء من أساتيذ تلك الجامعات لتيسير أمر التعريب وتهيئة أسبابه.

وفي الحين الذي أخذ فيه استعراب الطب ينحسر في مصر بتأثير نظام دنلوب، أتيح للطب أن يستعرب مدة لم تطل في ديار الشام وفي بيروت منها خاصة، وكان ذلك على أيدي طائفة من المبشرين الأمريكيين نزلوا إذ ذاك في بيروت وبعض ما يجاورها من قرى جبل لبنان لينشروا مذهبهم البروتستانتي، وتعلم نفر منهم العربية ليقوموا على ترجمة كتابهم المقدس بعهديه، ترجمة جديدة تحل محل الترجمة القديمة التي لم ترق لهم، حتى إذا أنجزوا تلك الترجمة أنشأوا لنشرها مطبعة ما تزال تعرف بـ(المطبعة الأمريكية) وتلا ذلك أن نشروا ما ترجموا من الكتب المدرسية لمرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي ثم أنشأوا في نطاق ما دعوه إذ ذاك (الكلية السورية الإنجيلية) (جامعة بيروت الأمريكية اليوم) مدرسة لتعليم الطب وجعلوا التعليم فيها بالعربية ودام ذلك نحو اثنتي عشرة سنة، ثم صار التعليم فيها بالإنكليزية. وقد وضعوا خلال هذه الحقبة من الزمن بضعة عشر كتاباً جيداً في شتى علوم الطب، وأفادوا في باب المصطلح من صنيع رجال قصر العيني، إلا أن مصطلحاتهم لم تخل من خلاف لمصطلحات أولئك، مَردُّهُ إلى أن هؤلاء كانوا يستقون من مصادر إنكليزية أمريكية، وأما أولئك فكانوا يستقون من أصول فرنسية، وللسبب نفسه ما وجد نحو هذا الاختلاف بين مصطلحات قصر العيني والمصطلحات التي وضعت في السنين الأخيرة في مصر ذاتها.

ومع أن هؤلاء الأميركيين إنما كانوا يرمون إلى أغراض تبشيرية تشوبها مطامع استعمارية فقد أفاد صنيعهم في رفع المستوى العلمي والطبي والصحي في ديار الشام عما كانت عليه الحال في سائر الولايات العثمانية.

والطريف في أمر هذه المدرسة الأمريكية، أن العربية فيها لم تقتصر على التدريس بها فحسب، بل شملت شؤون الإدارة والأمور القرطاسية الأخرى حتى إن الدولة العثمانية تساهلت معها في بادئ الأمر بقبولها العربية أيضاً في أداء امتحانات الخريجين في إستانبول من أجل منح الترخيص في حق ممارسة المهنة في البلاد العثمانية- لأن شهادة المدرسة وحدها لا تكفي لذلك- وعدلت الدولة عن العربية بأُخرة ولم تقبل أداء الامتحانات إلا بالتركية أو الفرنسية.

أما وقد أتيت على ذكر إستانبول، ليبدو لزاماً علي وأنا في صدد الإلمام بتاريخ استعراب الطب- أن أعرج على دار الخلافة، لآتي على ذكر تجربة سبق أن ألمعت إليها في بعض أحاديثي السالفة، وهي تجربة الدولة العثمانية في تتريك الطب، وذلك لأمرين: أحدهما أنها تضرب مثلاً بطولياً في إنفاذ الإرادة القومية نحواً من المثل البطولي الذي يضربه صنع رجال القصر العيني، والآخر أن حركة الاستعراب الأخير أفادت من هذه التجربة من الوجه الذي سأذكره.

كانت البدايات التي مهدت لهذه التجربة في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي عندما حاول السلطان محمود الثاني أن يدخل الإصلاح بالاعتماد على النسق الأوربي في أجهزة الدولة ومؤسساتها وأن ينهض بها بعدما بلغت من الضعف أن كانت تدعى في المحافل الدولية بـ(الرجل المريض) وكان من ذلك تأسيس مدرسة الطب على غرار المدارس الفرنسية فاستقدم من أجل هذا أساتيذ أجانب من أوروبا. وكان في عاصمة الخلافة مدرسة للطب تسير على النمط الأجنبي يدرس الطب فيها بالإيطالية، وعهد إلى أولئك بالتدريس باللغة الفرنسية معلناً في كلمته التاريخية في حفل التدشين سنة ١٨٣٩ ما معناه: ليس بوسعنا أن نجعل التدريس بالتركية الآن وإني أعدكم بأن يتم هذا في القريب العاجل.

ولم يتح لهذه الإرادة السنية – كما يقولون- أن تتم في حياته، وتحققت في أيام خلفه السلطان عبدالمجيد بعد إحدى وثلاثين سنة وأربعة شهور وخمسة عشر

يوماً (كما جاء في إحدى المجلات الطبية) والسبب في ذلك المعارضة الشديدة للأساتيذ الأجانب، إذ كانوا من دول مختلفة بينهم النمسوي والفرنسي والإيطالي والإنكليزي ومعهم أساتيذ من الروم والأرمن من رعايا الدولة العلية كما كان يطلق عليها ولم يكن فيهم من الأتراك إلا اثنان فقط.

أسخطت الحال الرأي العام، وكان في طليعة الساخطين طلبة الطب أنفسهم ولم يدعوا أن يبينوا عن هذا السخط في أية مناسبة، وعن رغبتهم في أن يكون التدريس بالتركية مما دعا الصحافة – التركية المناصرة لهم أن تنعتهم بـ(الطلاب المجاهدين) ولقيت دعوتهم قبولاً لدى رجال الحكم وعلى رأسهم المدعو أسعد باشا رئيس ما يسمى بالشورى العسكرية، فقد استدعى هذا، ثلاثة من كبار هيئة التدريس الأجانب وسألهم: أي الأمرين أجدى وأعود بالنفع على الأمة، التدريس بلغة أجنبية أم التدريس بلغتنا القومية؟ فلم يسعهم إلا أن يجيبوا بأن التدريس بالتركية أجدى فائدة. وكان إقرارهم هذا، سنداً قوياً للقضية، وانتصرت إرادة الأمة، وشرع بالإعداد للأمر عدته، وألفت جمعية طبية تضم كبار الأطباء عرفت بـ(الجمعية الطبية العثمانية) من أهم مهامها وضع مصطلحات طبية من أجل تدريس الطب بالتركية.

بدأ تتريك تعليم الطب من السنة الخامسة (وهي الأولى بترتيبنا اليوم) واستغرق خَمْسَ سنوات، وكان من اهتمام السلطان عبدالمجيد بشأنه حضوره بالذات امتحانات التخرج.

وكان تتريك الطب في الحقيقة شبه استعراب له وممهداً للاستعراب الكامل، إذ كان نحو ٩٠ في المئة من مصطلحاته ألفاظاً عربية. ومما مهّد للاستعراب الأخير عمل آخر أقدمت عليه الدولة العثمانية أيضاً في أوائل هذا القرن، وذلك أن إنشاء المبشرين البروتستانت الأميركيين سنة ١٨٨٦ مدرستهم التي سلف الحديث عنها في بيروت، حفز منافسيهم المبشرين الكاثوليك على أن ينشئوا سنة ١٨٨٢م مدرسة

أخرى للطب فرنسية باسم (جامعة القديس يوسف) وبقيام هاتين المدرستين أصبحت بيروت المرجع الطبي المنظور إليه لا في بلاد الشام وحدها، بل في أكثر بلاد الشرق الأدنى أيضاً، فحمل ذلك الدولة العثمانية سنة ١٩٠٣م على أن انشأت مدرسة للطب في دمشق، لتنافس تلكما المدرستين من جهة، ولسد حاجة البلاد إلى أطباء وصيادلة من جهة أخرى. وما أن اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م وخاضت الدولة العثمانية غمارها حتى جندت هيئة التدريس وأكثر طلابها، وأغلقت أبوابها ثم أعيد افتتاحها سنة ١٩١٦ بعد إلحاقها ولكن في بيروت وفي مباني جامعة القديس يوسف اليسوعية، وكانت الدولة قد صادرتها، واستمرت هذه المدرسة قائمة إلى أن انتهى الحكم العثماني في أواخر ١٩١٨م وقد تخرج منها خلال ١٥ سنة ٢٤٠ طبيباً و ٢٨٩ صيدلانياً جلهم من الشاميين، وأما القلة الباقية فكانوا من الترك والأرمن.

في خريف عام ١٩١٨ تحررت دمشق مع غيرها من بلاد الشام، من الحكم العثماني، بحلول الجيش العربي (جيش الثورة العربية الكبرى) فيها بقيادة المغفور له الأمير فيصل بن الحسين (الملك فيصل الأول فيما بعد) صبيحة احتلال الجيش البريطاني لسورية بأكملها من الجنوب إلى الشمال ومن الساحل إلى الداخل، وأطلق على هذه البلاد وقتئذ اسم (بلاد العدو المحتلة) وأخضعت للحكم العسكري وكان من نصيب دمشق توليه الحكم العسكري فيها للفريق رضا باشا الركابي، ابن دمشق البار، بلقب (الحاكم العسكري العام) مع منحه سلطة تشبه ما يعرف اليوم بالحكم الذاتي.

وما أن رأى الناس الراية العربية المربعة الألوان ترفرف في السماء حتى تنفسوا الصعداء عمت الفرحة ودب الحماس فيهم بما يصعب وصفه، وسرعان ما هرع الكل إلى تأييد الحكم العربي القائم وشد أزره، لا سيما وكانت الحكومة ممثلة فيه كل البلاد العربية التي انفصلت عن الدولة العثمانية، وشرع بالاستعراب ونبذ

كل ما ليس عربياً من ألفاظ ومُسَمّيات درجت على الألسن، وبخاصة فيما يتعلق بدوائر الحكومة والمصالح العامة، وفي مقدمتها لغة التدريس في المرحلتين الابتدائية والثانوية، وتهيئة ما يحتاج إليه التدريس من كتب عربية، تم ذلك بسرعة عجيبة وسع ما بذل من اهتمام بلا كلال ولا ملل.

بين الصحف والمجلات التي ظهرت في مطلع عام ١٩١٩، مجلة أسبوعية أصدرتها مديرية الصحة العامة، لا يتجاوز عدد صفحاتها في بادئ الأمر الثمانية وأصبح بعد قليل ست عشرة صفحة تعنى بالأصل بالشؤون الصحية، نشر فيها المرحوم الدكتور حكمة المرادي سلسلة من المقالات بعنوان (اللغة العربية والطب) صحح فيها الكثير من الأخطاء الشائعة بين جمهور الأطباء من ألفاظ ومصطلحات طبية أخذت عن التركية (وذلك قبيل افتتاح مدرسة الطب) واستمر في النشر بعده، مما كان له الأثر الحسن وعد أول خطوة في الاستعراب. وكان الحدث العظيم في مطلع السنة ذاتها، إعادة افتتاح مدرسة الطب بدمشق، لتخلف مدرسة الطب العثمانية السابقة. أقيم حفل الافتتاح يوم ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩١٩ في إحدى باحات المستشفى الحميدي (مستشفى الغرباء كما يعرف به أيضاً) شهده جمع غفير من رجال الحكم والعلم والثقافة وناب في رعايته عن الحاكم العسكري العام، مساعده اللواء ياسين باشا الهاشمي العراقي الانتماء وألقيت الخطب الحماسية مشيدة في شأن هذه الخطوة المباركة، ولم يمض على هذا الحفل إلا أشهر معدودة حتى تلته مأثرة ثانية للحاكم العسكري العام بأن أقر تأسيس المجمع العلمي العربي، ثم افتتاح مدرسة للحقوق بدمشق أيضاً لتخلف مدرسة الحقوق العثمانية التي كانت قائمة في بيروت قبل إعلان الحرب العالمية. وبعد شهرين تفضل الأمير فيصل بزيارة المدرسة مبدياً سروره وإعجابه بما تم.

تولى التدريس في مدرسة الطب العربية (هكذا كان اسمها ثم سميت بالمعهد الطبي العربي من الجامعة السورية وأخيرا كلية الطب من جامعة دمشق) تولى

التدريس فيها معلمون عرب من ذوي الاختصاص في شعب الطب والصيدلة، بينهم أستاذ سابق في مدرسة الطب العثمانية في إستانبول الأستانة وجلهم من مساعدي الأساتيذ الأتراك في مدرسة الطب العثمانية بدمشق وإلى جانبهم بعض كبار الأطباء العسكريين المتخصصين في الجيش العثماني ثم الجيش العربي وكلهم ممن درس الطب بالتركية، إلا أستاذاً واحداً كان من خريجي كلية الطب اليسوعية في بيروت التحق بالثورة العربية الكبرى وهو ضابط في الجيش العثماني كان مما يجيدون العربية.

لم يكن هؤلاء الأساتيذ على مستوى واحد من معرفة اللغة العربية من بينهم المجلون ويعدون بحق رواد الاستعراب في الشام وهم الأطباء جميل الخاني وأحمد حمدي الخياط ومرشد خاصر والصيدلي عبدالوهاب الشواتي ولم يلبث غيرهم أن بادر إلى تعلم الفصحى وإتقانها حتى بَذّ التقيد بها التدريس في المعهد الطبي الكليات غير العلمية بشهادة أحد المستشرقين الذين زاروا دمشق.

وفي صيف ١٩٢٠ احتل الجيش الفرنسي البلاد فقضى على الحكومة العربية القائمة بعد أن سبق إعلان استقلال سورية في ربيع العام نفسه مع البيعة للمغفور له فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً عليها بحدودها الطبيعية، ونجم عن هذا الاحتلال بعض التغيير في كيان مدرسة الطب العربية، بعد أن انسحب من هيئة التدريس فيها عدد من أعضائها منهم من هو على صلة وثيقة بالعهد السابق الذي أبى رجاله الإذعان لإنذار العدو، ومنهم من عرف عنه الارتباط باللجنة الوطنية العليا التي قادت الأمة في جهاد العدو المغتصب، وحل محلهم من يدانيهم في الكفاية من أطباء وصيادلة.

وبعد أن توطد الأمر للعدو المحتل، وكان لا بد له من التدخل في شؤون المدرسة، فرض أتباع النظام الفرنسي في برامجها دون غيره، وضم إلى هيئة التدريس ثلاثة من الفرنسيين. وعلى رغم ذلك تابعت حركة الاستعراب مسيرها ولم

يثنها عن المتابعة عائق، وكل ما هنالك أن الأساتيذ الفرنسيين كانوا يلقون دروسهم السريرية (وهي الدروس العملية التي تلقى حول سرير المريض) بالفرنسية ويقوم بترجمتها إلى العربية أحد المساعدين، ثم استغنى عن الترجمة عندما تقدمت معرفة الطلاب بالفرنسية وصاروا قادرين على فهم ما يلقى بها.

وفي سنة ١٩٢٣ أحدثت إدارة الجامعة السورية (جامعة دمشق) لتضم معهدي الطب والحقوق والمجمع العلمي العربي، إلا أن المجمع لم يلبث أن انفصل عن الجامعة متمتعاً باستقلاله الخاص مع مثابرته على رعاية الاستعراب في شتى المؤسسات.

وفي سنة ١٩٢٤ بدأ المعهد الطبي العربي بإصدار مجلة شهرية تحمل اسمه (مجلة المعهد الطبي العربي) ترأس تحريرها الأستاذ مرشد خاطر وعاشت اثنين وعشرين عاماً (١٩٢٤-١٩٤٦) وقد أسهمت هذه المجلة إسهاماً كبيراً في ازدهار المعهد وتقدمه من الناحيتين العلمية واللغوية: فمن الناحية العلميّة أخذت تنشر البحوث العلمية الأصيلة التي كان يقوم بها أعضاء هيئة التدريس ويتناول معظمها دراسات عن الأمراض القرئية (المستوطنة) في القطر من أقصاه إلى أقصاه، إلى جانب مقتبسات من الصحافة الطبية الأجنبية عن كل جديد في عالم الطب. ومن الناحية اللغوية فقد أفاد منها استعراب علوم الطب فائدة لا تثمن، فعلى صفحاتها عرض على بساط البحث الألفاظ والمصطلحات المتداولة في التعليم لتكون موضع دراسة وتمحيص ونقاش لا من قبل الأطباء الأخصائيين واللغويين في القطر وحده، بل شاطرهم هذا نظراؤهم من الأقطار العربية الأخرى مما مكن من اختبار الأصلح منها.

على هذه الوتيرة سار تعريب علوم الطب والمعهد الطبي العربي ماض على الدرب حتى في عهد الانتداب الفرنسي على رغم العراقيل التي كانت تُوضع في سبيله خفية.

تبدلت الحال بعد جلاء الأجنبي عن البلاد، وما أن نعم القطر بالاستقلال التام حتى صار عدد أعضاء هيئة التدريس أضعاف ما كان عليه من قبل، لكثرة ما أحدث من فروع وشعب جديدة، ولتعدّد البعثات إلى الجامعات الأجنبية من شرقية وغربية. وكان ذلك مدعاة إلى تعدد ما يقترح في مقابل المصطلح الواحد، مما حمل معهد دمشق على تأهيل لجنة باسم (لجنة المصطلحات الطبية) قوامها الأساتيذ مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط وصلاح الدين الكواكبي لترجمة معجم كليرفيل الفرنسي الكثير اللغات إلى العربية، وقد صدرت الترجمة المذكورة عام ١٩٥٦م مشتملة على بضعة عشر ألف مصطلح، واعتمدت رسمياً لتكون مرجعاً وحيداً في هذا الشأن.

عُدّ صدور هذا المعجم في حينه خطوة جديدة لتعزيز تعريب علوم الطب وفي سبيل توحيد المصطلحات في القطر، والحد من تعدد المترادفات في الكثير منها، وفسح ظهوره المجال أمام النقاش والنقد وإبداء الرأي فيما اشتمل عليه.

نقدت هذا المعجم بنشر سلسلة من المقالات في مجلة المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية بدمشق بعنوان (نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات) بلغت عدتها ستاً وسبعين مقالة نشرت على اثنين وعشرين عاماً من المفيد أن أنقل إليكم ما قلت في خاتمتها: "لست أدعي أني جئت فيما عرضت له بالقول الفصل، أكبر ظني أني لو أتيح لي معاودة النظر في هذا الذي كتبت لزدت أشياء، وغيرت أشياء واستدركت أشياء، إلا أني أرجو أن أكون بما صنعت قد أسهمت ولو إسهاماً ضئيلاً في وضع مصطلحات الطب، وأن أكون ذللت بعض المصاعب، لأن الطريق طويل، والحاجة إلى متابعة العمل وتضافر الجهود فيه ستظل قائمة ما دام العلم في تطور ونمو".

وثمة خطوة أخرى حاولت جامعة دمشق أن تخطوها، ولكن لما يكتب لها تمام التنفيذ. وذلك أنه أقدم أستاذان من رواد استعراب الطب فيها، وهما الدكتوران:

أحمد حمدي الخياط، ومرشد خاطر على وضع معجم فرنسي عربي موسع، شرحا فيه المواد شرحاً وافياً، وجاء في ثلاثة أسفار، ثم لم يتيسر لهما نشره. ومضت سنوات توفي خلالها أحد واضعيه: الدكتور مرشد خاطر ثم قررت وزارة التعليم العالي تقديراً منها لهذا العمل الثمين أن تطبعه على نفقتها بمناسبة احتفال كلية الطب بعيدها الذهبي (مرور خمسين عاماً على تأسيسها) فعهد الأستاذ أحمد حمدي الخياط إلى نجله النجيب الدكتور محمد هيثم الخياط (وهو سرّ أبيه حقاً) أن يعيد النظر في هذا المعجم وأن يتسع في ذلك ويضيف إليه ما جد في بابه. وأن يراعي ما نقد به المعجم السابق (معجم كليرفيل الكثير اللغات) ولا سيما مقالاتي التي تقدم ذكرها، وما تتفق عليها الكلمة في المعجم الطبي الموحد – وكان قيد الإعداد– وأن يذكر إلى جانب الألفاظ الفرنسية ما يقابلها بالإنكليزية أيضاً. وأن يلحق به سفراً رابعاً يشتمل على مسردين للألفاظ أحدهما عربي والآخر إنكليزي – لإتمام الفائدة.

وصدر السفر الأول من هذا المعجم (معجم العلوم الطبية) سنة ١٩٧٤ وهو يتضمن المواد من حرف A إلى E ويقع في ٦٠٤ ص في كل منها ثلاثة أعمدة. وقد ضبطت فيه الألفاظ العربية بالشكل. إلا أن الدكتور هيثم اضطر – بعد وفاة والده رحمه الله – إلى التريث في متابعة العمل حتى يفرغ من الطبعة الثالثة من المعجم الطبي الموحد الذي سيأتي خبره ولعله منجز ما وعد به قريباً إن شاء الله.

وهناك معجم آخر نشر في دمشق أيضاً سنة ١٩٧٠م وأنفقت نقابة أطباء الأسنان فيها على طباعته، وقد وضعه الدكتور ميشيل خوري الأستاذ السابق في كلية طب الأسنان وأحد أعضاء مجمعنا الراحلين، واسمه "معجم مصطلحات تعويض الأسنان"– إنكليزي – عربي– إفرنسي" وقد ضبطت مواده بالشكل، وشرحت بالعربية أيضاً. ولعل هذا المعجم هو المعجم الوحيد في بابه حتى يومنا هذا.

وعلى غرار ما جرت كلية الطب بجامعة دمشق جرت مختلف كليات الطب التي أنشئت في سائر المدن السورية.

هذا، وقد قادني إلى الحديث عن هذه المعاجم التي ظهرت في دمشق أني في صدد الحديث عن الاستعراب الجديد الذي تم فيها. وأما من حيث التاريخ فكما كانت مصر مهد التجربة الأولى في استعراب الطب كانت السابقة إلى وضع المعجمات الطبية لتعزيز الترجمة إلى العربية أيضاً. ولعل أول معجم هو المعجم الذي ترجمه عن الفرنسية الدكتور محمود رشدي البقلي من أطباء قصر العيني، ونشره في باريس سنة ١٨٧٠ ثم كان المعجم الذي وضعه ونشره في أوائل القرن الدكتور محمد شرف باسم (معجم إنكليزي عربي في العلوم الطبية والطبيعية) وهو يعد بحق أبا المعجمات الطبية العربية، وسيظل عمله شامخاً في تاريخ استعراب الطب الحديث.

وبمناسبة احتفال مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالعيد الخمسيني لتأسيسه، فقد نشر في العام الماضي الجزء الأول من معجمه (معجم المصطلحات الطبية) من وضع لجنة المصطلحات الطبية فيه، وبإشراف مقررها الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم، اقتصر هذا الجزء على مواد من حرف A إلى C، مع تعريف واف لها، والمأمول أن يتوالى صدور الأجزاء الباقية بسرعة، لأن المجمع سبق له أن أورد معظمها في نطاق ما يصدره سنوياً من (مجموعة المصطلحات العلمية والفنية).

وأسهم المجمع العلمي العراقي في الإعداد لتعريب علوم الطب، بنشره عدة مجموعات من مصطلحات علوم الطب على اختلاف أنواعها، يرجى عند إتمامها أن تكون معجماً طبياً عربياً كاملاً، كما ولمجمع بغداد الفضل أيضاً في المساعدة الخيرة التي تكرم بها في إسهام نائب رئيسه الأستاذ الدكتور محمود الجليلي بترؤس تحرير الطبعتين الأولى والثانية من (المعجم الطبي الموحد) تلبية لاتحاد الأطباء العرب وسيأتي ذكر طبعته الثالثة.

وثمة كبير الأمل في أن يسهم مجمعنا هذا النشيط (مجمع اللغة العربية الأردني) الذي نلتقي اليوم في رحابه (بضمه إلى سلسلة المترجمات العلمية القيمة التي اضطلع بنشرها منذ سنين، مترجمات طيبة مماثلة في الإسهام والتوطئة لاستعراب الطب في هذا القطر العزيز.

وبين منشورات تذكار العيد المئوي لتأسيس الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٦٦ صدر قاموس حتّي الطبي إنكليزي عربي لمؤلفه الصديق الدكتور يوسف حتي الأستاذ الأسبق للأمراض الباطنة وعلم التشريح في الجامعة المذكورة، لا تقل مواده عن ٥٠ ألفاً استقى مصطلحاته الطبية من شتى المراجع قديمها وحديثها، ضمها ٧٥٨ صفحة على عمودين بالإضافة إلى ما أورد في آخر المعجم بعنوان (فهرس القاموس للألفاظ العربية ومعانيها الإنكليزية) جاء في ١٠٦ صفحات على ٣ أعمدة. وإن في إعادة طباعته أربع مرات خلال السنين الماضية لدليلاً على ما لقيه هذا المعجم من رواج وما يستحقه من تقدير.

وخاتمة المطاف ومسك الختام في مجموعة المعجمات الكاملة الصادرة حتى اليوم، صدور الطبعة الثالثة من (المعجم الطبي الموحد) قبل سنتين برعاية مشتركة بين كل من مجلس وزراء الصحة العرب ومنظمة الصحة العالمية واتحاد الأطباء العرب، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (وبدعم مادي خير تشكر عليه) بعد أن عكف على تحضيره طوال عدة سنين لجنة قوامها أحد عشر عضواً من الأساتيذ الأطباء المجمعيين والجامعيين من سبعة أقطار عربية، بذت هذه الطبعة الأخيرة سابقيتها بأن أصبح المعجم فيها ثلاثي اللغة (إنكليزي – عربي– فرنسي) مع تنقيح في بعض ما سبق من مواد وزيادة فيها، (إذ أصبح عدد مواده زهاء ٤٠ ألفاً) وامتازت بأن اشتمل مجلدها الأنيق على ٧٦٠ صفحة من المتن، تلاها ١٦ صفحة للوحات إيضاحية و ١٠٠ صفحة لمسرد عربي إنكليزي على ثلاثة أعمدة، تمت الطباعة الجيدة

في سويسرة وبعناية الزميل النشيط مقرر اللجنة الأستاذ الجامعي والمجمعي الدكتور محمد هيثم الخياط وجهوده.

والنية معقودة على أن تعيد اللجنة النظر فيه – أمر لا بد منه– لإضافة ما فات اللجنة إضافته وما استجد منذ سنوات، وبأخرة، للبحث في تحضير نسخة من المعجم بترتيب فرنسي عربي إنكليزي تلبية للرغبة وإتماماً للفائدة.

هذا بإيجاز، ما تم التوصل إليه على حد علمي– في قضية استعراب علوم الطب ومما لا شك فيه أنها لإحدى قضايانا المصيرية الكبرى التي لا تحتمل أدنى تهاون. ولن يكون لنا وجود متميز تتجلى فيه أصالتنا الخاصة ويهيئ لنوابغنا أسباب الإبداع، إلا إذا كان للغتنا القومية الهيمنة في جميع مجالات حياتنا وفي طليعتها العلم والتعليم على مختلف مستوياته. وإنما قصصت فيما سلف تجارب أسلافنا التي تقدم أمثلة بطولية في هذا الباب، ثم تجربة الجامعة السورية، (جامعة دمشق) التي ما تزال قائمة مستمرة لأبين أن صحة النية وصدق العزيمة في السعي إلى تحقيق الأماني والمطامح القومية كفيلات بتذليل أقسى العقبات، وألححت على قضية المصطلح لأن هذه القضية في طليعة ما يتعلل به الزاهدون في التعريب والمشككون في الاقتدار على المضي فيه، على حين أن قضية المصطلح – من حيث هو ألفاظ يعبر بها عن مسميات ومعان مفردة– ليست بصميم المشكلة، بل قد تكون– على مالها من شأن– أهون جوانبها، **وإنما صميم المشكلة هو الاقتدار على وعي المعاني العلمية وتصورها ثم الإبانة عنها**، ولن يتم حلها وتذليل صعابها إلا بالتصميم على ذلك والشروع فيه وإن اضطررنا – ولو إلى حين– إلى استعمال المصطلحات الأجنبية بلفظها الأجنبي. هذا مع أن الأعمال التي قامت بها في هذا الباب مجامعنا العلمية واللغوية– وفي طليعتها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومكتب تنسيق التعريب والجامعات التي تدرس بعض العلوم بالعربية– تقدم قاعدة صالحة لتعميم تعريب العلوم. ولئن كنا لما نصل إلى

توحيد ما وضع من مصطلحات توحيداً كاملاً، فإنّ هذا لا بد من مثله في بدايات كل عمل، بل قد يكون مما لا بد من بقاء جانب منه، ولا سيما في أمة كأمتنا تتساحُ في رقعة من الأرض غاية من الاتساع. وما أظن أمة من الأمم الكبرى تخلو من معاناة مثل هذه المشكلة أو ما يشبهها.

ومما لا يسعني إلا أن اذكره أن على الحكومات العربية أن تولى لغتها القومية مزيداً من العناية في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي حتى يحذق الطلبة أصولها وطرائق التعبير فيها، وينمو زادهم من ألفاظها، ويصبحوا قادرين على التعبير بها عن مختلف المعاني بيسر وسهولة، وأن تعنى بتنمية الدراسات اللغوية على أصول صحيحة وإذا ما تم لنا ذلك– ولا بد أن يتم إن شاء الله– فلن تكون قضية استعراب العلوم بالمشكلة المستعصية. وما أظن أحداً من أولى النظر– وإن كان ممن لا يرون التعريب– إلا منطوياً في غيب نفسه على الاعتراف بصدق هذا الذي ذكرت. إن قضية التعريب أمانة في عنق كل منا وما علينا بعد، إلا أن نخلص النية ونصدق في العمل ليتم لنا ما نطمح إليه. اللهم قد بلغت فاشهد.

الصعوبات المفتعلة على درب التعريب

للأستاذ الدكتور جميل الملائكة
أستاذ الهندسة المدنية بجامعة بغداد
(عضو المجمع العلمي العراقي)

نفرض ابتداء أن حتمية التعريب أمر مفروغ منه، وأن في العودة إلى الكلام عليه تكراراً مملاً نحن في غنى عنه. ومن ثمّ فمن أولى المشكلات أنه ما زال بين المثقفين أناس يتخوفون من التعريب، أو هم لا يؤمنون بقضيته، فيختلقون في سبيله العقبات ويفتعلون أمامه الصعوبات.

هل ننتظر إكمال المصطلحات قبل البدء بالتعريب؟

فمن ذلك ما يجري الكلام عليه بين حين وآخر من عدم توافر المصطلحات العلمية الكافية لسدّ حاجة التعريب، والقول بأن سعة المواد العلمية، وسرعة نموها في هذا العصر، مما يستلزم أضعاف ما أعدّته وتُعدّه المجامع والهيئات المختصة من هذه الألفاظ العلمية. إن هذه النظرة إلى الموضوع هي خاطئة في الأساس. فليس المفروض أن يجد أهل العلم عند المجامع والهيئات المعنيّة بالتعريب مصطلحاً جاهزاً لكل فكرة علمية دقيقة أو كشف علمي جديد. وإنما يضَع العلماء، هم أنفُسهم، اللفظ العلمي، وهم يستعينون أهل اللغة في ذلك كلما دعت الحاجة إليه. ولو لم يكن الأمر كذلك لتأخرت مسيرة العلم في العالم المتقدم كثيراً. ومثل هذا فعل أسلافنا عندما نقلوا إلى العربية علوم اليونان والهند إبّان ازدهار الحركة العلمية والحضارة في العالم العربي القديم. فهم لم ينتظروا حتى تزوِّدَهم هيئات علمية ولغوية بالألفاظ التي استعملوها في لغة العلم. ومثال ذلك أنهم وضعوا لفظ (الجبر) لهذا العلم الذي ابتكروه، واختاروا لفظ المنطق ليقابل اللفظ اليوناني Logikos، وآلافاً من الألفاظ العلمية من هذا القبيل. وفي هذا العصر الذي سِمَتُه السرعة، لا يمكن أيضاً لأصحاب الأبحاث العلمية المتزايدة، والفكرات المتطورة، والكشوف المتجددة يوماً بعد

يوم في العالم المتقدم، أن ينتظروا كل مرة ريثما تجتمع المجامع والهيئات لتضع لهم لفظاً علمياً أو تُقرّه للاستعمال.

لا يصبح اللفظ مصطلحاً إلّا بعد تداوله:

إن وقفة بسيطة على المراد بكلمة (مصطلح) يمكن أن تدلَّ على الكثير في هذا الشأن. فاللفظ الذي يضعه فرد أو هيئة لدلالة علمية أو حضارية معينة لا يمكن أن يُصبح (مصطلحاً) إلّا بعد أن (يَصطلحَ) ويتواضعَ عليه المشتغلون بذلك العلم أو المعنيون بذلك الجانب من الحضارة. أما قبل ذلك فهو لا يعدو كونَه لفظاً مقترحاً دعت إليه الحاجة الآنيّة للتعبير عن فكرة علمية أو حضارية. ومن ثم فلن يمكننا الحصول على أي مصطلح، بالمعنى الحقيقي، إلّا بعد وضع اللفظ المقترح في حيِّز (الاستعمال). أي أن (التعريب) هو الذي يصنع لنا المصطلحات، وليس العكسُ، ولا بدّ لنا من أن نَدخل في مجال تعريب العلم لنحصلَ على مصطلحاته. إنّ حُجّة القائلين بالتريث في التعريب ريثما تكتمل المصطلحات متهافتة أساساً فهي تنقض نفسها بنفسها.

التعريب هو الذي يُفضي بالمصطلحات إلى التوحيد:

ويُفضي بنا هذا الحديث إلى أولاء الذين يقولون بالتريث في التعريب ريثما يتمّ (توحيد) المصطلحات. ولكنْ أيُّ مصطلحات توحَّد إذا لم تدخل الألفاظ المقترحة مجال الاستعمال؟ وأنّى يجري التوحيد إذا لم يتنادَ العلماء لتبادل الرأي في الألفاظ العلمية العربية التي استعملوها في تدريساتهم وفيما ينشرونه من بحوثهم وكتبهم المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إليها؟ إن استعمال هذه الألفاظ والمصطلحات هو الذي يميّز بعضها على بعض، وإن تداولها هو الذي يؤدي في الآخر إلى اختيار الأصلح منها وإقراره. وعلى هذه الشاكلة مثلاً يكاد مصطلح relative density في الإنكليزية أن يُزيح مصطلحي specific density و specific

gravity للكثافة النسبية في الفيزياء، لكون الأول أوضح وأجدر، بالبقاء. وهكذا تغلب مصطلح roughness على rugosity للدلالة على خشونة سطوح القنوات في علم الري وجريان الموائع، وزال مصطلح fluxion لمعنى (المشتقة) في الرياضيات وبقي مصطلح derivative.

وعلى هذه الشاكلة أيضاً بقي عندنا مصطلح (مربّع) في الرياضيات، أي حاصل تربيع العدد، وزال مصطلح (مال) الذي استُعمل قديماً للمعنى نفسه، وبقي (المفعول لأجله) أو (المفعول له) في النحو وزال لفظ (العُذر)، وبقي علم (الفلك) وزال كلٌّ من مصطلحي (الهيئة) و(الاسطرونوميا) وكان هذا الأخير قد استُعمل في بادئ الأمر، وبقي مصطلح (المياه الجوفية) وزال مصطلح (المياه الخفيّة)، وبقي علم (المثلثات) وكان في زمن ما يسمى أيضاً بعلم (الأنساب) لعلاقته بالنسب المثلثية، ومثل هذا كثير.

ليس عدم التوحيد عقبة في درب التعريب:

إنهم على أية حال يبالغون في أهمية هذا التوحيد والادعاء بأنه العقبة الكأداء في درب التعريب. فقد يبقى في الاستعمال مصطلحان لمعنى علمي بعينه زمناً طويلاً دون أن يُزيح أحدهما الآخر، بل قد يبقى عديد من المصطلحات للمعنى الواحد ولا يكون كبير ضَير في ذلك. وهكذا نجد بعضهم يعبِّر في علم الإحصاء عن مجموعة الأشياء التي تؤخذ منها عيِّنة للاستدلال منها على نَمَط التغير في المجموعة بلفظ universe، ويعبِّر عنه بعضٌ بلفظ population، وبعضٌ بمصطلح bulk، ويستعمل آخرون التعبير parent distribution.[1] وفي هندسة التعدين تعددت المصطلحات الدالة على الدلو الكبير المتخذ لرفع العمال

---

(١) انظر: Grant, E.L.-Statisitical Quality Control. Mc Graw-Hill, p.72, New York, 1946.

والمـاء والحجـارة والأدوات مـن المـنجم فهـو hibble وهـو bowk وهـو skip hoppit وهو sinking bucket[٢]. وفي هندسة البناء قالوا للخَرَزة التي تلبَّس حول الحافة الداخلية للشباك المنزلق، لمنع جزئه الداخلي من التأرجح إلى داخل الغرفة guard bead و guide bead و inner bead و window bead و baton و inside stop و bead stop. وتعددت المصطلحات المستعملة للخشبة المائلة لإسناد ما بين عارضتي السلالم العريضة فهي مرة carriage ومرة rough string وتارة bearer وأخرى horse stair[٣]. وفي الهندسة المدنية استعملوا للأرض التي تُمدّ نهراً في نقطة معينة وتقع بين حرفين مرتفعين في أعلى تلك النقطة تارة catchment وأخرى gathering groundes ومرة watershed ومرة catch basin وأخرى drainage area، هذا إذا لم نذكر catchment area و drainage basin.[٤]

وثمة الكثير من أمثلة تعدد المصطلحات عندهم للمدلول الواحد على هذه الشاكلة وهو حاصل في مختلف فروع المعرفة، وأكثرُ منه ما يقتصر فيه عدد المصطلحات للمدلول الواحد على اثنين أو ثلاثة، وهو أمر طبيعي في كل لغة مُفعمة بالحياة ينتشر استعمالها في رقعة كبيرة من الأرض- ولكنّ كل ذلك لم يؤخر مسيرة العلم عندهم قطّ. فليس عدم وَحدة المصطلح بذاته هو العائق الحقيقي

---

(٢) Scott, John S.- A Dictionary of Civil Engineering, Third Edition, Penguin Reference Books, London, 1980.

(٣) Scott, John S.- A Dictionary of Building, Penguin Reference Books, London, 1975.

(٤) Nomenclature for Hydraulics, American Society of Civil Engineers, New York, 1962.

وانظر أيضاً المرجع (٢).

لتقدم العلم، وإن يكن الأفضلُ أن نحاول تجنبه لتقليل اللّبس، وإنما العائق الحقيقي من ذلك هو ما يفتعله الذين لا يؤمنون بالقضية.

الدوريات العلمية تواكب ترسيخ اللغة العلمية ولا تسبقه:

ومثلُ ذلك حُجّة القائلين بالانتظار حتى تظهر المجلات والدوريات التي تنشر البحوث باللغة العربية، فكأنهم بذلك يريدون بدء الموضوع من نهايته. ولكن بأيّ لغة علمية تُكتَب هذه البحوث إذا لم تترسخ اللغة العلمية أوّلاً بممارستها بالتدريس وتهذيب مصطلحاتها بالخطاب في معاهد العلم ومنتدياته ومؤتمراته ليتمكن منها المتعلم والمعلم والباحث والعالم؟ ولمن تكُتَب هذه المجلات إذا كان القارئ لم يمارس اللغة العربية العلمية وكانت متابعاته العلمية اليومية ودراساته كلها بلغة أجنبية؟

العربية أوفر عطاء من كثير من اللغات العلمية:

وأبطلُ من ذلك ادعاء بعضهم ضَعفَ اللغة العربية وعجزها عن رعاية علوم العصر والنهوض بمتطلباتها، وتلك أظلم تُهمَة اقترفها الأجنبي بحق لغتنا في زمن الاستعمار والتبعية، وبقيت مخلفاتها تضلّل عقول بعض الجهّال حتى يومنا هذا. فليست العربية بأقلّ عطاء من عشرات اللغات التي اعتزّ بها أهلها، ولم تسمح لهم مشاعرهم القومية بالتخلي عنها، فاستعملوها للعلوم، فاستوعبتها جيداً ولم تقصُرْ عنها في شيء. بل إن العربية أغنى في خصائص الاشتقاق والمجاز والقياس من كثير من اللغات التي باتت تُدعى اليوم باللغات الحيّة زيادة في الثلب والنكاية في لغتنا.

وقد يتأثر بعض أولاء بلغة أجنبية درسوا علومهم بها واستدعت دراساتهم تعلّم جانب من قواعدها وأصولها فيدينون لتلك اللغة بولاء عجيب يتجاوز حدّ المعقول ويُزَهِّدُهم بالعربية ويصرفُهم عن الإيمان بمقدرتها على استيعاب العلوم وبجدوى

التعريب. ولعلّ كثيراً من هؤلاء لم تسنح لهم الفُرصة للاطلاع على دقائق اللغة العربية ولطف خصائصها في التعبير وسعة عطائها في الوضع والاشتقاق والمجاز، ولو تسنى لهم اكتناهُ بعض ذلك لما وقفوا منها هذا الموقف المتهاون الظالم.

اللغات تختلف في خصائصها وطرائقها:

فاللغات الأوربية التي هي من أصول لاتينية أو يونانية مثلاً هي بطبيعتها (إلصاقية). أي أن كثيراً من ألفاظها يتألف من (جذر) ثابت لا يتغير في الأغلب، وهذا يمكن أن يغيَّرَ معناه بإلصاق (سابقة) أو (صدر) في أوّله، أو بإلصاق (لاحقة) أو (كاسعة) في آخره، أو بكلتا الاثنتين.

العربية اشتقاقية وإلصاقية:

أما العربية فتمتاز على تلك اللغات بكونها (اشتقاقية) فضلاً عن كونها (إلصاقية). أي أن أصل ألفاظها الثلاثية الحروف في الأغلب، يمكن أن يدخله (حشو) بين حروفه، أو (سابقة)، أو (لاحقة)، أو أكثر من واحدة من هؤلاء، فضلاً عن أن حركات بعض حروفه الأصلية والزائدة قد يدخلها التغيير فيتغير المعنى.

ويمكن بقليل من التأمل، إدراك مدى الزيادة الكبيرة في احتمالات الاشتقاق والتوليد في اللغة العربية على سواها من اللغات اللاتينية واليونانية الأصول.

ومثال ذلك أن الفعل اللاتيني الأصل rage بمعنى (غضِبَ) يمكن أن يُصدَّر بسابقة ليُصبح enrage أو outrage، أو يُكسع بلاحقه مثل raged أو raging أو ragingly، أو تُلصق به سابقة ولاحقة مثل enraged و enraging و outraged و outraging و outrageous و outrageously و outrageousness.

أما مقابله العربي فهو يأتي (مجرداً من الزيادة) بصيغة الفعل (غَضِبَ) والمبني للمجهول (غُضِبَ) عليه، والمصدر وهو (غضَبٌ) والمبالغة (غَضِبٌ) للشديد الغضب. ويدخله (الحشو) فهو (غاضِبٌ) للفاعل، وهو (غضوب) للمبالغة بمعنى الكثير الغضب، والداء منه (غُضاب) للجُدَري أو قذى العين، ويقال (غاضَبَ) فُلانٌ فلاناً. وهو يُصدَّرُ (بسابقة) فيقال (أغضب) فلان فلاناً، و(مُغضِب) للفاعل، و(مُغضَب) للمفعول، ويقال (استغضب) عليه بمعنى غضِب. وهو يكسع (بلاحقة) فيقال في الوصف (غضبان) و(غضبانة) و(غضبى)، والمرة (غَضْبةٌ). وقد تدخله اثنتان أو أكثر من هذه الزيادات أو تغيير الحركات. ومنه في المصدر (مَغضبةٌ)، ومنه (تغاضب) القوم، وللفاعل (مغاضِب)، وللمفعول (مغاضَب)، ويقال (تغضّب) إذا اشتدّ غضبه، و(الغُضابيّ) الكدِر في معاشرته. وكثير مما جاء في أسماء هذا الباب يمكن جمعه إما سالماً أو مكسرّاً، أو تمكن النسبة إليه، أو عملُ المصدر الصناعيّ منه، وغير ذلك من الاشتقاقات الكثيرة مما لم نذكره.

المجاز:

أما مجال توسيع معنى اللفظ العربي بالخروج من حقيقته إلى المجاز فكان وما زال من أوسع الأبواب في إغناء اللغة العربية. وقد يكفي للتمثيل في هذا الباب إيراد هذا الفعل (ضَرَبَ) الذي أصل معناه (الصدم أو الإصابة بعصا أو غيرها). فقد خرج منه على المجاز بضعُ عشرات المعاني والدلالات، ومنها:

(ضرب الشيءُ) إذا تحرك، و(ضرب الليلُ) إذا طال، و(ضرب القلبُ) نبض، و(ضرب العِرق) اختلج، و(ضربت السِّنُّ) اشتدّ وجعها، و(ضرب الزمان) مضى، و(ضربت العقرب) لدغت؛ و(ضربته العقرب) لدغته، و(ضرب على يده) حجر عليه، و(ضرب الخيمة) نصبها، و(ضرب النقودَ) سكهَا وسكبها، و(ضرب على

الرسالة) ختمها، و(ضربت العنكبوت بنسجها) خيّمت، و(ضرب له موعداً) عيّنه، و(ضرب عنه صفحاً) أعرض عنه، و(ضرب في مجاهل الأرض) ذهب فيها وأبعد، و(ضرب العودَ) عزف به، و(ضرب إلى الحُمرة) مال، و(ضرب له مثلاً) ذكره له، و(ضرب له في مالِه نصيباً) جعله له، و(ضرب بنفسه الأرض) أقام فيها، و(ضرب في الماء) سبح، و(ضرب فلاناً عن فلان) كفّه عنه، و(ضرب بينهم) أفسد، و(ضرب في الأمر بسهم) شارك فيه، و(ضرب عليه النعاسُ) غلبه، و(ضرب الدهرُ بين القوم) فرّق بينهم، و(ضرب به عُرض الحائط) أهمله واحتقره، و(ضرب الخاتَم) صاغه، و(ضرب عليهم الجزيةَ) فرضها، و(ضرب الليلُ بظلامه) أقبل، و(ضرب عليه الحصارَ) حاطه وضيق عليه، (وضرب الشيءَ بالشيء) خلطه، و(ضرب عليه الذّلّةَ) أذلّه، و(ضرب عن فلان الشيءَ) أمسكه عنه، و(ضرب في البوق) نفخ، و(ضرب بذَقنه الأرض) جبُن وخاف، و(ضرب بالقِداح) أجالها، و(ضرب الصلاةَ) أقامها و(ضرب العدد في العدد) كرّره بقدره، و(ضرب أخماساً لأسداس) سعى في المكر والخديعة. فأيُّ لغةٍ تتّسع ألفاظها لمثل هذا القَدْرِ من توليد المعاني بالمجاز.

لا نُخضع العربية لقواعد لغة أجنبية:

ومن مظاهر تقديس اللغة الأجنبية عند بعضهم أن يريدوا إخضاع اللغة العربية لقواعد هذه اللغة أو تلك، وتطويعَها لأساليبها في الاشتقاق والتعبير، مع أن لكل لغة طبيعتَها وطرائقَها التي تتميز بها عن سواها، ولا سيما اللغات المتباعدة الأصول.

ومن ذلك ما يحاولون تكلفه من التزام ترجمة كل لفظة أجنبية مصدرة بسابقة أو مكسوعة بلاحقة، أو كلتيهما، بلفظة عربية واحدة، وكأن ترجمةَ اللفظ الأجنبي في بعض الأحيان بلفظين عربيين عقبة كؤود في طريق التعريب. هذا فضلاً عن أن بعضهم يرى ضرورة التزام صورة ثابتة لترجمة السابقة أو اللاحقة. وكل هذا من

العبث الذي لا طائل فيه. فالترجمة تتحكم فيها عوامل كثيرة من بينها طبيعة اللغة، والذوقُ والسَّماعُ، وتجنب اللَّبْس، إلخ، والمهم تكافؤ المعنى بين الأصل والنصّ المترجم **مثلما لا تستوجب صحة المعادلة الرياضية تساوي عدد الحدود في طرفيها.**

ولو نظرنا إلى القضية من وُجهة معاكسة وتدارسنا ما يمكن أن يترجَم به إلى الإنكليزية معنى (الطلب) في (الألف والسين والتاء) من صيغة (استفعل)، وهو بعض معاني هذه السابقة، أو معنى (التشريك) في صيغة (تفاعَلَ)، أو (التكثير والتشديد) في صيغة (فعَّلَ) المُضعّفة العين، أو (التعدية) في صيغة (أفعَلَ)، أو معنى (البناء للمجهول) في صيغة (فُعِّل)، أو معاني الكثير مما عدا ذلك من الأوزان وحروف الزيادة، لما وجدناهم يترجمون أياً منها بلفظة واحدة، بل إننا لا نجد عندهم، في الأغلب الأعم، سابقة أو لاحقة لكل من هذه المعاني. وعلى هذا قد يترجمون لفظ (استنجد) بعبارة he asked for help مثلاً، أي (طلب النجدة)، ولا يجدون ضيراً في ذلك، ويترجمون (تضاربوا) بعبارة they hit each other أي (ضرب بعضهم بعضاً)، و(قتّلهم) he perpetrated slaughter upon them أي (أوقع بهم مجزرة)، و(أنامه) he put him to sleep أي (جعله ينام)، و (سُرِق) he was robbed. والأوروبيون لم يخطر ببالهم، حتى في زمن ترجمة الكتب العربية إلى لغاتهم، أن يخترعوا سوابق أو لواحق لمقابلة أمثال هذه الاشتقاقات أو الصيغ، وهي كثيرة. وهم لن يُجهِدوا قرائحهم في ذلك لأن فيه تكلفاً لا مسوِّغ له. فضلاً عن أن لكل من تلك الزوائد والصيغ معاني أخرى غيرَ التي ذكرنا. فصيغة (استفعل) مثلاً قد تأتي لغير الطلب كما في (استحسن) و(استقام)، و (أفعَلَ) قد لا تكون للتعدية كما في (أساء) و(أحسن)، وصيغةُ (فُعِلَ) قد تكون لغير المجهول كما في (جُنَّ) و(ذُهِل)، إلخ.

كذلك لم يُثْرِ أسلافنا مثل هذه المشكلة عندما ترجموا علوم اليونان والهند. فلم تقف السوابق واللواحق اللاتينية واليونانية مثلاً عقبة أمامهم في طريق التعريب، ولم يَشْغَلوا أنفسهم يوماً ما باختراع سابقة أو لاحقة تُلصق باللفظة العربية مقابل كل لفظة لاتينية فيها سابقة أو لاحقة، كل ذلك من أجل تكلف ترجمة اللفظة الواحدة بلفظة واحدة.

غيرَ أن جهوداً كبيرة صارت تضيَّع اليومَ عبثاً في هذا السبيل. ومن أمثلة ذلك المحاولات العقيمة التي بدأت منذ بضعة وأربعين عاماً لاختيار وزن أو صيغة عربية بلفظة واحدة للألفاظ المنتهية باللاحقة - able (أو -ible أو -ble) على غرار breakable. ولقد كان جدل وخلاف طويل شارك فيه علماءُ وهيئاتٌ ومجامعُ علمية ولغوية. ومما اقتُرح لتلك اللاحقة اليتيمة، في أوقات مختلفة، أن تُستعمَلَ صيغةُ (الفعل المضارع) لمعنى اللازم أو لمعنى مُوقِع الفعل، وصيغة (المضارع المبني للمجهول) للواقع عليه الفعل، وزن (فَعيل)، و(فَعول)، و(مستفعِل)، و(مُفعِل)، والخلافُ لما ينته بعدُ. غير أن نظرة سريعة إلى أيٍّ من هذه الأقيسة يمكن أن تُظهِر بطلانها وتهافتها. فقد يصحّ في صيغة (المضارع) أن يقال مثلاً (هذه المواد تنضغط) compressible و(تلك حال تتغير) changeable و(فاكهة تؤكل) edible، لأنه قد يُفهم من كل ذلك معنى (لثبوت) المراد بهذه الألفاظ. ولكنّ المضارع قد لا يُفهم منه دائماً هذا وإنما قد يراد به أيضاً معنى (الحدوث) لأنه يقترن بزمان يحتمل الحال أو الاستقبال كما يعرفه النحاة. ومن هنا قد لا يحسُن مثلاً أن يقال (هذا الرجل يطّلع) مقابل knowledgeable إذ قد يُفهم من ذلك أنه (يطّلع الآن) بدلاً من (واسع الاطلاع). ولا أن يقال (هذه المادة تضاف) مقابل addible فقد يُفهم من ذلك (يجب أن تضاف) is to be added بدلاً من (ممكنة الإضافة)، وفي كل ذلك مدعاة للَّبْس. ولئن صحّ في وزن (فعيل) أن يقال (ماء شريب) drinkable وهو مسموع، فلا يحسُن أن يقال

(شخص فهيم) مقابل comprehensible لأن (الفهيم) صاحبُ الفهم والمرادُ (مفهوم). وقد يصحّ في وزن (فعول) أن يقال أيضاً (ماء شروب) drinkable وهو مسموع، ولكن لا يحسُن أن يقال (سمك أكول) مقابل edible لأن الأكول (الكثير الأكل) والمراد (الصالح للأكل). ويمكن في وزن (مُفعِل) أن يقال (هذا كرسي مريح) comfortable ولكنه يتهافت في مقابل Iam comfortable فلا يصحّ فيه (مريح) وإنما يقال (أنا مرتاح). ويمكن في زنة (مستفعِل) أن يقال (مستقيد) manageable وهو مسموع من استقاد له أي انقاد وخضع، ولكن لا يصحّ أن يقال (مستطلع) مقابل knowledgeable لأن المستطلع هو (الذي يسأل عن الأمر أو يطلب الرأي) والمرادُ هنا (الواسع الاطلاع).

ولكن لم كلّ هذا التكلف والتعسف وكثير من هذه المكسوعات يترجم بلفظ واحد بحسب طبيعة معناه مثلِ suitabe (لائق) و placable (مُسَالم) و ouduble (مسموع) و acceptable (مقبول) و placable (متسامح) و terrible (مخيف) و soluble (ذائب) و comfortable (مرتاح) أو (مريح) بحسب المعنى، و sensible (حسّاس) أو (محسوس) كذلك، و changeable (متقلب) و comprehensible (مفهوم) و bearable (يُطاق) و edible (يؤكل)، وغيرِ ذلك. فإن لم يَكْفِ لفظ واحد فلفظان. وقد اتبع أسلافنا ذلك فقالوا (قابل للضغط) compressible و(جدير بالاحترام) respectable و(صالح للشرب) potable و(واسع الاطلاع) knowledgeable و(سهل المنال) accessible و(كثير الدوران) voluble و(محب للإحسان) charitable و(يستحق العبادة) adorable و(واجب التنفيذ) executable و(سريع التهيج) excitable و(خاضع للضريبة) dutable[٥].

---

(٥) **انظر:** الملائكة، الدكتور جميل- "في ترجمة المكسوعات بـ -able و -ible و -ble ومحاذير القياس"، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزءان الثالث والرابع، المجلد الثاني والثلاثون، ص١٦٧-١٨٥، بغداد، تشرين الأول ١٩٨١.

وهم لم يجدوا في ذلك ضيراً. كما لم يجد الإنكليز ضيراً في ترجمة صيغة اسم المكان التي هي من خصائص لغتنا أيضاً بلفظين، فنقول (مَرْسَم) و(مَسْبَح) و(مَجْزَر) ويقولون office drowing و pool swimming و slaughter، ولا يقف ذلك حجر عثرة في طريق العلم.

فحوى القول أننا لسنا بحاجة إلى التزام صيغة أو وزن معين لترجمة كل لفظة أجنبية مؤلفة من جذر وسابقة أو لاحقة. ولو أننا تذكرنا ما عليه كثير من المشتغلين في العلوم من قلة البضاعة في اللغة العربية وفقهها لأدركنا فداحة الأخطاء التي قد تنجم عن التزام مثل هذه الأقيسة في ترجمة الألفاظ والمصطلحات.

وأفدح من ذلك أن نتكلف اختيار مقابل عربي معين لكل سابقة أو لاحقة أجنبية ثم نُلصقه باللفظ العربي. فهو ليس من طبيعة نقل اللغات، كما اتضح من صعوبة نقل حروف الزيادة العربية إلى اللغات الأوروبية، فضلاً عن أن كل سابقة أو لاحقة من هذه الملصقات الأجنبية التي تعدّ بالمئات قد يكون له معان كثيرة كما اتضح من مثال اللاحقة التي ذكرنا.

لا نستعمل ألفاظاً نصفها عربي ونصفها الآخر أعجمي:

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعضهم يذهب أبعد من ذلك كثيراً فيُصرّ من فرط انبهاره بلغة أجنبية على إلصاق اللاحقة اللاتينية أو اليونانية كما هي باللفظ العربي، وفي ذلك ما فيه من مسخ للغتنا الجميلة وطمس لهُويتها. فمن أمثلة ذلك أنه ظهرت حاجة في اللغات الأوروبية خلال النصف الأول من هذا القرن إلى تسمية وَحَدات وجسيمات من أشياءَ متناهية في الصغر في الفيزياء النووية، فَعَمَدوا إلى استعمال اللاحقة اليونانية on. التي اصطلحوا بها للدلالة على معنى (الوَحدة الأصغرية أو الجُسَيم الابتدائي) من الشيء وإن كان أصل معناها (الذَّهاب)، فألصقوها بالجذور اللاتينية أو اليونانية الدالّة على تلك الأشياء للحصول على مصطلحات مثل phonon و photon و electron (وهذه كانت قد ظهرت في أواخر القَرن

الماضي) و nucleon و neutron و proton وغيرها. ومعاني جذور هذه الأشياء على التوالي، (صوت) و(ضوء). و(كهرب) و(نواة) و(متعادل) و(أول- أو ابتدائي)[٦]. ولقد كانت حصيلةُ إصرار هؤلاء على إبقاء اللاحقة الأجنبية وترجمة الجذر إلى العربية المصطلحاتِ الغربيةَ (صوتون) و(ضوؤون) و(كهربون) و(نَوَوُن) و(ابتدائيون) و(متعادلون)، إلخ. وهم لتشبثهم بهذه اللاحقة الأجنبية وشدة إعجابهم بها يحتجون بأن أهل الأندلس ألحقوا الواو والنون ببعض الأسماء على غرار (حمدون). و (زيدون) للتحبب وهو يشبه التصغير. ولكن كيف توحي ألفاظ (ضوؤون) و(كهربون) و(متعادلون) بمعنى التناهي في الصغر وأظهر ما في هذه الواو والنون معنى الجمع الذي يكاد يناقض دلالة التصغير؟ ولم كل هذا التمسك باللاحقة الأجنبية والانقياد ولخصوصيات لغة غربية عن لغتنا وافتعال الحُجَج لها مهما كانت واهية؟ أليس أسهلَ وأقلَّ امتهاناً للعربية وتشويها لصفائها أن نستعمل صيغة التصغير العربية فنقولَ مثلاً (صُوَيْتَه) و(ضُوَئية) و(كُهَيْرِبة) و(نُوَيَّة) و(بُديئة) و(معيدِلة)، إلخ؟ وماذا سيكون مصير العربية العلمية لو أن جُلَّ أسمائها يصبح على غرار (صَوْتيم) و(صَوتيك) و(صَوْتون) و(صَوْتولايت)، و(كهربود) و(كهربون) و(كهروم) و(كهربولايت) و(كهربوليس) لتقابل مصطلحات phoneme و phonics و phonon و phonolife (وهو صخر بركاني له رنين عند دقّه)، و electrode و electron و electrom (وهو سبيكة من الذهب والفضة) و electrolyte و electrolysis، إلخ؟

لعلع أفضلُ أن يبقى استعمال بعض هذه المصطلحات الأجنبية إذا استعصت ترجمتها على المشتغل بالعلوم إلى حين وجدان مقابلات لها عربية، من أن نحولها إلى ألفاظ نصفها عربي ونصفها أعجمي.

---

(٦) انظر: Websters Ninth New Collegiate Dictionary, Merriam Webster Inc., Publisher, Springfield, Mass. U.S.A., 1983.

المصطلح يوضع لأدنى علاقة بالمعنى:

ولكنْ لا ننسَ أن المصطلح يوضع لأدنى ملابسة بالمعنى. وحتى هذه المصطلحات الأجنبيةُ نفسُها ليست دلالتُها اللغوية البسيطة بمؤدية معانيها العلمية الدقيقة، لولا أنها اصطُلح بها لهذه الأغراض. ومن ثَمّ فليس من الصعب إطلاقاً الاصطلاحُ بمقابلات عربية لها، من دون الانقياد لشكل تركيبها، إذا استعان المشتغل بالعلوم أهلَ اللغة في ذلك.

أما الادعاء بأن أكثر المصطلحات الأجنبية يؤدي من المعاني الدقيقة ما لا تؤديه الألفاظ العربية فهو كلام لا يصدُرُ إلّا عن غير متضلع في اللغة الأجنبية ولا عارفٍ بدقائق اللغة العربية.

ضرورة الحدّ من شيوع الألفاظ الأعجمية:

ويُفضي بنا هذا الكلام أخيراً إلى ضرورة العمل على الحدّ من تكاثر شيوع الألفاظ الأعجمية على غرار (الراديو) و(التلفون) و(البندول) و(الفرامل) و(الايسوتوب) و(الهيليوكوبتر) و(الكمبيوتر)، التي يُصِرُّ على بقائها بعض المبهورين باللغات الأجنبية متذرعين بمختلف الحُجَج مثلِ دقة دلالة اللفظ الأجنبي في حين أنّ دقة الدلالة لا تأتي إلّا بعد التواضع والاصطلاح على المعنى، أو بعالَميّة المصطلح وليس الأمر كذلك في أيّ من هذه الألفاظ أو أشباهها، أو بصعوبة المقابلات العربية المقترحة لهذه الألفاظ وغرابتها مع أن المصطلح لا يبدو صعباً أو غريباً إذا شاع استعماله وتداولته الألسنة.[1]

---

(١) ألقي هذا البحث في المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان ما بين ٢١-١٩٨٥/٩/٢٥م.

نظام عربي للرموز العلمية

للأستاذ الدكتور أحمد سعيدان
عضو مجمع اللغة العربية الأردني

سادتي! أيها العلماء الأجلاء!
السلام عليكم ورحمة الله!

اسمحوا لي، في مستهلّ حديثي، أن أعود بالذاكرة إلى النصف الأول من هذا القرن، يوم كنا نتلّقى دروسنا الابتدائية والثانوية في كتب عربية، خالصة، لا شِيَةَ فيها؛ حتى الكتب المنقولة عن لغة أجنبية لم يكن فيها لفظ أجنبي، حتى ولا حرف غير عربي.

ثم تغيَّر الحال في الستينات من هذا القرن، حين أخذ العالم العربي ما سمي بالرياضيات الحديثة، ممثلة بكتب وضعتها اليونسكو للصفوف الثانوية، مع توصية بأن يمهد لها، في الوقت المناسب، بكتب للصفوف الابتدائية، يضعها كل قطر عربي بنفسه.

وأبادر إلى القول بأن لا اعتراض عندي على الأخذ بالرياضيات الحديثة، بل إني أرحب بها، وأتمنى لو تلقيتها وأنا على مقاعد الدراسة، فهي بالتأكيد أكثر تمشياً مع متطلبات العصر، لأنها تطوير لتعليم العلوم الرياضية تفرضه طبيعة الأشياء، لا سيما بعد تفجر المعرفة العلمية الذي رافق الحرب الكبرى الثانية، ولم يهدأ حتى بعد أن هدأ هدير المدافع.

لا اعتراض عندي على الرياضيات الحديثة، ولكن اعتراضي ينصب على أن كتب اليونسكو، وقد ترجمها إلى العربية نفر من خيرة الأساتذة بيننا، جاءت تستند إلى نظام رمزي يعتمد على الحروف اللاتينية والإغريقية، ويفرض على الطالب العربي أن يداول a ، A، & وأشباهها.

وفي الأردن فريق قومي لتطوير الرياضيات يعمل بأناة وبصيرة. ومذ اضطلع بدراسة كتب اليونسكو أدرك أنها لا ينبغي أن توضع بين أيدي الطلاب كما هي؛ وأنها بحاجة إلى تعديل واسع وتصفية. وقد قام الفريق القومي الأردني بهذا التعديل والتصفية، ولكنه اضطر للقبول بالحروف اللاتينية والإغريقية، متمنياً أن يكون هذا القبول مرحلياً ينتهي حالما يتوافر للأمر حل مناسب.

وقد يبدو أن ليس في الأمر مشكلة، وأننا نجعل من الحبة قبة، فإن هي إلا حروف عرفناها وألفناها فما لنا نتنكر لها. هذا ما قاله ويقوله فعلاً نفر من زملائنا لا ندعي أننا أكثر منهم حباً للعربية وحفاظاً عليها، ولا أكثر إخلاصاً للصالح العام. ولكن إذا كانت الأمور تقاس بخواتيمها فاسمحوا لي أن أتحدث عن بعض الخواتيم التي خبرناها ورأيناها رأي العين:

فأول ما تبدى لنا أن عملية الطباعة صارت صعبةً كثيرة التكاليف نظراً لاضطرار المطبعة إلى استعمال حروف أجنبية إلى جانب الحروف العربية. ثم تضخم هذا الأمر في الصفوف العليا فصار يقتضي أن تصور المعادلات كما هي، من اليسار إلى اليمين، وأن تقتصر العربية على الشرح. وقد نزلت إلى الأسواق فعلاً كتب روسية وأميركية مترجمة إلى العربية، صورت فيها المعادلات نقلاً عن الأصل، وتخللتها شروح بالعربية فصارت القراءة تراوحاً من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين. ولقد حدث معي فعلاً أن كتبت لطلابي س– ٤ ثم مضيت بالشرح، فما لبثت أن اكتشفت أنني في وادٍ وطلابي في واد آخر، ذلك أنهم قرأوا ما كتبته من اليسار إلى اليمين فصار ٤ – س، وصرنا إذا قلت س > ٤ إذن موجبة، يقولون لا بل سالبة، وإذا قلت س < ٤ إذن س – ٤ سالبة، يقولون لا بل موجبة.

وكتابة المعادلات بالإنكليزية تقتضي أن تكون خطوات الحل كلها بالإنكليزية، وهذا إنما هو لغم يوضع في جذور اللغة العربية ليقتلعها من صفوف المتعلمين العلميين، ومن ميدان العلوم الرياضية.

يحضرني هنا يا سادتي قصة وقعت لصديق لي عربي أعرفه. قال صديقي:

أتيح لي أن أعمل في قطر عربي شقيق يوم خلص من ربقة الاستعمار الإنكليزي. فاستدعاني مسؤول كبير في وزارة التربية وقال لي: أنت تعلم أن سياسة التعليم المعلنة في بلدنا هي تهيئة الأجيال المتتابعة لعمل ما يتطلبه الحاكم الإنكليزي؛ والآن ينبغي أن يتغير الحال وأن تكون سياستنا خلق أجيال فاعلة، مبتكرة، خلاقة، مبدعة، تصلح لقيادة الدفة وتسيير أمور البلاد. وهذا ما أريد منك أن تعمله في حقل الرياضيات. قال صديقي: مضيت في عملي والنشوة تغمرني، ولكن ما لبث أن صدمني ما لم يكن في الحسبان، ذلك أن من المسؤولين الآخرين من ثاروا على هذا الأمر قائلين: كنا نرى الإنكليزي يصنع مالا نقدر عليه، فنقول هؤلاء الإنكليز خلقهم الله سادة، وخلقنا عبيداً. فماذا نقول اليوم وبيننا سيد يعمل وهو غير إنكليزي. قال صديقي: صدقني يا صاحبي أنني أنجزت لهم كتابين في الرياضيات قبل أن أنسحب من الميدان فنشروهما، وهما كتابان عربيان خالصان، باسم مؤلف إنكليزي لا يعرف كلمة عربية واحدة.

أقول: لقد وقع هؤلاء، حمانا الله، في عقدة نقص. وأنا أربأ أن نجر طلابنا إلى مثل هذه العقدة، إذ نعلمهم العلوم الرياضية برموز غير عربية.

ولكن ما أظنني أجبت عن سؤال هو لب المشكلة، ذلك هو: لماذا اضطررنا إلى اللجوء إلى الحروف اللاتينية واليونانية؟ ذلك أن الحروف العربية التي جرى استعمالها رموزاً رياضية: قليلة العدد، محددة الأشكال، لكل حرف شكل واحد لا يتغير. والحاجة العلمية تدعو إلى استعمال أربعة أشكال مختلفة للحرف الواحد،

مثل R.P,R,r، وأحياناً خمسة أشكال للدلالة على مفاهيم متميزة، مختلفة ومترابطة في آن واحد، مثل قولنا أن ء عنصر في ع التي هي جزء من المجموع ع. أضف إلى ذلك قد جرت العادة في الرياضيات التطبيقية على الرمز للمتغير بالحرف الأول من اسمه: فنصف القطر r من كلمة radium وهو في الإحداثيات القطبية P، والعدد الحقيقي R (real)، ومجموعة الأعداد الحقيقية R (real numbers).

فإذا نحن أردنا أن نرمز بحروف عربية، ينبغي علينا أن نجعل لكل حرف عربي أربعة أشكال أو خمسة، كيما نرمز إلى القوة، والقدرة، والاقتران، مثلاً، بأشكال متميزة من حرف القاف.

لقد استطاع الفريق القومي الأردني لتطوير تدريس الرياضيات، بتزايد خبرته الميدانية، أن يعدل كتاب اليونسكو ويطوره، فيشذب ما وجده تفاصيل يملها الطالب ولا يفيد منها، فكان نتيجة هذا سلسلة كتب جديدة، ثانوية وإعدادية، هي أصلح للطالب والمعلم والعلم على السواء.

إلا أن الفريق القومي الأردني لم يستطع أن يستغني عن الرموز الأجنبية، نظراً لقلة عدد الحروف العربية الصالحة للرمزية، لا سيما وقد جرت العادة ألا تنقط الحروف الرمزية.

في باديء الأمر قبلنا بالرموز الأجنبية ولِمَ لا؟ الأساتذة والطلاب يعرفونها. ولنا أسوة بكتب تترجم إلى العربية، في الشرق والغرب، ونجد فيها الشرح عربياً، وأما الرموز والمعادلات فتصور كما جاءت في الكتاب الأجنبي.

لكن الممارسة الميدانية كشفت للفريق القومي أن كتابة المعادلة بالإنكليزية تضع اللغة العربية في وضع هامشي بالنسبة إلى خطوات الحل التي تجري كلها بلغة أجنبية. أضف إلى ذلك أن عبارة مثل n تنتمي إلى N، مثلاً، لا توحي للطالب العربي بأكثر من المفاهيم الحرفية: شيء ما، هو n، ينتمي إلى شيء ما،

هو N. أما هذا الشيء وذاك فقد يدله عليها سياق الكلام. هذا في حين أن العبارة توحي إلى القارئ الإنكليزي بأن n هي عدد (number) وأن N هي مجموعة الأعداد الطبيعية Natural Numbers. إن للرمز إيحاءات خاصة لا تنتقل من لغة إلى لغة.

هذا بالإضافة إلى أن الطالب العربي والمسلم ينتابهما الشعور بأنهما يدرسان بالعربية موضوعات أولى أن تدرس بالإنكليزية، وأنهما في هذا العمل مجرد متلقين، لم يبلغا حد الاستقلال الفكري عن واضعي هذه الرموز.

هذا لم يكن تجنياً ولا مبالغة أننا وصلنا بالممارسة إلى الاعتقاد أن هذا الضرب من الترجمة والتعليم أشبه بمؤامرة، مقصودة أو غير مقصودة، على الطلاب والمعلمين والعربية على السواء، فالطلاب لا يتعمقون الفهم، والمعلمون لا يبدعون، والعربية توضع في موضع القاصر عن متابعة العلم والتطور. والنتيجة أن يضيق الطلاب ذرعاً بلغتهم فيقولون ما قاله لي شابان مغربيان التقيت بهما في الرباط: كانا يتكلمان بالفرنسية. فقلت لهما، من اسميكما عرفت أنكما عربيان. فلماذا لا تتكلمان بالعربية؟ قالا: لا نحتاج إليها فالتعليم والكتب بالفرنسية، والعمل في المصالح بالفرنسية.

إن من الإنجازات الرائعة للمغرب الشقيق أن الوضع الذي صوره لي هذان الشابان قبل أربعة عشر عاماً قد تغير. ولكن استعمال الرموز الأجنبية في كتبنا العربية ما يزال ماثلاً لم يتغير، وتصوير المعادلات بحروف أجنبية في الكتب العربية ما يزال قائماً لم يتحول.

* * *

وفي أواخر السبعينات بدأ مجمع اللغة العربية الأردني حملة تعريب التعليم الجامعي بترجمة كتب تدريسيّة. أما في الرياضيات البحتة فقد استطعنا أن نترجم

الكتب المختارة دون استعمال حروف أجنبية، وأما في الإحصاء والفيزياء والكيمياء فلم يكن ذلك: أقر المختصون أن الترجمة برموز قد تكون مجرد ترجمة، ولكنها بالتأكيد ليست تعريباً للعلم، لأن التعريب يتطلب إثبات العلم في بيئة عربية خالصة. غير أننا في هذه المرحلة لا نقدر على ذلك لأن رموز الفيزياء، والرياضيات التطبيقية عامة، لها صفات غير ما لرموز الرياضيات البحتة.

وفي الفيزياء يتميزُ الرمز بمعنى وصفة دائمين يلازمانه، فالرمز ك مثلاً إذا استعمل للكتلة لا يمكن استعماله للكثافة والرمز ح إذا استعمل للحجم لا يمكن استعماله إلى معامل الاحتكاك، إلا إذا كان الحجم ومعامل الاحتكاك لا يلتقيان في مبحث واحد.

ولأن الأبجدية العربية المستعملة في الرموز العلمية خلو من الأشكال المتعددة للحرف الواحد، فقد رأينا أن تمضي ترجمة الفيزياء والكيمياء، مؤقتاً، بالرموز الأجنبية، ريثما يوجد حل للمشكلة.

وإيجاد هذا الحل عهد به مجمع اللغة العربية الأردني إلى لجنة سماها لجنة الرموز، وكنت من أعضاء هذه اللجنة، وعقدت اللجنة اجتماعات متتالية دار فيها نقاش طويل، وبعد جلستين أو ثلاث اتفقنا على أن في الأبجدية العربية ما يغني عن الحروف الأجنبية، وقد يفيض عن الحاجة، بشرطين: أولهما أن نستعمل كل حروف أبجديتنا مع نقاطها، كي يتسنى لنا استعمال الباء والتاء والثاء مثلاً، إذا لزم الأمر. والشرط الثاني أن نجري تغييرات على أشكال الحرف تميزها من غير أن نطمس هويتها، أعني أن تبقى الباء باء والتاء تاء ... إلخ.

وانصرفنا نبتكر أشكالاً للحروف بالشرط المذكور. وتعددت الأشكال، فكان منها المتوجة والمعرشة. وقبل أن نمضي في مشروعنا رأينا أن نقوم بعملية جس نبض. فدعونا إلى ندوة تداعي إليها عدد من المهتمين، وجلهم من العاملين في حقل التعليم. وقد جاء معظمهم يكتم في صدره ثورة ظناً بأنا نعمل على تغيير

حروف الكتابة. وفي الندوة كثر الجدال، ودار معظمه خارج إطار ما دعونا إليه، فهذا يعرض أبجدية يرى أنها تحل مشاكل الكتابة العربية، وذاك يعرض أخرى تتلاءم مع الكمبيوتر. وذاك يكفر الدعوة والداعين إلى تغيير حروف كتب بها القرآن الكريم- بعد الندوة تقدم ١٨٣ مدرساً بعريضة يدعون فيها إلى محاكمة القائمين بالمشروع بتهمة الخيانة العظمى.

إلا أنه كانت هناك أصوات تقيدت بحدود ما عقدت الندوة من أجله. فواحد احتج على كتابة النقط على الحروف، وآخر تشنج وتباكى على التخلي عن الحرف π وهو أول حرف من اسم بايتاغورس (فيثاغورس) وثالث تخوف من الأشكال المتوجة وصعوبة كتابتها عندما يكون الطالب يكتب مسرعاً في قاعة الامتحان ... إلخ.

وعادت اللجنة إلى اجتماعاتها، فراجعت وتدارست ما سمعت من كلام قبيح وكلام مليح. ثم استبعدت كل كلام خرج عن نطاق المشروع الذي شُكلت من أجله. فبقي ثمة أمور قليلة في إطار هذا المشروع:

من هذه الأمور الاعتراض على تنقيط الحروف لأن الطالب يكتب مستعجلاً، وقد يوقعه التنقيط في خطأ. فكان جوابنا أن تدريب الطالب على الدقة أجدى وأشرف من تشجيعه على العجلة.

ومنها التشبث بمثل الحرف π، وكان جوابنا عليه أننا نضع مشروعاً عربياً، فإن رأى الناس عند تمام المشروع ودراسته أن يتشبّثوا ببعض رموز عالمية مثل π، فلهم ذلك، لا لنا، وإننا نأمل ونوصي على كل حال ألا تزيد هذه الرموز العالمية إلى حد الطغيان على الرموز العربية.

وتدعوني الموضوعية إلى القول بأن أحد أعضاء اللجنة تشبث باستعمال الرموز الأجنبية – لا سيما في الكيمياء– لأنها نافذة تطل على العالم وجسر يصل بيننا وبين الفكر العالمي، إلى حد أنه انسحب من اللجنة لأن الأكثرية لم تتفق معه.

وقد خسرت اللجنة عضواً آخر إذ رأت أن تنصاع إلى الرأي العام الذي رفض كل شكل مقترح يبعد بالحرف العربي عن أصله. فرأى العضو الكريم أن الرأي العام هذا غير ناضج، ورأت اللجنة أنه ما دام بالإمكان وضع المشروع بالشكل المميز الذي لا يبعد الحروف عن أشكالها، فلا ضرر ولا ضرار من مجاراة الرأي العام.

قد دام عمل اللجنة قرابة ثلاث سنوات، كانت فيها كلما تخلف عنها عضو حل محله عضو جديد، فلم يكن عددها، في أي جلسة من جلساتها، أقل من خمسة.

في الجلسات الأولى اتفقنا على أشكال للحروف العربية تتوافر فيها المواصفات المطلوبة، فكانت في أربع مجموعات كما يلي:

١– ما سميناه بالحروف الهندسية، وهي كما يلي:

ا ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، ي.

٢– الحروف المعقوفة، وهي بمثابة حروف كبيرة، وهي كما يلي:

ا، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، ك ، ك ، ل ، م ، ن ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، ي .

٣– حروف الابتداء، وهي بمثابة حروف صغيرة تصلح أدلة سفلية وعلوية، وهي كما يلي:

ا ، بـ ، تـ ، ثـ ، جـ ، حـ ، خـ ، د ، ذ ، ر ، ز ، سـ ، شـ ، صـ ، ضـ ، ط ، ظ ، عـ ، غـ ، فـ ، قـ ، كـ ، لـ ، مـ ، نـ ، هـ ، و ، يـ .

٤- الحروف المقطوعة، وهي حروف ابتداء تنتهي بقطعة مائلة كما يلي:

ا، ب، ت، ث، ج، ح، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي.

٥- الحروف المستندة وكل من الأشكال السابقة يمكن أن يقوم على مسند بالشكل I، كما يلي:

١) الحروف الهندسية المستندة: مثل إلخ.

٢) الحروف المعقوفة المستندة: مثل إلخ.

٣) حروف الابتداء المستندة: مثل إلخ.

٤) الحروف المقطوعة المستندة: مثل إلخ.

٦- الحروف المحلقة، وكل حرف في الأشكال الأربعة السابقة يمكن أن يوضع في نهايته حلقة، كما يلي:

١) الحروف الهندية المحلقة: مثل إلخ.

٢) الحروف المعقوفة المحلقة: مثل إلخ.

٣) حروف الابتداء المحلقة: مثل إلخ.

٤) الحروف المقطوعة المحلقة: مثل إلخ.

وغني عن البيان أن بعض هذه الحروف قد تستعمل أكثر من بعض، وأن ما نقدمه إنما هي اقتراحات نقصد بها الإيحاء للكاتب والمؤلف، لا التقييد.

* * *

بعد هذا انصرفنا إلى مباشرة الرمزية في الرياضيات البحتة والتطبيقية، فاتفقنا على الخطوط العريضة التالية:

١- الإشارات غير الحرفية، كإشارة الجمع وإشارة المساواة، تؤخذ كما هي، مع التعديل الذي قد تقتضيه الكتابة على اليمين إلى اليسار.

٢- الأرقام المشرقية يمكن لمن شاء الإبقاء عليها أن يدخل عليها تعديلين أحدهما كتابة رقم الاثنين بالصورة ٢ والثاني كتابة الصفر بالصورة ▼ لتمييزه عن النقطة، وبذا نكتب ١,٢٧٣ (للألف) ونكتب ٠,٢٧٣ ١٢ للعشرة آلاف، ونكتب ▼* لنرمز للقيمة: صفر للقوة صفر.

ثم استعرضنا مجموعة كبيرة من رموز الرياضيات البحتة والتطبيقية، ووضعنا لها مقابلات عربية، بالاستعانة باختصاصيين في فروع الرياضيات المختلفة.

بعدها انتقلنا إلى رموز الوحدات والكميات الفيزيائية والكيماوية، فلجأنا إلى ما أقرته نشرات ISO (المؤسسة الدولية للتقييس) فأخذنا معظم رموزها ووضعنا لها مقابلات عربية.

والكميات الفيزيائية والكيماوية كثيرة، وهي تتكاثر على الدوام وتتغير. وما أعطيناه يشمل أكثر الوحدات والكميات استعمالاً.

وغني عن البيان أن ما اقترحناه منهج مرن يساعد ولا يقيّد، يوصي ولا يلزم. فإن أخذ كله أو بعضه فهذا ما نأمل، وإن رفض فيكفينا أننا اجتهدنا، وما أردنا إلا الخير. وإن استبدل به غيره فيكفينا أننا فتحنا الطريق، وخلقنا الحافز.[1]

وسلام عليكم أيها السادة الأجلاء، في البدء وفي الختام.

---

(١) ألقي هذا البحث في المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان ما بين ٢١-١٩٨٥/٩/٢٥م.

الذخيرة اللغوية العربية

للدكتور عبدالرحمن الحاج صالح
مدير معهد العلوم اللسانية والصوتية
جامعة الجزائر

كما هو معلوم تقترن دائماً النهضة العلمية والتكنولوجية للشعوب بنمو لغوي على قدر أهميتها، إذ اللغة هي نفسها معرفة تقنية وفي نفس الوقت الأداة التي يحلّل الإنسان بها وعلى مقياسها الواقع. ومنذ أن خلق الإنسان احتاج إلى أن يضع لهذا السبب نفسه الألفاظ الفنية الخاصة. وكثر ذلك بتكاثر المسمّيات المستحدثة على ممر الأيام بل القرون فوقعت المجموعات الإنسانية في حيرة وارتباك إذ تشعبت التسميات واشتد الاختلاف فيها بين جهة وأخرى من نفس البلد. وهذا الذي حصل بالفعل في أوربا فتدخلت عندئذ الحكومات وأنشأت المؤسسات الخاصة لتوحيد المصطلحات. "وتنميطها". فأول ما فعلته هذه المؤسسات هو إنشاء ما سمّته ببنك المصطلحات تجمع فيها الثروة اللغوية الفنية لأكثر من بلد. وقد فعل مثل هذا تقريباً علماؤنا بالنسبة لكلام العرب حين جمّعوا ثروتهم اللغوية ودوّنوها في مثل "كتاب العين" (وليس مجرد قاموس) وكان اللغويون في زمان أبي عمرو بن العلاء يجمعون الألفاظ، كما هو معلوم، على مجالات مختلفة من الدلالات ككتب الخيل والنخيل والنبات وغير ذلك كثير.

وقد اقترحنا مع بعض الإخوان ومنذ زمان بعيد القيام بتدوين منتظم لكل ما ورد في النصوص القديمة (العلمية والتقنية خاصة) واستعمل بالفعل بمعنى من المعاني، وأن يستعان على هذا العمل بالأجهزة الحديثة المناسبة، وأن توزع الأعمال على أسر من الباحثين في مستوى العالم العربي. فهذا هو الذي أسميناه

بالذخيرة اللغوية وسنتعرض فيما يلي لأوصافها وفوائدها وكيفية إيجازها حسب تجربتنا لهذا النوع من الأعمال[1].

المصطلح العربي ومشاكله

كما هو معروف فإن الواضعين للألفاظ الفنية في الوطن العربي يلجأون عند وضعهم للمصطلح العربي في الوقت الحاضر – ومنذ بداية النهضة العربية – إلى الوسائل التالية:

١- التعريب اللفظي للمصطلح الأجنبي
٢- الترجمة الحرفية له
٣- تخصيص أو ارتجال لفظ له بكيفية عفوية
٤- تخصيص لفظ عربي بعد البحث عنه في القواميس القديمة

هذا الذي نجده عند الخاصة وبعضه عند الخاصة والعامة. فأما التعريب اللفظي فهو كثير وقد يفوق غيره لا عند جمهور الناطقين وفي اللغة المنطوقة فقط، بل حتى في اللغة المحررة وعند بعض اللغويين أنفسهم. وحجة هؤلاء في تبرير التعريب اللفظي أو إدخال الألفاظ الأجنبية هو كما يزعمون شهرة هذه الألفاظ وذيوعها عالمياً وكون التداخل اللغوي أمراً طبيعياً. نعم إن الذيوع هو مبرّر قوي ثم إن العربية كغيرها من اللغات قد أخذت من غيرها منذ أقدم العصور وستأخذ منها في المستقبل. هذا كله صحيح إلا أن الذيوع الذي يحتجون به هو ذيوع اللغة الإنكليزية وأقل منها اللغة الفرنسية واللغة الإسبانية وغيرها. كلغة دولية وليس معنى هذا أن الروسية والبولونية والصينية والفيتنامية وغيرها توجد فيها بالضرورة تلك الألفاظ. ثم إن التداخل اللغوي وإن كان شيئاً طبيعياً إلا أنه إذا كثر

---

(١) فقد شرعنا في معهد العلوم اللسانية والصوتية بتخزين عدد كبير من النصوص في ذاكرة الحاسب وعلاجها آلياً لاستخراج شتى المعلومات منها.

الأخذ من جانب واحد- أي إذا لم يحصل توازن حقيقي- فإن مصير الآخذ الذي لا يؤخذ منه شيء المسخ ثم الاندماج في غيره والزوال. فليست المسألة مسألة تعصب للغة أو تعلّق بصفائها من أجل الصفاء وإن كانت هذه النزعة الأخرى موجودة. هذا وإن ميل بعضهم إلى التعريب اللفظي وتفضيله على غيره لهو دليل في الكثير من الأحيان على نوع من الكسل (إذ هو أسهل الطرق) وأحياناً أخرى- وهي قليلة والحمد لله- على جهل لأسرار اللغة والتطور اللغوي أو على تقليد أعمى للنظريات اللغوية الغربية التي تجاوزها الزمان (الإيجابية التي ظهرت في القرن الماضي في أوروبا). ثم على أيّ أساس نفضّل لفظة "علم الطبيعة" على كلمة "فيزياء" وفي نفس الوقت ندعو الناس لاستعمال مثل "ترمومتر" و"سكترومتر" و"بندول" وترك "محرار" و"مطياف" و"نواس"؟ أليس هذا لذيوع الأولى في إقليم معين؟[1]

(١) ثمّ إنّ ادعاء بعضهم أن العلماء القدامى قد استعملوا "أرثماطيقيا" و"فيزيقيا" و"ماثيماطيقيا" غير صحيح إن أرادوا أن ذلك كان مطرداً. فإن هذه الألفاظ استعملت هكذا معرّبة لفظياً في أول الأمر للدلالة على أنها معارف وتصورات خاصة باليونان ثم ما انفكّوا حتى استبدلوها بألفاظ عربية إلا ما استساغوا مثل "كيمياء" (وحمل معاصرونا لفظ فيزياء عليه) و"موسيقى" وغيرهما. وهذا ليس يضرّ بالعربية في شيء. كما هو الشأن في عصرنا هذا فقد استساغ الناس لفظة (إلكتروني) وفضلوها على "كهرونى" (وكون هذه الأخيرة من أصل معرّب قديم لم يكن له أي تأثير في ذلك) ولا بأس باستعمال اللفظ الأجنبي الذي يدل على مفهوم خاص بمدرسة أو نزعة معينة لا على ظاهرة أو حقيقة مسلمة وذلك مثل الكّلوسيم (Glossem) في نظرية هلميسليف Hielmslew اللغوي الدنماركي. وكذلك إذا أراد العالم العربي أن يشير إلى أن لفظة "فونيم" في هذه العلوم نفسها هي تصوّر اللغويين الغربيين. أما أن يترك اللفظ العربي الأصيل تركاً كلياً ويستبدله باللفظ الأجنبي بحجة أنه لا يدل على ما يدل عليه هذا الأخير ودون أن يرجع إلى التراث الأصيل (عند المبدعين من علمائنا) للتأكد من ذلك فهذا الذي يبدو لنا فاسداً من الأساس.

أما الترجمة الحرفية أو الترجمة للفظ دون المعنى فهذا أيضاً كثير جداً في زماننا وقد يرجع السبب في ذلك إلى عاملين اثنين:

الأول هو اضطرار الخبراء والأساتذة العرب إلى إيجاد المقابل العربي في أقرب وقت ليتمكنوا من تحرير تقاريرهم ومقالاتهم ومحاضراتهم بالعربية (في الجامعات والمؤسسات المعربة). وكذلك هو الأمر بالنسبة لمؤلفي المعاجم.

الثاني هو الكثرة الكاثرة من المعلومات العلمية والتقنية التي يتلقاها الإنسان من خلال وسائل الإعلام كالإذاعة والصحف والمجلات والتلفزة وتكون المصطلحات التي تستعمل في هذه الوسائل في الغالب مجرّد ترجمة حرفية واضطرارهم على إيجاد المقابل العربي الذي قد لا يوجد في المراجع التي يرجعون إليها.

وهذا هو سبب وجود الكثير من المصطلحات التي لا تؤدي المعاني الفنية المقصودة. وذلك مثل ما وجدناه في معجم قد نظرت فيه المجامع العربية[1] في ترجمة Velum إلى "شراع الحنك" (ترجمة لـ Voile du palais) فمتى كان للحنك شراع!؟[2] وترجموا كلمة Features التي تستعمل في الصوتيات للدلالة على ما يسميه العرب بالصفة (المميزة) بكلمة "ملامح" لأنهم وجدوا في القاموس أن هذه الكلمة تدل على ملامح الوجه (of the face) وتركوا المعنى المقصود ويتراءى جيداً في الفعل to feature= وصف. وكذلك فعلوا بالنسبة لمفهوم ال Vocal Cords من معاني Cord "الحبل" إلا أن واضع هذه التسمية[3] كان يشبه

---

(١) وهو المعجم الموحد "الجزء ٤ مصطلحات علم الحيوان".

(٢) وهو من معاني voile ولكن المقصود هنا هو معنى الغشاء لا الحجاب والشراع.

(٣) وهو فيزيولوجي فرنسي اسمه Ferrein قدم بحثاً للمجمع العلمي الفرنسي في ١٧٤١ ميلادية اقترح فيه هذه التسمية انظر Memoire de Academies dessciences سنة ١٧٤١ ص409-430.

العضلتين الرقيقتين اللتين تحدثان الصوت في الحنجرة بأوتار الآلات الموسيقية ولم يقصد "الحبال" التي تربط بها الرزم وغيرها! وقد بيّن بعض إخواننا الخلط الذي هو حاصل الآن، بسبب عدم اعتناء الواضعين بالمعاني الحقيقة التي قصدها واضعو المصطلح الأجنبي، وذلك كلفظة Polecat عربت بلفظة "سنور القطب" ظن المترجم أن Pole هنا هو القطب مع أن البحث عن أصل الكلمة بين أنها بمعنى الدجاجة.

أما تخصيص عامة المستعملين اللفظة العربية للمسمى المحدث فهذا أيضاً كثير وذلك مثل: الطيارة والبلدية والمصلحة والحوالة وغيرها. وقد وفّق الواضع الأول (المجهول غالباً) في الكثير من هذه التسميات المولدة ودخلت في اللغة المحررة. وهكذا توضع المصطلحات في البلدان التي بلغت مستوى عالياً من العلوم والتكنولوجيا، فعامة الخبراء في علم أو فن مخصوص هم الذين يصوغون الألفاظ التي يحتاجون إليها عند ظهور الشيء المحدث لا اللغويون. إلا أن هؤلاء قد يوجّهون الواضعين بل ويرشدونهم إلى بغيتهم. ونذكر هنا مثال الـSoftware وهو مجموع البرامج التي تستعمل في العلاج الآلي للمعلومات (= المعلوميات informatics في مقابل الـHardware فإن اللغويين الفرنسيين وضعوا كلمة Logiciel (في مقابل Materiel) فنجحت وتغلبت على الكلمة الإنكليزية.

ومن أسباب النجاح أن فيها نوعاً من الطباق اللفظي والمعنوي مع مقابلها (زيادة على خفة مخارجها) إذ توحي إلى المعنى المقصود: وهو الترتيب المنطقي للتعليمات نفسه في مقابل الآلة الرتابة ordinatur التي تستغل هذا الترتيب وتطبقه على معطيات معينة للوصول إلى نتيجة (قارن بنتيجة المحاكمات

العقلية)[1] أما فيما يخص اللغة العربية فإن أصحابها لم يتمكنوا بعد من التحكم الخلاق في ميدان التكنولوجيا ولهذا يثار موضوع الوضع في الكثير من الأحيان في المحافل والمؤسسات ذات الطابع اللغوي مثل المجامع. وهذا يؤدينا إلى الكلام عن النوع الأخير من وسائل الوضع وهو التخصيص المدروس المنتظم للمصطلحات.

الأدوات اللازمة لوضع المصطلحات

قلنا التخصيص المنتظم ولكن لا بد من التحفظ في إطلاق هذه الصفة فقد قلنا في بحث سابق بأن البحث في المصطلحات لا يزال في الوطن العربي قليل النجاعة فإذا أردنا أن تتغير أحوال هذا البحث فلا بد أن يستجيب لمتطلبات عصرنا الحاضر ولن يتم ذلك إلا باستيفاء عملنا – معشر العلماء واللغويين– لهذه الشروط:

١– أن ينبني على مجموعة واسعة جداً من المعطيات أي على مسح كامل:

- لما يجري الآن استعماله بالفعل في الوطن العربي بأكمله.
- ولما كان مستعملاً قديماً وورد في النصوص العلمية وهذا يقتضي:

٢– الرجوع إلى التراث العلمي العربي ولا يكتفى في ذلك بالمعاجم القديمة.

٣– أن ينطلق من أكثر من لغة لا من تصور واحد خاص بلغة أجنبية واحدة.

٤– أن ينظر في أسرار الاستعمال والاعتداد بقوانينه وإجراء الدراسات الواسعة النطاق لهذا الغرض وكل هذا يستلزم أيضاً:

٥– أن يعتمد لإجراء هذه الأعمال العظيمة على الآلات الإلكترونية الجبارة.

---

(١) التسمية العربية "رتاب" التي أطلقت على الحاسب الإلكتروني هي لهذا السبب أوفق لأن الحاسب لا يقوم فقد بعمليات حسابية (والتسمية الإنكليزية هي قديمة استعملت قبل أن تصير الحاسبات على هذا الشكل وذات القدرة على إجراء العمليات المنطقية غير الحسابية).

- الذخيرة اللغوية العربية

أما عدم الشمولية التي يتصف بها الكثير من البحوث، فلأنها لا تزال فردية وجزئية ويدوية ولم تصر بعد إلى ما يجب أن تصير إليه من تنظيم الأسر من الباحثين وتوزيع المهامّ عليها بحيث يقوم هؤلاء بإجراء التحريات في الميدان لتجميع المصطلحات المستعملة بالفعل في جميع البلدان العربية ويقوم أولئك بجرد كامل للأمالي والكتب والمنشورات العلمية وأسرة أخرى تكلف بتفريغ كل ذلك في جذاذات وهكذا. فهذا العمل الجماعي الشامل هو الذي يضمن الموضوعية المطلوبة لأن المسح المستفيض لجميع المعطيات بدون استثناء شيء منها هو شرط أساسي للعلم كما هو معلوم. ثم إن المعلومات المجمعة لا بد أن ترتب الترتيبات المختلفة لتكون سهلة المنال والاستحضار ولا بد أن لا يكتفى فيها بذكر المصطلح بل يحتاج الباحث أن يعرف أين يستعمل هذا اللفظ بالفعل، وبأي معنى وفي أي مراجع قد ورد، وكم مرة، أي ما هي درجة تواتره أو انتشاره وغيرها من المعلومات المفيدة التي ستكون كالمقياس لاختيار الألفاظ وتوحيدها. وهذا العمل الجبار لن يتم إلا باستعمال الآلات الإلكترونية العظيمة القوة. وقد طرحنا في عدة مناسبات هذا السؤال: كيف يمكن أن يضع الواضع منا للمسمى المحدث لفظاً عربياً مناسباً يحظى بجميع الصفات التي ستجعله يذيع ذيوعاً واسعاً إن لم تكن لديه وتحت تصرفه مجمّعة ومرتّبة كل الألفاظ الفصيحة (قديمة أو مولدة) التي تنتمي إلى المجال المفهومي الخاص بهذا المسمى؟ فهذه المعطيات المجمّعة المرتبة هي التي سميّناها بالذخيرة اللغوية العربية[1].

أوصاف الذخيرة وفوائدها وكيفية إنجازها

---

(١) بالإنكليزية The Thesaurus (or Treasure) of th Arabic language

إن الذخيرة اللغوية هي عبارة عن **قاموس جامع للألفاظ العربية**. ويفارق هذا القاموس غيره من القواميس (الحديثة بالخصوص) في هذا الصفات الأساسية:

١- سيكون له ثلاثة أشكال:

- شكل تسجيل في ذاكرة الرتّاب (الحاسب)
- شكل جذاذية عادية من جهة ومصغرة (ميكروفيشات تحتوي كل واحدة على ٦٠ صفحة) من جهة أخرى
- شكل كتاب عادي (موسوعة لغوية)

٢- يحصر جميع الألفاظ التي وردت لا في المعاجم العربية فقط بل تلك التي استعملت بالفعل في نص من النصوص التي وصلتنا من أمهات الكتب القديمة والحديثة والآثار الأدبية والعلمية والتقنية منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحاضر مع الإشارة إلى انتماء الكلمة أو العبارة إلى الفصيح المسموع عن الفصحاء السليقيين[1] أو المولّد الذي جاء على قياس كلام العرب.

٣- يذكر كل السياقات (**الحقيقية**) التي ورد فيها اللفظ ولا يخترع الأمثلة كما تفعله القواميس الحديثة بل يثبت جميع سياقاته من أمهات الكتب والآثار الأدبية والعلمية التي ورد فيها اللفظ مع ذكر المرجع بدقة ولا يكتفي بالسياق الواحد.

٤- ترتب فيه الأوضاع اللغوية (في ذاكرة الرتّاب) شتى الترتيبات:

- ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من الألفاظ).
- ترتيب أبجدي بحسب مجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني).
- ترتيب بحسب درجة تواتر الكلمة (عدد المرات التي ظهرت في النصوص).

---

(١) الذين أخذ منهم اللغويون العرب الأولون.

- ترتيب بحسب درجة شيوع الكلمة أي ذيوعها في البلدان العربية أي بحسب اتساع رقعة استعمالها[1]
- ترتيب بحسب العلوم والفنون.

هذا وتنقسم الذخيرة إلى قسمين:

- بنك المعلومات اللغوية (وفيه يندمج بنك المصطلحات)
- المعجم المحرّر

أما الأول فهو عبارة عن رصيد ضخم جداً جمعت ورتبت فيه المادة الخام (الألفاظ مع سياقاتها) التي دونها وجردها الباحثون مع ذكر كل المعلومات الإضافية الضرورية (التواتر والشيوع والمرجع أو مصدر الأخذ).

والثاني هو عبارة عن موسوعة يحرر فيها العلماء بحوثاً حول كل لفظة. فكل باب أو مدخل من هذا المعجم يحتوي على ما يلي:

١- **تحليل دلالي للفظة انطلاقاً من السياقات** وحدها ثم تحديدات علماء اللغة القدامى إن وجدت وذلك بـ:

- **التوضيح الدقيق:**
  - للمعنى الوضعي للمادة الأصلية (الجذر).
  - للمعنى الوضعي والمعاني الفرعية لكل كلمة اشتقت من تلك المادة (بالتمييز بين المعاني الفنية وغير الفنية).
- **ذكر المقابل الإنكليزي والفرنسي لكل كلمة إن وجدت** أو ما يقرب منه مع بيان الفوارق التصوّرية.

٢- تعليق نحوي وصرفي وجيز (وصوتي وهجائي إن اقتضى الحال) بالاعتماد على ما ذكره علماء اللغة والنحو قديماً (مع ذكر المراجع).

---

(١) أما ما سيطبع وينشر فستدمج فيه هذه المعلومات (التواتر والشيوع) ويكون الترتيب أبجدياً عاماً في طبعة ومفهومياً في طبعة أخرى.

٣- تعليق تاريخي للمادة وفروعها (انطلاقاً من تحليل النصوص أو المقارنة بينها)

- بيان أصل الكلمة إن كانت من الدخيل وتفسير تكييفها.

ذكر تاريخ أول ظهور الكلمة في النصوص التي لدينا (الأصلية والدخيلة)

- ذكر تاريخ أول تحوّل دلالي للكلمة (والسياقات التي ظهرت فيها المعاني المستحدثة)
- ذكر تاريخ آخر ظهور لها إن اختفت في الاستعمال.
- وصف إجمالي تفسيري للتطور اللفظي والدلالي للكلمة
- بيان نظائر الكلمة في اللغات السامية (مع ذكر المواد الأصلية)

٤- **ذكر درجة تواتر الكلمة** حسب العصور والبلدان وبالنسبة للآثار العلمية والأدبية إن اقتضى الحال.

٥- **بيان شيوع الكلمة** الجغرافي (حسب العصور أيضاً).

٦- **ذكر المرادفات والأضداد** للكلمة إن وجدت وكذلك الألفاظ التي **تجانسها في المفهوم.**

٧- **ذكر الدراسات التي خصصها العلماء لهذه الكلمة** أو تلك المادة.

أما فوائد هذه الذخيرة فهي كثيرة جداً ومتنوعة. فبالنسبة لوضع المصطلحات فإن الواضع إذا أراد أن يعرف هل يوجد في العربية أو في الاستعمال الراهن لفظ أو أكثر من لفظ يدل على مفهوم خاص فلا يمكنه في الوقت الراهن أن يجد مرجعاً موثوقاً يستجيب لطلبه بأن يجمع له كل الألفاظ التي تنتمي إلى المجال المفهومي الخاص الذي يهمه اللهم إلا بعض المعاجم المحدودة المجال. وأما القواميس المزدوجة اللغة الحالية فقد وضعت للاستعمال لا للوضع ثم حتى لو فرضنا أن المستعمل قد يكون واضعاً في نفس الوقت إذا قصد ترجمة الألفاظ الأجنبية فإن هذه المعاجم هي الآن

ضئيلة المادة ولا يمكن أن تستجيب لطلبات المترجمين الهائلة فضلاً عن التخليط والأغلاط الفاحشة[1] التي يتصف بها أكثرها. أما القواميس الوحيدة اللغة (القديمة خصوصاً) فاللغوي كما هو معروف يبحث السنين الطوال أحياناً حتى يقع بالصدفة على بغيته. وهذا عمل اعتباطي غير علمي لأن العلم هو على حد تعبير علمائنا حسّ ونظر أي استقراء وتصفّح كامل ثم صياغة عقلية. فأما إذا كان لدى الواضع ما يسمى ببنك المعلومات اللغوية كما سبق أن وصفناه فإنه يمكنه – أينما كان في الوطن العربي– أن يلقي أسئلة على الرتّاب بواسطة الآلات المهيأة لذلك[2] كأن يريد أن يعرف المجال الدلالي الخاص بأمراض الخيل أو الضأن أو المجال الخاص بالمرتفعات والتضاريس أو المجال الخاص بأدوات الحفر والتنقيب وهكذا، فإنه يكفيه أن يحرّر سؤاله على ملمس الطرف فتظهر بعد ثوان على الشاشة جميع الألفاظ العربية التي تدخل في هذه المجالات الدلالية القديمة والمولّدة بما في ذلك المصطلحات الحديثة أيضاً. ويحصل إن شاء أيضاً على جميع سياقاتها التي وردت فيها في زماننا أو في عصر من العصور ومراجع هذه السياقات وذلك بواسطة طابعة ملحقة بالدماغ الإلكتروني وهكذا يستطيع الواضعون اختيار اللفظ المناسب من بين العشرات من الألفاظ المتجانسة المعنى فهي كلها محصورة وتحت تصرفه. وهذا يوفر له الوقت ويضمن موضوعية الاقرار للفظ وأهم شيء في هذه الموضوعية هي مقياس التواتر والكثرة والشيوع وبذلك يتفادى النادر والشارد وهو الذي سمع من رجل واحد مرة في حياته. (ولا يلجأ إلى هذا النوع من الألفاظ إلا عند الحاجة أي ليطلقه مثلاً على المفهوم القليل الدوران أو الغريب)[3] ويجب التنبيه على أن هذه الذخيرة قد تخلو على

---

(١) بسبب التساهل المنهجي (المهول) وقد يبين ذلك أكثر من واحد. ثم هذه القواميس لا تذكر أبداً مرجع الكلمة (في أي نص وردت).

(٢) وهي جد متوافرة الآن في البلدان العربية. والسؤال يقع بواسطة "الطرف" Terminal وهو عبارة عن شاشة وملمس يتصلان بالدماغ الإلكتروني من جهة وبالباحث (هاتفياً مثلاً) من وجهة أخرى.

(٣) هذا فضلاً عن الفوائد التي يجدها المؤرخ والعالم الاجتماعي وغيرهما.

الرغم مما تزخر به من ملايين السياقات وملايين الألفاظ المكررة في سياقات جدّ مختلفة؛ قلنا قد تخلو من اللفظ المطلوب فعند ذلك – وعند ذلك فقط – يمكن أن يلجأ إلى التوليد بالاشتقاق من مادة معينة (ينتقيها الواضعون من هذه الذخيرة) وعلى صيغة تؤدي المعنى المطلوب. فالاعتماد على الذخيرة هو رجوع إلى التراث وفي نفس الوقت رجوع إلى كل ما أحدث اليوم أو منذ الأمس القريب في مجال دلالي معين مما دخل في الاستعمال[1]. ويمكن أن نمثل لهذه الفوائد بمثال العلوم اللسانية التي هي من اختصاصنا. فقد عزمت على القيام بجرد لكل الألفاظ العربية التي استعملت قديماً في هذه العلوم وخصوصاً في الصوتيات وذلك انطلاقاً من كتب العلماء العباقرة الأولين أمثال سيبويه – والخليل من خلال ما روى عنه– ومدرسة ابن السراج وابن جني وكذلك الأطباء العرب مثل ابن سينا وغيره والموسيقيين العرب مثل الفارابي ومباركشاه وغيرهما. فبهذه الذخيرة الصغيرة استطعنا أن نصلح الكثير من المسوخ التي دخلت في استعمال بعض الأفراد ودوّنت في مشروع معجم اللسانيات الذي نقدمه مع مكتب تنسيق التعريب إلى هذا المؤتمر الموقّر وذلك كاللفظة التي سبق أن ذكرناها Voile du palais فإن ابن سينا يستعمل في كتاب "أسباب حدوث الحروف" وغيره من الكتب عبارة: "صفاق الشجر" والصفاق هو جلد البطن الرقيق فأما الشجر فتحدده المعاجم بأنه "مفرج الفم" وهذا تحديد غامض إلا أن النسبة إليه تطلق على جنس من الحروف مخرجها كلها وسط الحنك وعلى هذا فإن "صفاق الشجر" تسمية جد لائقة وما يؤيدها هو وجودها بالفعل في الاستعمال (وعند أكبر علماء الصوتيات الفيزيولوجيين قديماً). وهناك مفهوم آخر هو الVariant أو Allophone فقد استعمل العرب لهذا المعنى "الوجه" من وجوه الأداء "والمخرج" كمصدر (انظر قول الجاحظ: "المخارج لا تحصى، البيان ١/٣٤" و"البدل" الجائز أو الواجب في معنى Compinatory variant أو free Variant أو Conditioned Variant).

---

(١) أما ما لم يدخل فسيجده أيضاً لكن مصحوباً بهذه الملاحظة: وضعه الأستاذ فلان أو المجمع الفلاني ولم يرد في أي نص إلّا في قائمة أو معجم كذا.

ونذكر فائدة أخرى هامة جداً وهي المعلومات التي سيحصل عليها الباحث بعلاج الرتّاب للمعطيات واستخراج الجذور والصيغ وبالتالي إحصاؤها وحصرها مع الكشف عن أكثر هذه العناصر تواتراً في الاستعمال وأكثرها تفريعاً وأكثرها شيوعاً في وقتنا الحاضر وفي غابر الأزمنة. ثم التحديد الدقيق لمعاني كل صيغة باستقراء كل الكلمات المصوغة عليها. وهذا سيفيد الواضع لأنه سيجعل من هذه المعلومات الموضوعية – المستخرجة من واقع اللغة والاستعمال لا بالتخمين والانطباعات الذاتية – مقاييس لتوليد الألفاظ وتخصيص كل بناء ووزن بمفهوم علمي أو تقني على غرار ما يفعله الواضعون الغربيون بالسوابق واللواحق اللاتينية واليونانية. ولا بد من التنبيه على أن التصفّح الكامل – بالآلات العظيمة – هو الوسيلة الوحيدة التي تضمن الموضوعية والدقة العلمية(١).

أما كيفية إنجاز هذه الذخيرة فتكون بإنجاز العمليات التالية(٢).

١- القيام بمسح تدويني كامل شامل لكل ما يجرى استعماله في التخاطب الكتابي والشفاهي في جميع المؤسسات العلمية على مستوى العالم العربي كالجامعات ومراكز البحث والمختبرات والمصانع وورشات العمل والمناجم وسائر الأماكن التي يختص التخاطب فيها بلغة فنية معينة. وذلك بإجراء التحريات الميدانية الواسعة وبطرق ومنهجية معينة.

٢- القيام باختيار عينة كبيرة من الكتب العلمية والتقنية والأمالي والبحوث والمعاجم وغيرها القديمة والحديثة.

---

(١) ويستعان بما قد سبقنا به إلى ذلك علماؤنا القدامى للزيادة في الفائدة والمقارنة العلمية ونذكر خاصة كتاب الفارابي اللغوي (لا الفيلسوف) المسمى "بديوان الأدب" فيما يخص الصيغ. "ومقاييس اللغة" لابن فارس فيما يخص الجذور وكتاب العين للخليل (وكذلك بعض الأعمال **الإحصائية الحديثة القيّمة**).

(٢) اقترحنا مثل هذه الخطّة تقريباً في بحث سابق.

٣- القيام بتدوين كل هذه المعلومات بتخزينها في ذاكرة الرتّاب[1] ويجب أن يكون من أكبر وأقوى طراز - **(وهذا شيء قليل في حق لغة القرآن)**. ثم القيام بالعلاج الآلي لها باستخراج الجذور والصيغ واستقراء السياقات وتعداد درجة التواتر ويتم ذلك بمنهجية قد أعدّت في معهد العلوم اللسانية بالجزائر. (وقد قام هذا المعهد كما قلنا سابقاً بتخزين وعلاج أكبر قسط من الشعر الجاهلي وعلاج الرصيد اللغوي المغربي العربي).

هذا ولا ننسى دور الاستعمال - أي اختيارات الناطقين وإقبالهم على بعض الألفاظ ورفضهم للبعض الآخر. وهنا تظهر أهمية الدراسات التي ترمي إلى استكشاف أسرار هذه الظواهر وتفسيرها حتى يضع الواضعون ألفاظاً يكون لها حظ كبير من النجاح.

٤- القيام باستفتاءات واسعة النطاق على موقف المستعمل من الألفاظ المقترحة ويتم ذلك بإجراء التحريات في حقول محدودة على شكل استنطاق للأخصائيين وذلك بملء المستنطقات. ونفس التحري في نطاق أوسع يجري على أمواج الإذاعة والتفلزة وعن طريق الصحف ليَمسّ جمهور الناس. ثم القيام - في الوقت نفسه بدراسة علمية لما وضعه الناس والمؤسسات منذ أكثر من خمسين عاماً وخصوصاً المجامع والجامعات والبحث عما دخل من ذلك في الاستعمال ومحاولات الكشف عن أسباب النجاح والفشل.

أما القائمون بكل ذلك فنظراً لضخامة العمل فإنه ينبغي أن توزع المهامّ على جميع البلدان بإشراف جامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم). ونقترح أن تنشأ لجان محلية تتكون من 10 إلى 20 شخصاً

---

(١) أما التراث العلمي والأدبي القيم الغني بالمفردات والمصطلحات فيجب أن يواصل تدوينه طيلة سنين حتى يؤتى على كامله.

بين باحث ومساعد فني في داخل مؤسسة جامعية أو بحثية متخصصة يوكل إليها الإشراف على العمل. وتزود حكومة كل بلد هذه المؤسسة وهذه اللجنة بشيء من العدة (كأربعة أو ستة أطراف) لتدوين وتخزين المعطيات والاتصال المباشر في الوقت نفسه بالهيئة الفنية المكلفة بالتنسيق بين اللجان وتوزيع المهامّ وإدماج المعلومات في ذاكرة الرتّاب المركزي. وتكون هذه الأطراف أيضا وسيلة لكل الباحثين القاطنين في هذا البلد للسؤال عن المصطلحات.[1]

والله وليّ التوفيق.

(١) قدّم هذا البحث إلى المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان ما بين ٢١-١٩٨٥/٩/٢٥م.

معالم جديدة للمنهج المقارن بين اللغات السامية
جوانب انثروبولوجيّة ونفسية واجتماعية

للدكتور سمير ستيتية
جامعة اليرموك

مقدمة:

أدى اكتشاف اللغة السنسكريتية في القرن الثامن عشر الميلادي إلى ظهور علم اللغة التاريخي، وما ارتبط به من مقارنات لغوية. فقد قام فريق من العلماء المتخصصين بدراسات مقارنة بين اللغات الهندو أوروبية، وتوصلوا إلى نتائج باهرة حول العلاقات التاريخية بين هذه اللغات، وكيفية تطورها، وتفرع بعضها عن بعض. بل إنهم استطاعوا أن يبنوا تصوراً واضحاً للأصول التي تفرّع عنها عدد من اللغات، وذلك بإعادة بناء هذه الأصول reconstruction من فروعها المستعملة.

وقد أفاد المستشرقون من هذه الدراسات في مقارناتهم بين اللغات السامية، وقدموا لهذا الميدان الكثير من الأبحاث والدراسات التي لم يُسبَقوا إليها. وقد كان العمل في ميدان المقارنات بين الساميات عملاً استشراقياً إلى حد كبير، في بدايات هذا العمل بخاصة، حتى إن أحد العلماء المعاصرين، يرى أنه سيمضي وقت طويل قبل أن يقف علم المقارنات بين اللغات السامية على قدم وساق في البلاد العربية[1] مشيراً بذلك إلى أن المستشرقين هم أصحاب قصب السبق والقدر المعلّى في هذا المجال، حتى أيامنا الحاضرة.

---

(١) رمضان عبدالتواب، مقدمة ترجمته لفقه اللغات السامية ص٧.

ولا أنكر أن بعض العلماء العرب الأقدمين قد فطنوا إلى العلاقة بين اللغة العربية واللغات السامية. فلقد أشار الخليل بن أحمد إلى العلاقة بين العربية والكنعانية[1] وكذلك أشار ابن حزم إلى أن العربية والسريانية فرعان لأصل واحد، وأنهما تفرعتا مع الزمن، من هذا الأصل[2] بل إن بعض علماء العرب قد أفرد كتباً مستقلة لرصد ما في العربية من كلمات دخيلة، سامية كانت أم غير سامية، وذلك كما فعل السيوطي في كتابه "المذهب" والجواليقي في كتابه "المعرب" ولكن ذلك، على أهميته، لا يتفق مع المنهج الجديد في المقارنات بين الساميات.

المنهج المتبع

درج المستشرقون في مقارناتهم بين اللغات السامية على الحديث عن تاريخ اللغات السامية، وكيف تفرّعت عن السامية الأم، حتى أصبحت لغات مستقلة. ولقد اعتمدوا في ذلك على مصادر تاريخية ودينية، كما اعتمدوا على النقوش والآثار التي وجدوها في مناطق مختلفة من الشرق الأوسط.

واهتم الباحثون في هذا الميدان، وجلّهم من المستشرقين، بالمقارنة بين فونيمات اللغات السامية، بالمقارنة بين الظاهرات والتغييرات الصوتية، في هذه اللغات، من مماثلة assimilation ومخالفة dissimilation وقلب مكاني metathesis وحذف deletion وزيادة insertion وإمالة، وغيرها من الظاهرات الفونولوجية.

واهتموا كذلك بالمقارنة بين الأنظمة الصرفية، في لغتين أو أكثر من هذه اللغات، وذلك بإبراز السوابق Prefixes واللواحق sufixes والدواخل infixes عند تصريف الأفعال مثلاً، وتغير هذه اللواصق أو بعضها، تبعاً لتغيُّر زمن الفعل

---

(١) الخليل بن أحمد، **العين ج١** ص٢٣٢.

(٢) ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام** ج١ ص٣٠.

(ماض، مضارع، أمر) والعدد (مفرد، مثنى، جمع) والجنس (مذكر ومؤنث). كما اهتموا بسائر الموضوعات التقليدية في الصرف، فجعلوها مدار مقارناتهم بين اللغات السامية.

ولست أنكر أنهم أولوا المقارنة بين أنظمة الجمل في اللغات السامية عناية خاصة وذلك كما فعل بروكلمان الذي خصص جزءاً من كتابه semitische sprachwissenschaft لدراسة نظام الجملة في اللغات السامية. لكن هذا المجال من المقارنة، لم يلق اهتماماً كبيراً، بالدرجة نفسها التي لقيتها دراسة المقارنات في الأصوات والصرف بين اللغات السامية.

ومما يلاحظ، أن علماء مقارنة الساميات، يهتمون برصد الظاهرات اللغوية في هذه اللغات، أكثر من اهتمامهم بتفسيرها، بخلاف ما نراه في درس اللغويات المقارن بين اللغات الهندو أوروبية.

إن تفسير الظاهرات اللغوية، في أسرة لغوية واحدة، من أهم وظائف علم اللغة التاريخية. وإن هذا التفسير يتطلب، بداهة، ربطها بجذورها الانثروبولوجية والاجتماعية، وردّها إلى أصولها النفسية والثقافية، فإن "ارتباط اللغة بوظيفتها أو بوظائفها المختلفة في الجماعة اللغوية، يؤثر بالضرورة، في حياة اللغة. فهناك فرق بين أن تكون اللغة لغة جماعة محدودة، أو أن تكون اللغة الرسمية في دولة عظمى، أو أن تكون لغة حضارة دولية[1] ولهذا، لا يكفي رصد الظاهرات اللغوية، في المجموعة السامية، دون تفسيرها في ضوء المعطيات المشار إليها أعلاه. ولئن كان أئمة درس المقارنات بين الساميات قد أجادوا بدقة رصدهم الظاهرات اللغوية، فقد تركوا لمن بعدهم مهمة التفسير، وذلك برد الظاهرة إلى أصولها الثقافية والاجتماعية والنفسية.

---

(١) محمود فهمي حجازي. **علم اللغة العربية**، الكويت، ١٩٧٣، ص٤٠.

ومما يلاحظ في ميدان المقارنة بين الساميات، أنه إذا حدث أن فسرت ظاهرة ما، أسقط من الاعتبار بعض العوامل الموضوعية، التي يجدر أن تظل في دائرة الضوء، والتي يمكن أن تحمل بين طياتها حلاً مقبولاً لظاهرة ما، لقد حاول الباحث الأميركي Michale Brame تفسير عدم إدغام اللام في (أل) التعريف بالجيم العربية المعطشة[1] (J) فارتأى أن اللام لا تدغم في الجيم على الرغم من كون الأخير صوتاً صامتاً Consonant واكليلياً Coronal، وعلى الرغم من أن اللام تدغم في الصوامت الاكليلية جميعاً) لأن الجيم المعطشة متطورة عن الجيم السامية (g) التي تنطق كالجيم المصرية. ولما كانت اللام لا تدغم في الجيم الحنكيّة المتأخرة – أي الجيم السامية– فقد عولمت الجيم المَعّطشة معاملتها، أي أنها عوملت باعتبار ما يعامل به أصلها السامي g.

لا يخفى ما في هذا التفسير من تكلف، وكان يغني عنه النظر في جميع ملامح الجيم المعطشة (J) لنخرج بأن هذا الصوت يتميز بملمح ليس موجوداً في جميع الصوامت التي تدغم فيها اللام. هذا الملمح هو أن الجيم المعطشة صوت مركب. وهو إذن ملمح فارق، ليس موجوداً في سائر الأصوات التي تدغم فيها اللام، فلا يدرج معها، ولا يوضع معها في زمرة واحدة. وعليه، يكون حل معادلة إدغام اللام في بعض الصوامت كما يلي:

$$[+\text{def}] \longrightarrow Ci \,/\, \longrightarrow Ci \begin{bmatrix} +\text{cor} \\ -\text{aff.} \end{bmatrix}$$

---

(١) Michale Brame **Arabic Phonology** Nonpulished P.h. D dissertation M. IT 1970 P 220.

وتقرأ المعادلة كما يلي: تدغم لام (أل التعريف) بالصامت الذي يليها بشرطين: أن يكون اكليلياً [cor +]، وألا يكون مركباً [aff –].

تفسير الظاهرات اللغوية:

إن الهدف الأساسي من هذا البحث، هو ربط الظاهرات اللغوية المتنوعة، في اللغات السامية، بالعوامل الانثروبولوجية والاجتماعية والنفسية والثقافية للشعوب السامية. وأقدم فيما يلي بعض الظاهرات الصوتية والصرفية والتركيبية؛ لأبيّن كيف يمكن تفسيرها في ضوء هذه الاعتبارات.

١ – في الأصوات:

إن ربطنا لدراسة الأصوات في اللغات السامية بالعوامل الثقافية، يعطينا تفسيراً مقبولاً لعدد من الظاهرات الصوتية في هذه اللغات. فالسبب الثقافي الديني هو الذي يجعل أفراد الطائفة السامرية في مدينة نابلس مثلاً، ينطقون بعض الأصوات الصفيرية فيما بينهم دون صفير، زعماً منهم بأنهم يقلدون موسى عليه السلام في نطق هذه الأصوات. فهم ينطقون الزاي z وكأنها ذال (ð) وينطقون السين والشين (S) S وكأنهما ثاء (θ) وبعض رجال الدين منهم لا ينطقون الأصوات الصفيرية، عن عمد، لا عن عجز ولا قصور.

ويبدو أن الخلاف الديني والاجتماعي بين اليهود والسامريين، قد أدى إلى فروق لغوية كثيرة حتى في الأصوات. ولا غرابة في ذلك؛ فهناك من يعزو ترك اليهود لخطهم القديم. الذي كان يعتمد على الخط الكنعاني، واستعمالهم الخط الجديد المربع، إلى الخلاف بين اليهود والسامرة، إذ إن اليهود كرهوا أن يساويهم السامريون في كل شيء، فتركوا خطهم، وراحوا يكتبون بالخط الجديد[1] ولعل

---

(١) عوني عبدالرؤوف، **قواعد اللغة العربية** ص١٨.

دراسات أعمق لمجتمع السامريين، وأعرافهم الدينية، تؤدي إلى كشف بعض الحقائق اللغوية، مما يفيد في درس الساميات المقارن.

إن ارتباط الساميين بلغاتهم، لا يقل عن ارتباطهم بجنسهم، ونطق بعض جماعاتهم لبعض الأصوات، مختلفاً عن نطق جماعات أخرى لهذه الأصوات، يمكن أن يكون من أهم مكوناتهم النفسية. فهو ليس مجرد اختلاف في النطق وحسب، وإنما هو، إلى ذلك، عامل نفسي اجتماعي. فقد ورد في العهد القديم أن إحدى القبائل في عهد إبراهيم عليه السلام، كانت تنطق السامخ (S̄) وهو صوت بين السين والشين، شيناً، ظاهر هذه الإشارة يتحدث عن اختلاف لهجي، ولكن مضمونها يحمل بين طياته، لوناً من النقد المبطن لهذه القبيلة التي تخلت عن نطق السامخ.

إننا لا نستطيع أن نستوعب مفهوم الفصاحة eloquency عند العرب، إلا إذا عرفنا أبعاده اللغوية والنفسية والاجتماعية، فالبعد اللغوي للفصاحة يتمثل في كون الألفاظ بيّنة ظاهرة، متبادرة إلى الفهم، وفي كون الكلمة متآلفة، يسهل على اللسان نطقها من غير عناء، مع وضوح معناها[1] ويتمثل البعد الاجتماعي للفصاحة في أنها أنموذج ومعيار سلوكي behavioral norm في المجتمع العربي، يمتدح لأجله من يكون فصيحاً، ويذم من يكون غير ذلك. وقد ارتبط نطق معيّن لبعض الأصوات العربية، بمفهوم الفصاحة عند العرب، مما يوحي بأن الأمر لم يعد أمر نطق معين، وإنما اتخذ، إلى جانب ذلك، بعداً اجتماعياً ونفسياً. روي عن عمر بن الخطاب أنه كان من أفصح الناس، لأنه كان ينطق الضاد من الجانب الأيمن، مثلما كان ينطقها من الجانب الأيسر إن شاء.

---

(١) أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة** ص٧.

إن تسمية العربية بأنها لغة الضاد يؤيد ما نحن بصدده، من أن نطق أصوات معينة، بكيفية معينة، اتخذ بعداً اجتماعياً ثقافياً. وإذا أردنا أن نناقش صحة تسمية العربية بهذا الاسم، كان علينا أن ننظر في الوصف التاريخي لهذا الفونيم. يقول سيبويه: ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها[1] ولقد ذهب بعض اللغويين المعاصرين إلى افتراض أن يكون سيبويه، ومن بعده من اللغويين، قد أخطأوا في وصف هذا الفونيم، فظنوه رخواً لا وقفيّاً، أو أن نطق الضاد كان مثل نطق الضاد، على نحو ما هو معروف في بعض اللهجات العامية المعاصرة، في كثير من البلاد العربية[2].

أما الافتراض الأول، وهو أن سيبويه وسائر اللغويين، قد أخطأوا في وصف هذا الفونيم، فيرده أن سيبويه قد قرن بين النظائر، بصورة يزول معها الاحتمال بأنه وقع في الخطأ. فهو يقابل بين الصاد والسين، ويقابل بين الذال والظاء، باعتبار الإطباق وعدمه. ولكنه لا يقابل بين الدال والضاد باعتبار الإطباق، فهو إذن يعي ما يقول.

وهو لذلك غير مخطئ بعدم مقابلة الضاد بالدال، مما يدل على أن الضاد لم يكن الصورة المفخمة للدال.

وأما الافتراض الثاني، وهو أن الضاد كان ينطق مثل الظاء، فرأي مرجوح، وقول مردود. ولا يشفع له أن الضاد ينطق ظاء في كثير من اللهجات المحكية المعاصرة في البلاد العربية. بل إن هذا القول مدفوع بما يلي:

---

(١) سيبويه.. **الكتاب ج٤** بتحقيق عبدالسلام هارون، ١٩٧٥، ص٤٣٦.

(٢) كمال بشر. **علم اللغة العام – الأصوات**، ص١٠٥.

١- أننا لا نجد عالماً واحداً يصف الضاد بأنه كأن ينطق ظاء. بل لم نجد عالماً واحداً يصف الظاء بأنه صوت ينطق جانبياً، كما كان حال الضاد، الذي وصفه علماء العرب جميعاً، بأنه ينطق من الجانب الأيمن، أو من الأيسر، أو منهما معاً.

٢- وصف العرب لغتهم بأنها لغة الضاد، ولم يصفوها بأنها لغة الظاء. وهو اعتراض نرد به، كذلك، على من يزعمون أن النطق القديم للضاد، هو نفس النطق المعاصر للضاد في العربية الفصيحة المعاصرة. فلو كان الضاد ينطق وقفياً على نحو ما ننطقه، معاشر المتخصصين، هذه الأيام، لما سمّى العرب لغتهم لغة الضاد. فالضاد الوقفي كان موجوداً في اللغة الحبشية، وكان العرب يعرفون ذلك، لأن جالية من الأحباش كانت تعيش في مكة، وكان بلال بن رباح، مؤذن الرسول ﷺ منهم. وإذن، فلا بد أن يكون نطق الضاد العربي مختلفاً عن نطق الضاد في الحبشية، حتى تسوغ تسمية العربية بأنها لغة الضاد. والنتيجة، أن تسمية العربية دون سائر الساميات، بلغة الضاد متسق مع الحقيقة، بشرط أن يكون الضاد كما وصفه سيبويه وغيره، لا كما ننطقه في فصيحتنا المعاصرة، إذ إن الصيغة النطقية الأخيرة موجودة في اللغة الحبشية Gazi. وتسمية العربية بأنها لغة الضاد، اتخذ بعداً اجتماعياً ونفسياً، فيه شيء من نظرة التميز والعلوّ.

ستة أصوات في العبرية القديمة تنطق وقفية شديدة، إذا لم تكن مسبوقة بحركة. وتنطق رخوة، إذا كانت مسبوقة بحركة. هذه الأصوات هي:

/ ב ، ג ، ד ، כ ، פ ، ת /

هذا في العبرية القديمة، أما في العبرية الحديثة، فاليهود الشرقيون، دون الغربيين، ما زالوا يحتفظون بالطريقتين السابقتين في النطق، في ثلاثة أصوات فقط من الستة السابقة وهي:

وهو خلاف قد يعزى إلى أسباب ثقافية، فالشرقيون من اليهود، أقل إقبالاً على التطور والتغيير من نظرائهم الغربيين. ولا بد أن أقرر هنا أن الإنسان الشرقي أقل قابلية للتطور من الإنسان الغربي، على نحو ما ذهب إليه بعض علماء الانثروبولوجيا ولكنني أذهب إلى القول، إن الإنسان الشرقي، أكثر محافظة على قيمه وتراثه من الإنسان الغربي.

يتبين مما سلف، أن ثمة ظواهر صوتية في اللغات السامية، يمكن أن تجد أجوبة مقنعة، إذا درست في أطر اجتماعية ونفسية وانثروبولوجية. ولست أدّعي أن كل ظاهرة صوتية يمكن أن تدرس أو تفسّر بهذه المعايير. ولكنني أقول إن فيها ما يدفع الدرس اللغوي المقارن بين اللغات السامية، دفعة قوية إلى الإمام.

٢- في الصرف

غني عن البيان أن درس المقارنات بين اللغات السامية، يؤدي إلى فهم أفضل لهذه اللغات، ومعرفة الصفحات المطوية من تاريخها. ولنأخذ مثالاً لذلك ما يسمى في علم اللغة المعاصر بالبنية التحتية underlying form. فالصرفيون العرب افترضوا أن الألف في الأفعال الثلاثية المعتلة والناقصة، منقلبة إما عن ياء وإما عن واو. فـ "قال" أصلها "قَوَل" و"رمى" أصلها "رمي"، بل ذهبوا إلى أن الفعل الثلاثي في مثل "ردّ" و"عد" و"جزّ" منقلب عن أصل، هو في هذه الأفعال "ردد" وعدد و"جزز".

وقد ذهب بعض المعاصرين إلى ردّ افتراضات الصرفيين، بحجّة أن اللغة تدرس على ما هي عليه، لا في ضوء افتراضات ليس عليها دليل. ولو أن هؤلاء المعاصرين نظروا في اللغات السامية، قبل إصدار أحكامهم، لما أصدرها. ففي الحبشية نجد أنهم يستعملون الفعل، مشابهاً للصورة التي افترضها الصرفيون، ورفضها بعض المعاصرين، وذلك كما في الجدول التالي:

الكلمة الحبشية	نطقها بالعربية	كتابتها الصوتية	المعنى
	بَيَنَ	Bayana	تحقق
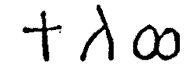	تَلَوَ	Talawa	تلا
	دَيَنَ	Dayana	دان
	رَمَيَ	ramaya	رمى

وفي العبرية نجد نظيراً للفعل المضعف العربي، وقد فُكّ تضعيفه في العبرية، وذلك كما في الجدول التالي:

الكلمة العبرية	نطقها بالعربية	كتابتها الصوتية	المعنى
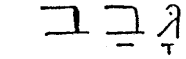	چاڤـــف	ga:vav	لمّ، جمع
	چـــاذذ	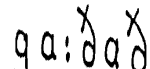	قطع، قصّ
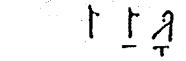	چـــازر	ga:zaz	قصّ

ليس غريباً أن يكون في اللغات السامية كلمات مشتركة، يتطابق لفظها بين لغتين أو أكثر، وقد يتطابق اللفظ والمعنى. وقد وجدنا علماء المقارنة بين الساميات يهتمون برصد الكلمات المتشابهة في اللغات السامية. غير أنهم لا يكادون يذهبون

إلى ما وراء ذلك؛ فقلما يتعرضون لدراسة تطور الألفاظ، وكيف تطورت دلالاتها من لغة سامية إلى أخرى؛ فكثيراً ما يحدث أن تدل الكلمة الواحدة في لغة سامية ما، على نقيض ما تدل عليه في لغة سامية أخرى، وذلك مثل الفعل 'أبى' في العربية، والذي يقابله في العبرية 'أفا'، الذي يعني شاء ورضي. وقد تستعمل الكلمة الواحدة للدلالة على المعنى وضده في اللغة الواحدة[1].

إن قوانين علم اللغة التاريخي، تفسر تطور الألفاظ ودلالاتها. وقد استخدمت هذه القوانين استخداماً جيداً في تفسير تطور اللغات الهندو أوروبية. ولم تستخدم هذه القوانين بكفاية، في تفسير تطور الكلمات ودلالاتها في اللغات السامية. وتتطوّر دلالات الكلمات في اللغة عادة ضيقاً واتساعاً. فإذا اتسع محتوى الكلمة ضاق مجالها وإذا ضاق محتواها اتسع مجالها[2] وإنما يتسع محتوى الكلمة أو يضيق، تبعاً لعوامل انثروبولوجية اجتماعية، أو نفسية وثقافية. ونأخذ مثلاً لهذا النوع من التطور كلمة 'نفس' في العربية، ونظيرها العبري 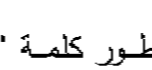 والسرياني فهذه الكلمة تطلق في اللغات الثلاث، على النفس الحية، وعلى جسد الميت. وإنما كان الأمر كذلك لأن محتوى الكلمة أصلاً، كان يتضمن كل ذي جسد حي؛ ليكون مجالها الإنسان حياً. ثم ضاق محتوى الكلمة، ليصبح 'كل ذي جسد حي' فاتسع مجالها وأصبح الجسد حياً وميتاً. وهذا مبين في التوزيع التالي:

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب د. ربحي كمال، **التضاد في ضوء اللغات السامية**، ١٩٧٥.

(٢) Thomas pyles **The Origins and Development of the English Language** 1971 p345.

الكلمة	المحتوى	المجال
نفس	كل ذي جسد حي (اتّسع)	الجسد الحي فقط (ضاق)
نفس	كل ذي جسد (ضاق)	الحي والميت (اتسع).

قلت إن الضيق والاتساع، قد يتمان بتأثير عوامل اجتماعية وثقافية ونفسية. وهو في هذا المثال واضح بين. فالعقلية السامية تكره الموت وتأباه. لكنها في المقابل، تؤمن به لعوامل ثقافية دينية. وإذن، فلا بد من إضفاء بعض الخصائص على الميت، مما يعطي للحي أصلاً. وكان أن أعطي لجسد الميت كلمة "نفس" وهي مما يعطى للحي.

إن معرفة الأساطير عند الأمم السامية الوثنية. ومعرفة القصص الديني في الأديان السماوية التوحيدية، تخدمنا في تفسير الأعلام في كثير من الأحيان. نأخذ لذلك مثلاً ظاهرة انتشار كلمة "عبد" وما تضاف إليه في العربية، على نحو أكثر مما نراه في سائر اللغات. وربما كان بعض الناس يتوقع وجود هذه الظاهرة في العبرية أكثر مما في العربية، فاليهود عاشوا عبيداً مذللين، في مصر، أيام الفراعنة. وقد استمرأوا العبودية، كما يروي تاريخهم. ولكننا لا نجد في أسمائهم عبدالحق، وعبدالرحمن، وعبدالناصر، وعبدالقوي، وعبدالله، وعبدالجبار. ولكننا نجد مثل ذلك في العربية، حتى في الجاهلية، حيث يشيع لفظ العبودية مضافاً إلى بعض أسماء الله عز وجل، بل إلى الأصنام وبعض الظواهر الطبيعية مثل عبد شمس، وعبد اللات، وعبد يغوث، وغير ذلك من نحوه. أقول نجد ذلك في لغة العرب الذين لم يعرفوا العبودية يوماً، ولا ذاقوا ويلاتها، بل عاشوا ذوي أنفة وعزة، على الرغم من شظف العيش، وقساوة الطبيعة. والذي أراه في تفسير هذه الظاهرة، هو أن العرب كانوا يربطون بين الرجولة والعبودية لمعبودهم، فأخذت الكلمة "عبد"

مجالها من الذيوع والانتشار في الأعلام، إلى أن رأينا ما رأيناه من شأنها في العربية.

تنعكس الطبيعة والبيئة العربية، على الأسماء والأعلام العربية، انعكاساً واضحاً جداً فالعرب يسمون أبناءهم كلباً. وجحشاً، وصخراً، وحجراً، وثعلباً، وأسداً، وعوفاً[1] وغير ذلك من نحوه وبابه.

وإذا ولينا وجهنا شطر الأعلام في العبرية، وجدنا ثمة العجب العجاب. فالمعتقدات الدينية هي سبب كثير من التسميات. فبابل مثلاً، دعيت بهذا الاسم لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض[2] وإبراهيم عليه السلام يُقَيِّدُ اسمه من ابرام إلى 'إبراهيم' بإضافة علامة الجمع اللاحقة (Plural marker) لأنه أصبح أبا لجمهور من الأمم 'فلا يدعى اسمك بعدُ إبرام، بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم[3]. والملاحظ على الرغم من هذا النص الواضح في التوراة أن اليهود يتسمون بـ 'افرام' و 'أبراهام' ويرغبون عن الاسم الذي فيه إشادة بأبي الأنبياء عليه السلام، وما سبب ذلك في نظري، إلا أن اليهود يريدون أن يستأثروا بإبراهيم، استئثاراً ينفي نسبة غيرهم إليه. وهذا يدلنا بوضوح أيضاً، على أن اللغة تتحكم فيها المواقف النفسية والاجتماعية والثقافية.

وفي اللغات السامية جميعاً، كلمات انحدرت إليها من أصول سومرية أو كنعانية. نأخذ لذلك مثلاً من العربية، 'شقائق النعمان' التي هي اسم لزهر بزي قان معروف في منطقة البحر الأبيض المتوسط. وأصل هذه التسمية مأخوذ من

---

(1) العوف هو الطائر. ومن الأسماء العربية الشهيرة عبدالرحمن بن عوف الصحابي الجليل. وبهذه المناسبة، فإن كلمة 'عوف' في العبرية تعني 'طائر' مثل العربية تماماً.

(2) العهد القديم، تكوين، ص١١.

(3) المرجع السابق، تكوين، ص١٧.

أسطورة سورية قديمة تدور حول مقتل "أدونيس" إله الزراعة والخصب عند السوريين آنئذ. وكان لـ "أدونيس" اسم آخر هو النعمان. ولما قتل أدونيس احمَرّ هذا النبت البري من دمه وسميت أزهاره "شقائق النعمان".

هذان وأصل "أدونيس" هو "آدون"، وإنما أضيفت إلى آخره السين من اللغة اليونانية حينما أصبح (هذا الإله). الكنعاني، معروفاً عند اليونانيين، وأصبح من آلهتهم.

وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى أن "تهامة" مأخوذ هو الآخر، من اسم الإلهة "تيامت" المعروفة في وثنية العراق، بكونها تهمين على الشطوط والسواحل ومصائد الأسماك[1].

٣- في النحو والتراكيب

أسلفت القول أن دراسة المجتمعات السامية، ومعتقداتها وكتبها الدينية، وثقافتها، ترفد الدراسة اللغوية المقارنة لهذه اللغات. وأضيف هنا، أن الدراسة اللغوية المقارنة يمكن أن توقفنا على فهم أشياء لم نكن لنجد لها بياناً شافياً. إن هذه المقارنات يمكن أن تدلنا على فهم أفضل لم ينتبه إليه أبناء اللغة وعلماؤها. ورد في قصة نوح في القرآن الكريم الآية التالية: "ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه"[2]. وقفت عند الواو الأولى في هذه الآية "ويصنع الفلك"، فما وجدت المفسرين يتحدثون عن هذه الواو بشيء، مع أن بعضهم أدرك أن الفعل المضارع "يصنع" يشير إلى الماضي ويتحدث عنه. فقد قال أبو حيان النحوي "ويصنع الفلك حكاية حال ماضيه[3]. وفي نظري أن الواو هي التي قلبت المضارع، فصرفت دلالته إلى الماضي. وهي لذلك صنو الواو العبرية التي تسبق

---

(١) حسن ظاظا. **الساميون ولغاتهم**، ١٩٧١، ص١٥.

(٢) سورة هود، ١١.

(٣) أبو حيان، **البحر المحيط ج٥**، ص٢٢١.

الفعل المضارع فتصرف دلالته إلى الماضي. فقد ورد في العهد القديم، عند الحديث عن قصة نوح أيضاً النص العبري التالي:

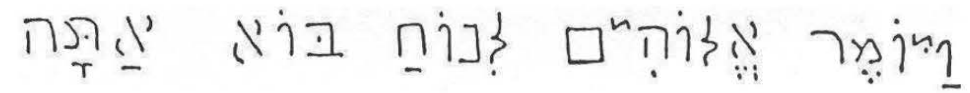

وترجمته الحرفية "ويقول الله لنوح ادخل أنت....." ولو أن النحاة العرب أفادوا من درس المقارنات، أو سلكوا سبيله، لأضافوا إلى رصيد الواوات في العربية هذه الواو.

بل إنني أذهب إلى أبعد من هذا، فأرى ظواهر لغوية كثيرة، في اللهجات المحكية في البلاد العربية، مما يمكن أن يفهم في ضوء المقارنات بين اللغات السامية. وأضرب لذلك مثلاً اللام التي تسبق المفعول به في كثير من اللهجات المحكية، فيقولون "أنا شفته لأحمد" يريدون "أنا رأيت أحمد" ويقولون "أنا ضربته لوليد" يريدون "أنا ضربت وليداً". وهذه اللام تسبق المفعول به في اللغة الحبشية، فيقولون مثلاً:

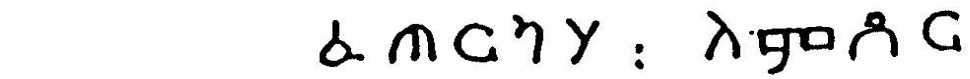

فاطركاها لَمْدر..، فتكون الترجمة الحرفية: خلقت للأرض، المراد: خلقت الأرض.

إن أهم مشكلة تجابه علماء العربية اليوم هي تفسير ظاهرة الإعراب. ولقد تعددت الآراء في هذه الظاهرة واختلفت، فإبراهيم أنيس مثلاً، يرى أن الأصل في كل كلمة سكون آخرها، وأن حركات الإعراب اخترعت للتخلص من التقاء الساكنين[1]. ويبرر إبراهيم أنيس ذلك بقوله إن اللغات السامية غير معربة، وكذلك

([1]) إبراهيم أنيس. **من أسرار اللغة** ص ص٢٢٤-٢٥.

اللهجات العامية[1] . وذهب إبراهيم السامرائي إلى القول إن "العربية شفعية التعبير منذ أن كانت، فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته، وهي ملتزمة بضوابط الإعراب، ولغة أخرى يقولها الناس ويستعملونها دون أن يلزموا أنفسهم بعناء هذه الضوابط"[2].

إن الذي ذهب إليه إبراهيم أنيس، من أن الإعراب اخترع للتخلص من التقاء الساكنين، مردود بما يلي:

١- إن المعنى يتغير بتغير الحركات الإعرابية في مثل: ضرب محمدٌ خالداً، فلو قلت: ضرب محمداً خالدٌ لاختلف المعنى. وهذا دليل على أن للإعراب وظيفة أخرى أكثر من مجرد وصل الكلام.

٢- لقد أصبح مسلّماً به في الدراسات اللغوية المعاصرة أن للإعراب وظيفة دلالية. فاللغة السندية مثلاً، يرتبط فيها الإعراب inflection بالمعنى. وكذلك الأمر بالنسبة للغات السامية.

٣- أما الادعاء بأن اللغات السامية ليست معربة، فمردود بأن اللغة الحبشية لغة معربة، وكذلك اللغة الاكادية.

٤- أما تحلل اللهجات المحكية من الإعراب، فليس دليلاً على أنه استعمل لمجرد وصل الكلام، وإلا لكان لنا أن نسأل إبراهيم أنيس لماذا أتى العرب بهذه الحركات المتنوعة لوصل كلامهم؟ ألا تكفيهم الكسرة مثلاً لوصل كلامهم كما هي الحال في الفارسية؟

---

(١) المرجع السابق، ص ص١٩٩-٢٠٠.

(٢) إبراهيم السامرائي. **التطور اللغوي التاريخي**، ص٦٨.

المراجع

أولاً: المراجع العربية والمترجمة

١- الأبراشي، محمد عطية وآخران. **المفصل في قواعد اللغة السريانية.** القاهرة، ١٩٣٣.

٢- ابن حزم. **الإحكام في أصول الأحكام**، القاهرة، ١٣٤٨هـ.

٣- أبو حيان النحوي، **البحر المحيط**، بيروت، ١٩٧٨.

٤- أبو هلال، أحمد. **مقدمة إلى الأنثروبولوجيا التربوية**، عمان، ١٩٧٤.

٥- أنيس، إبراهيم، **من أسرار اللغة**، القاهرة، ١٩٧٥.

٦- بروكلمان، كارل. **فقه اللغات السامية**، جامعة الرياض، ١٩٧٧.

٧- بشر، كمال محمد. **علم اللغة العام**، الأصوات، ١٩٧٣ القاهرة.

٨- حجازي، محمود فهمي، **علم اللغة العربية**، الكويت، ١٩٧٣.

٩- سيبويه، **الكتاب** بتحقيق عبدالسلام هارون. القاهرة، ١٩٧٥.

١٠- السامرائي، إبراهيم. **التطور اللغوي والتاريخي**، بيروت، ١٩٨١.

١١- سواح، فراس. **مغامرة العقل الأولى**، دمشق، ١٩٧٦.

١٢- ظاظا، حسن. **الساميون ولغاتهم**، القاهرة، ١٩٧١.

١٣- عبدالتواب، رمضان. **اللغة العبرية**، القاهرة، ١٩٧٧.

١٤- عبدالتواب، رمضان. **فصول في فقه العربية**، القاهرة، ١٩٧٧.

١٥- عبدالتواب، رمضان. **في قواعد الساميات**، القاهرة، ١٩٧١.

١٦- عبد الرؤوف، عوني. **قواعد اللغة العبرية**. القاهرة، ١٩٧١.

١٧- عبده، داود. **أبحاث في اللغة العربية**، بيروت، ١٩٧٣.

١٨- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. **العين**، بغداد، ١٩٦٧.

١٩- كمال، ربحي. **التضاد في ضوء اللغات السامية**، بيروت، ١٩٧٥.

٢٠- الهاشمي، أحمد. **جواهر البلاغة**، بيروت، بدون تاريخ.

ثانياً: المراجع الأجنبية

1- Anttila, **R. Anintroduction to Historical and Comparative Linguistics. N .Y.** 1972.

2- Beeston, A.F. **A Descriptive Grammar of Epiqraphic South Arabian**, London, 1962.

3- Brame, M. **Arabic Phonology**. NonPublished Ph.D. dissertation, M.I.T. 1970.

4- Friedrich, P. **Language, Context, and the Imagination**. tanford, 1979.

5- Jeffers, R .& lise Lehiste. **Principles and Methods for Historical Linguistics**. M .It. 1980.

6- Lightfoot, F. **Principles of Diachronic Syntas**. Campridge Un. Press, 1979.

7- Pyles, Th . **The Origins and Development of The English Language. N .Y**. 1971.

8- **Shopen, T, Languages and Their Speakers**. Cambridge, 1979.

من مظاهر المعيارية
في الصرف العربيّ

للدكتور فوزي الشايب
جامعة اليرموك

إن في الصرف العربي كثيراً من القضايا التي تحتاج إلى إعادة النظر، وإلى المراجعة، وبالتالي إلى الصياغة من جديد لتتفق مع معطيات علم اللغة الحديث، ولتصبح ممثلة للواقع اللغوي الحقيقي خير تمثيل. ذلك أن المنهج المعياري الذي كان الطابع العام للدراسات اللغوية التقليدية، قد تسبب في كثير من الأحيان في فصم عرى التواصل والانسجام بين القواعد والأحكام اللغوية من جهة، والواقع اللغوي الذي يفترض أنها تمثله من جهة أخرى، وهو ما جعلها تبدو نابية، وغريبة عنه. وهذا شيء طبيعي، نظراً لكونها لم تصدر عن وصف حقيقي لهذا الواقع، وإنما صدرت عن وصف لواقع لغوي آخر: واقع تاريخي، أو واقع وهمي، ليس له وجود إلا في ذهن الباحث نفسه. واللغويات الحديثة بوصفها الدراسة العلمية للغة، من أهم مميزاتها أنها علم وصفي لا معياري.[1] فأول عمل اللغوي هو أن يصف الطريقة التي يتكلّم ويكتب بها الناس لغتهم فعلاً، لا أن يفرض كيف ينبغي عليهم أن ينطقوا، أو يكتبوا. ولذا كانت الحاجة ماسة إلى المراجعة وإعادة النظر في كثير من القضايا اللغوية، على أسس علمية سليمة، لتكون أكثر دقة وأكثر علمية. وسأتناول في هذا البحث ثلاث قضايا تتجلى فيها المعيارية في أوضح صورها.

---

(١) Lyons. John-An Introduction to Theoritical Ling. 43.

القضية الأولى: في العلاقات بين الصوامت والحركات

لم يول القدماء الحركات القصيرة الأهمية نفسها التي أولوها للصوامت، ويرجع ذلك إلى عدم وجود رموز مستقلة للحركات القصيرة تكتب في صلب الكلم، وإنما توضع فوق الصامت أو تحته، وهذه التبعية الخطية التي فرضتها رسوم الكتابة العربية والسامية عامة، قد أوحت إلى القدماء فكرة تفوق الصامت وأهميته، وتبعية الحركة ودونيتها. فالتبعية الخطية ترتبت عليها تبعية وظيفية، وتبعية في القيمة والأهمية، مِمّا جعل القدماء ينظرون إلى الحركات وكأنها عناصر ناقصة، ضعيفة، لا تقوم بذاتها، وإنما تكون تابعة دائماً وأبداً للصامت. فالصامت متبوع، والحركة هي التابع، والمتبوع – من ناحية منطقية– أهم وأقوى بطبيعة الحال من التابع، إذ لا بد للتابع من متبوع يعتمد عليه، يوجد بوجوده، وينعدم بعدمه. قال الزجاجي:[1] "**والحركة لا تقوم بنفسها ولا توجد إلا في حرف**". وقال ابن جني[2]: "إن الحرف كالمحل للحركة، وهي كالعرض فيه، فهي لذلك محتاجة إليه، ولا يجوز وجودها قبل وجوده".

والصامت لقوته، مستقل مستغن بذاته، إذ قد يوجد ولا حركة معه، فهو ليس محتاجاً إليها كاحتياجها إليه. وهذا ما عبر عنه ابن جني بقوله:[3] "... ولكن لما كان الحرف أقوى من الحركة، **وكان الحرف قد يوجد ولا حركة معه**، وكانت الحركة لا توجد إلا عند وجود الحرف، صارت كأنها قد حلّته، وصار هو كأنه تضمّنها تجوزاً لا حقيقة". فالصامت الذي يعبرون عنه بالحرف يتفوّق على الحركة بشيئين:

---

(١) الإيضاح في علل النحو ٩٣.

(٢) سر صناعة الإعراب ٣٢.

(٣) نفسه ٣٦.

١- باستقلاله، وكونه متبوعاً لا تابعاً.

٢- بقوته.

ولا شك في أنهم يقصدون بالقوة ههنا قوة الصوت، قال ابن جني:[١] "ومعلوم أن الحرف أوفى صوتاً، وأقوى جرساً من الحركة". فالصوامت عندهم أصوات قوية، والحركات أصوات ضعيفة، قال ابن يعيش[٢]: "وقد كان المتقدمون يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، لأن الحركات أصوات، وإنما رأى النحويون **صوتاً أعظم من صوت، فسموا العظيم حرفاً والضعيف حركة**، وإن كانا في الحقيقة شيئاً واحداً". فالصامت عندهم أقوى وأكثر تمكناً من الحركة. قال في البسيط[٣]: "تمكن النطق بالحرف أقوى من تمكنه بالحركة".

هذا هو موقف القدماء من العلاقة بين الصوامت والحركات والذي قوامه القول بقوة الصامت واستقلاليته. وضعف الحركة وتبعيتها. وهذا الموقف في الحقيقة قائم على أسس معيارية بحتة، فالدراسة الوصفية تهدمه وتنسفه من أساسه، فليست الصوامت أوفى صوتاً، وأقوى جرساً من الحركات، وليس الصامت هو المتبوع والحركة هي التابع، بل العكس هو الصحيح.

إن الصوامت بوصفها دوال الماهية، تعد العنصر الأهم من الناحية الدلالية، ذلك أن بها وحدها تتكون الفكرة العامة، أو المعنى العام للكلمة، أما الحركات بوصفها دوال النسبة فوظيفتها توجيه المعنى العام أو تخصيصه. قال بروكلمان[٤]: "ويرتبط المعنى الرئيسي في الكلمة في ذهن الساميين بالأصوات الصامتة فيها،

---

(١) الخصائص ٣٢٣/٢.

(٢) شرح المفصل ٦٤/٩.

(٣) انظر الأشباه والنظائر في النحو ٢٠٨/١.

(٤) فقه اللغات السامية ١٤.

أما الأصوات المتحركة فهي لا تعبر في الكلمة إلا عن تحوير هذا المعنى وتعديله". وهذا يفسر لنا سر إهمال الكتابة العربية السامية عامة للحركات في الكتابة، واقتصارها على الصوامت، فقد شعر واضع الألفباء السامية أن الصوامت هي الجزء الذي لا يستغنى عنه بحال من الناحية الدلالية، ومن ثم أثبتها وحدها في الكتابة، تاركاً للقارئ مهمة اكتشاف الحركات بالاستناد إلى السياق. وعليه فإن صفة الثبوت في الصوامت، وصفة التقلب في الحركات هي التي أملت طبيعة الكتابة السامية التي جاءت تعبر عن العنصر الأكثر ثبوتاً وهو الصوامت، مهملة العنصر الأكثر تقلباً وهو الحركات.(١)

وإذا كنا نجد للصوامت مزيّة على الحركات من الناحية الدّلالية، فإننا لا نجد لها أية مزيّة من الناحية النطقية، ذلك أن الإنسان عندما ينطق يخرج كلامه على شكل تيار متدفق من الصوامت والحركات آخذاً بعضها بحجز بعض مشكلة نسيجاً صوتياً متكاملاً لا نكاد نتبيّن من خلاله الخصائص المميزة لعناصره الأولية. قال فندريس:(٢) "في كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، فهي تكون نظاماً متجانساً مغلقاً، تنسجم أجزاؤه كلها فيما بينها. هذه هي أول قاعدة من قواعد الصوتيات، وهي ذات أهمية قصوى، لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة بل من نظام من الأصوات". وقال جون ليونز John Lyons:(٣) "إن الصوت اللغوي في حال إنتاجه من قبل أعضاء النطق الإنساني يشكّل سلسلة متصلة ربما لا توجد خلالها أصناف طبيعية على الإطلاق".

---

(١) الكتابة العربية والسامية ٨٨.

(٢) اللغة ٦٢.

(٣) Lyons. J. An Introduction to theoritical Ling P. 103.

وعليه، فالقول بأن الصامت قد يوجد ولا حركة معه قول مردود، لأنه لا وجود للأصوات منفردة، ففي النطق لا يوجد صامت دون حركة، ولا وجود لحركة دون صامت، لأننا إنما نتكلم سلاسل صوتية متصلة، تكون الصوامت فيها بمنزلة الهيكل العظمي، والحركات بمنزلة الدم واللحم والعروق والأعصاب التي تكسو الهيكل العظمي، فتكسبه الشكل الملائم وتبعث فيه الحياة. ولا حياة للكلمة دون هذين العنصرين، بل لا حياة، ولا وجود لأي منهما دون الآخر، فكلاهما مفتقر إلى الآخر بالضرورة. وهذه حقيقة معروفة، ومن ثم فإن تجزئة الكلام إلى صوامت وحركات يعد عملاً اصطناعياً، الغرض منه فقط هو تيسير عملية الوقوف على حقيقة الأصوات وخصائصها وكيفية نطقها.

بيد أن الأصوات من الناحية الوظيفية، وهي الناحية الأكثر أهمية تظهر لنا الحركات في صورة المتبوع لا التابع، وبيان ذلك أن أقل ما ينطق به هو المقطع، والمقطع في حقيقة أمره هو أقل مجموعة من الأصوات، تحتوي على حركة واحدة، يمكن الابتداء بها والوقوف عليها.[1] ولكي نقرب الأمر أكثر فأكثر، نقول إن المقطع ما هو إلا هرم صوتي، وقمة هذا الهرم الصوتي تكون حركة دائماً وأبداً في العربية، في حين تشكل الصوامت القاعدة، والقاعدة مرتبطة بالقمة ومشدودة إليها، لأن قمة المقطع هي مركز الثقل فيه، فهي العنصر الأقوى والعنصر الأكثر تأثيراً في السمع، وعليه، فتسكين الصامت لا يعني بحال من الأحوال أنه موجود دون حركة يستند إليها، ولنأخذ على سبيل المثال الفعل "يدرس: Yad/ru/su فهو يتكون – كما توضح ذلك الخطوط المائلة – من ثلاثة مقاطع، طويل مقفل، فمقطعين قصيرين – وبالنسبة للمقطع الأول "يَدْ: yad" فإن قمته هي الفتحة، وقاعدتاه هما: الياء والدال، وهما بوصفهما قاعدة المقطع، مشدودتان إلى القمة

(١) حول المقطع وتعريفاته انظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ص٩١-٩٣.

التي هي الفتحة، ولا فرق بين الياء والدال إلا أن الأولى بداية المقطع، والثانية نهاية المقطع، فالصامت إذا إن تحرك تبع الحركة التي تليه وكان بداية مقطع، وإن سكن تبع الحركة التي قبله وكان نهاية المقطع، وهو في كلتا الحالتين تابع للحركة لا متبوع.

أما بالنسبة إلى قوة الصوت، فليست الصوامت أقوى من الحركات، وإنما الحركات أقوى إسماعاً من الصوامت، وهذه حقيقة مقررة معروفة لا تحتاج إلى شرح. وإذا كانت الصوامت أقوى من الحركات في شيء، فإنها أقوى فعلاً في الجهد العضلي فقط. فالصوامت مجهدة، تتطلب جهداً عضلياً وطاقة أكثر من الحركات. وفيما عدا الثقل نطقياً في الصوامت، وقوة الإسماع في الحركات، لا توجد أية مزية لأحدهما على الآخر، قال فندريس:[1] "وإذا كان بين الاثنين فرق في الوظيفة، فليس بينهما في الواقع أي فرق في الطبيعة، والحد الذي يفرّق بينهما ليس حداً فاصلاً، فالسواكن والحركات تكون جزءاً من سلسلة طبيعية، ولا يتضح الفرق بين عراها بجلاء".

القضية الثانية: الإعلال بالنقل

والقضية الثانية التي تتجلى فيها المعيارية هي ظاهرة الإعلال بالنقل أو الإعلال بالتسكين. والإعلال بالنقل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- إعلال بالنقل والقلب.

٢- إعلال بالنقل والحذف.

٣- إعلال بالنقل فقط.

أما القسم الأول فيمثلون له بنحو "أقام" و"أبان" و"يَخاف" و"يَهاب" و"يُقال" ثم حدث أن أعلت هذه الكلمات، وقد تمت عملية الإعلال – كما وصفوا- على

---

(١) اللغة ٤٧.

مرحلتين. ففي المرحلة الأولى نقلت الحركة من حرف العلة إلى الصحيح الساكن قبله، فتحولت بذلك الكلمات إلى "أَقَوْم" و"أَبَيْن" و"يَخَوْف" و"تَهَيْب" و"يُقَوْل" ثم كانت الخطوة الثانية والأخيرة، وهي الإعلال بقلب حرف العلّة ألفاً، وذلك لتحركه في الأصل وانفتاح ما قبله الآن! قال المازني:[1] "فإذا كان الحرف الذي قبل الحرف المعتل من بنات الثلاثة ساكناً في الأصل، ولم يكن ألفاً ولا واواً ولا ياء، فإنك تسكن المعتل، وتحوّل حركته على الساكن الذي قبله، وذلك مطّرد في كلامهم... وذلك نحو: أجاد وأقال وأبان وأخاف واستراث واستعاذ، وأصله "أَجْوَد" و"أَقْوَل" و"أَبْيَن" و"أَخْوَف" و"اسَتْرَيَث" و استعوذ". ولكنهم ألقوا حركة الواو والياء على الساكن الذي قبلهما فانفتح، ثم أبدلت الواو والياء ألفين لذلك".

وقد ذكر القدماء أنفسهم أنه ليس ثمة علّة قوية توجب هذا الإعلال بهذه الكيفية التي وصفوها، ذلك لأن الغاية من الإعلال هي طلب الخفة، ومثل هذه الأصول التي ذكروها أي "أجود" وأقول... خفيفة، ثم إن الحركة المنقولة هي الفتحة، وهي أخف الحركات، والخفيف لا يخفف بطبيعة الحال. ومن هنا فقد نصوا على أن القياس فيها أن لا تعل. قال الرضي:[2] "إذا تحرك الواو والياء وسكن ما قبلهما، فالقياس أن لا تعلا بنقل ولا بقلب، لأن ذلك خفيف". وإذا لم تكن ثمة علّة موجبة لهذا الإعلال، فإن الإعلال قد أتاها من قبل تعميمات القياس. فقد أعلّ الماضي المزيد حملاً له على المجرد، وأعل الفعل المضارع حملاً له على الماضي. قال ابن جني:[3] "ألا ترى أن أصل" "أقام" "أَقْوَمَ" وأصل "استعاذ" "استَعْوَذ" فلو أخلينا وهذا الحرف، لاقتضت الضرورة تصحيح العين لسكون ما قبلها. غير أنه لما كان منقولاً ومخرجاً من معتلّ هو: "قام" و"عاذ"، أجرى أيضاً

---

(١) انظر المنصف ٢٦٧/١.

(٢) شرح الشافية ١٤٤/٣.

(٣) انظر الخصائص ١١٨/١، والمنصف ٢٦٠/١.

في الإعلال عليه". وبالنسبة إلى المضارع وحمله على الماضي في مثل هذا النوع من الإعلال، قال ابن جني أيضاً[1]: "ألا ترى أن أصل "يقول" و"يبيع": "يَقْوُل" و"يَبْيِع"، وأصل "يخاف" و"يهاب" "يَخْوَف" و"ويَهْيَبْ" وأصل "يطول" "يَطْوُل"، وهذه الصيغ لا توجب إعلالاً، لأن الواو والياء إذا سكن ما قبلها جرتا مجرى الصحيح، ولكن لما كان أصل الماضي من هذه الأفعال ونظائرها إنما هو: "قَوَمَ" و"بَيَعَ" و"خَوِف" و"هَيِب" و"طَوُل"، اعتلت العينات لتحركهن وانفتاح ما قبلهن، فسلبن ما فيهن من الحركات هرباً من جمع المتجانسات، فقلبت ألفات، لتحركهن في الأصل وانفتاح ما قبلهن الآن. فلما جاء المضارع أعلوه اتباعاً للماضي لئلا يكون أحدهما صحيحاً والآخر معتلاً".

وأما الإعلال بالنقل والحذف فكقولهم في "قُمْ" و"بِعْ" أن الأصل فيهما هو: "أُقْوُم" و "اِبْيِع"، ثم حصل فيها إعلال بالنقل والحذف، فانتهى بهما الأمر إلى "قُمْ وبِعْ". قال ابن عصفور:[2] "... وكذلك "قم" و"بع"، أصلهما "أُقْوُم" و "اِبْيِع" ثم نقلت حركة العين إلى ما قبلها فتحرك، فذهبت همزة الوصل، لأنهما إنما أتي بها لأجل الساكن، فزالت بزواله، ثم سكنوا الآخر، وحذفوا حرف العلّة لالتقاء الساكنين".

وأما الإعلال بالنقل فقط، فكقولهم في مثل "يقوم" و"يبيع" إن الأصل فيهما هو "يَقْوُم" و"يَبْيِع" فنقلت حرف العلّة إلى الصحيح الساكن قبله، ثم بقي حرف العلّة بعد ذلك على حاله!!.

ونقل الحركة في مثل "يَقْوُل" و يَبْيِع" و "اُقْوُلْ" و"اِبْيِع"، لا يتم لأجل استثقال الحركة على حرف العلّة، وإنما الإعلال بالنقل فيهما وفي نظائرهما مقدمة لإعلال

---

(١) المنصف ٢٤٧/١.

(٢) الممتع ٤٤٩/٢.

هذه الألفاظ حملاً لها على الماضي. قال الرضي:[1] "ولا تقول إن الضم والكسر في نحو "يَقْوُل" و"يَبْيِع" نقلا إلى ما قبلها للاستثقال، إذ لو كان له، لم تنقل الفتحة في نحو: يخاف ويهاب وهي أخف الحركات، فلا تستثقل، وخاصة بعد السكون ولا سيما في الوسط. وأيضاً فالضمة والكسرة لا تستثقلان على الواو والياء إذا سكن ما قبلهما كما في دلو وظبي". ومن هنا كانت تخطئة أبي عمر الجرمي للفراء حينما ذهب الأخير إلى أن الحركة نقلت في مثل "أُقْوُم" من حرف العلّة إلى الساكن قبله لأجل الثقل. جاء في الخصائص:[2] "وحدثنا أبو بكر محمد بن علي المراغي قال: حضر الفراء أبا عمر الجرمي، فأكثر سؤاله إياه، قال: فقيل لأبي عمر: قد أطال سؤالك. أفلا تسأله؟ فقال له أبو عمر: يا أبا زكريا، ما الأصل في "قم" فقال: أُقْوُم" قال: فصنعوا ماذا؟ قال: استثقلوا الضمة على الواو فأسكنوها ونقولها إلى القاف. قال له أبو عمر: هذا خطأ: الواو إذا سكن ما قبلها جرت مجرى الصحيح، ولم تستثقل الحركات فيها".

ويلحق بظاهرة الإعلال بالنقل، وإن لم يكن في حد ذاته إعلالاً، نقل الحركة من أول المثلين المتتابعين إلى الساكن قبله، وإدغام أول المثلين في الثاني نحو: يردّ، ويمدّ والأصل فيهما عندهم يَرْدُدُ ويَمْدُدُ، فنقلت الحركة من العين إلى الفاء الساكنة ثم أدغم المثلان[3]. وهذا ملحق بظاهرة الإعلال بالنقل، وليس إعلالاً كما ذكرنا، لأن الإعلال مختص عندهم بالتغيرات التي تعتور أحرف العلّة. قال الرضي:[4] "والإعلال في اصطلاحهم مختص بتغيير حروف العلّة، أي الألف والواو والياء بالقلب أو الحذف أو الإسكان".

---

(١) شرح الشافية ٨٢/١ وانظر المنصف ٢٤٨/١.

(٢) الخصائص ٢٩٩/٣، المنصف ٢٤٨/١ والممتع ٤٤٩/٢.

(٣) انظر الممتع ٦٣٤/٢، وشرح الشافية ٢٣٤/٣.

(٤) شرح الشافية ٦٣/٣.

بعد هذا نقول إن كل ما قيل عن ظاهرة الإعلال بالنقل، في الألفاظ المعتلة وما حمل على هذه الظاهرة من الألفاظ المضعفة، إن هو إلا تصورات وافتراضات لا حقيقة تحتها. فليس الأصل في "أقام" و"أبان" و"يخاف" و"يهاب" و"يقال" هو "أقْوَم" و"أبْيَنَ" و"يَخْوَف" و"يَهْيَب" و"يُقْوَل"، إذ لو كان هذا هو الأصل حقاً لبقيت على هذه الصورة كما بقيت كل من: أغليت المرأة، وأغيمت السماء وأخيلت، وأطولت الصدود، واستنوق الجمل واستحوذ عليهم الشيطان، وغيرها من الألفاظ التي يطلق عليها المحدثون اسم "الركام اللغوي للظواهر المندثرة"(١). والتي تعرف بالشواذ في الدراسة التقليدية، خرجت مصححة ولم تعلّ لتكون منبهة على الأصول المرفوضة(٢). ولكن هذه الألفاظ إنما جاءت مصححة غير معلّة – في رأينا– من باب القياس الخاطئ على الألفاظ الصحيحة. وأما بالنسبة لـ "أقام" و"أبان" ونحوهما، فليس فيهما شيء اسمه إعلال بالنقل البتة. ذلك أن هذين الفعلين المزيدين هما في حقيقة أمرهما: الماضي المجرد "قَوَمَ" و"بَيَنَ" صُدِّر كل منهما بمقطع قصير، هو مورفيم التعدية «أَ: ɔa» فالأصل فيهما على هذا ينبغي أن يكون: أ + قَوَمَ ← أَقَوَمَ بالإعلال ← أقام. و أ+ بَيَنَ ← بالإعلال ← أبان. فلم يكونا في يوم من الأيام أقْوَم وأبْيَن، ولكن القدماء قضوا بذلك من باب الحمل على الفعل الصحيح نحو "أخْرَج" و"أذْهَب"... ظناً منهم أن هذه هي الصورة الأصلية للماضي المزيد بمورفيم التعدية، والحقيقة التي لا مراء فيها أن كلاً من "أخْرَج" و"أذْهَب" ليست الصورة الأصلية، وإنما هي صورة متطورة عن أخرى أفرزتها خصائص البنية المقطعية للعربية. فأخرج هي في حقيقة أمرها الماضي المجرد "خَرَجَ" ثم زيد عليه في أوله مورفيم التعدية الذي هو مقطع قصير وبذلك فإن

---

(١) انظر لحن العامة والتطور اللغوي ٣٧٦ وانظر بحوث ومقالات في اللغة ٢٤٤.

(٢) انظر المنصف ١/٣٣٣.

الصورة الأصلية لهذا الفعل ونظائره هو: أَ + خَرَج ← اَخَرَجَ، فتتابعت في كلمة واحدة أربعة مقاطع قصيرة، وهذا لا تجيزه العربية إلا في حالة واحدة، وهي حالة الماضي الذي اتصلت به كاف المخاطب أو المخاطبة نحو: "شَكَرَكَ وشَكَرَكِ" ولهذه الحالة الخاصة علّة شرحناها في رسالتنا لدرجة الدكتوراه "أثر القوانين الصوتيّة في بناء الكلمة العربية"(١)، وفيما عدا ذلك، فإن العربية لا تسمح بتتابع أربعة مقاطع قصيرة في كلمة واحدة، وذلك لأن هذه المقاطع بسبب وقعها السريع، نتيجة قصر الفترة الزمنية التي يستغرقها نطقها – تمثل عنصر توتر وإجهاد للناطق. وفراراً من هذا الثقل، تعمد العربية إلى إدماج المقطعين الأول والثاني في مقطع واحد عن طريق التخلص من حركة المقطع الثاني، وبذلك ينتقل الفعلان من أَخَرَج، وأَذَهَب إلى أَخْرَج وأَذْهَب. وعلى هذا نفسّر بناء الماضي على السكون عند اتصاله بضمائر الرفع المتحركة مثل خرجْتُ، وبقاءَهُ على حاله عند اتصاله بتاء التأنيث الساكنة مثل خَرَجَتْ، نظراً لأن تاء التأنيث لم تضف جديداً من حيث عدد المقاطع، وإنما أقفلت المقطع الأخير، فبقي الفعل معها كما قبلها مكوناً من ثلاثة مقاطع، مع فارق في كمية المقطع الأخير فقط.

وإذا كانت العربية قد عمدت إلى إدمَاج المقطعين الأول والثاني في الأفعال الصحيحة في مقطع واحد، اَخَرَجَ ← اَخْرَج، فإنها لم تفعل الشيء نفسه في الأفعال المعتلة مثل: "أبان" و"أقام"؛ لأن علّة التسكين غير واردة في هذا القطاع من الأفعال؛ لأن الإعلال يحول دون تتابع أربعة مقاطع قصيرة.

وما قيل عن الماضي يقال عن المضارع أيضاً، فليس الأصل في يخاف ويهاب ويُقال ويُقيم هو: "يَخُوف" و"يَهْيب" و"يُقْوَل" و"يُقْوم"، ثم أعلت هذه الألفاظ

---

(١) انظر أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ١٤٨.

بالنقل والقلب، كما قال القدماء والمستشرقون أيضاً[1]. وذلك لأن المضارع هو الماضي زيد عليه مورفيم المضارعة، قال الرضي:[2] 'والمضارع فرع الماضي بزيادة حرف المضارعة عليه... والأمر فرع المضارع لأنه أخذ منه'. وقال بروكلمان:[3] 'أما المضارع فيصرف بالمقاطع التي تزاد في أوله: للغائب المذكر المفرد 'ya' وللغائبة المؤنثة 'ta' وللمخاطب المفرد "ta" وللمخاطبة المفردة 'ta' وللمتكلم المفرد « ʾa » وللمتكلم الجمع 'na'.

وما دام المضارع هو الماضي بزيادة مورفيم المضارعة، الذي هو مقطع قصير، والماضي فاؤه وعينه ولامه كلها متحركة، فإنه لا يجوز أن نقول إن أصل يخاف ويهاب: يَخْوف ويَهْيب، ولا إن الأصل في يُقال يُقْول، وفي يُقيم يُقْوِم... ولا شك في أن حكمهم على الأجوف المعلّ بأنه كان في الأصل على هذه الصورة أو تلك قد بني على أساس الصحيح نحو: يَخْرُج ويَضْرِب ويُقْسِم... لقد خدعوا بهذه الصورة التي عليها الصحيح من الأفعال المضارعة فظنوا – انطلاقاً من عدم إيمانهم بفكرة التطور في الصيغ[4] – أنها الصورة الأصلية له. والصحيح أصل للمعتل في أحكامه، ومن هنا حملوا المعتل عليه.

وما قلناه عن الماضي ثَمَّ، نقوله عن المضارع ههنا، فهناك الماضي المجرد زيد عليه في أوله مورفيم التعدية، فتشكلت بذلك أربعة مقاطع قصيرة اختزلت إلى ثلاثة. وههنا الماضي زيد عليه في أوله مورفيم المضارعة، فالحال إذا واحدة، أي تشكلت في المضارع أربعة مقاطع قصيرة أيضاً، ولعل مما يعزز ذلك ويقويه، ما

---

(١) See. Wright. W. A Gram. Of the Arabic Lang. Vol. 1.p. 81.

(٢) شرح الشافية ٣/٨٨.

(٣) فقه اللغات السامية ١١٦.

(٤) انظر الخصائص ١/٢٥٦، ٢٥٩.

ذكره اللغويون من أن المضارع في الاكدية يكون على « ɔikabir » أي محرك الفاء، كما ذكروا أن له نظائر في الحبشة والمهرية، فللمضارع فيهما صيغتان، ففي الحبشية: "yekbir" و "yekabir" وفي المهرية "yiftah" "yifoteh"[1] وعليه، فإن فاء المضارع الأصل فيها الحركة لا السكون، فكل من يَخْرُج ويَضْرِب ويُقْسِم، تمثل في الحقيقة صورة متطورة عن أخرى تتكون من أربعة مقاطع قصيرة، اختزلت فيما بعد إلى ثلاثة فكانت: يخرج ويضرب ويقسم. لكن ما الحركة التي كانت للفاء؟ أهي نفس حركتها في حالة الفعل الماضي، أم أنها حركة مجانسة لحركة العين، أم غير ذلك؟ لا نستطيع أن نقطع بشيء. وكل ما نقطع به أن المضارع: في الأصل، كان يتكون من أربعة مقاطع قصيرة، لأنه الماضي زيد عليه مورفيم المضارعة، وإن كنا نميل إلى الاعتقاد بأن الحركة ربما كانت مجانسة لحركة العين، أي أن يخرج في الأصل يَخْرُج ويَضْرِب يَضْرِب، ويُقْسِم يُقْسِم. هذا مجرد احتمال يعوزه الدليل، ثم تطور هذا الأصل المفترض إلى الصورة الحالية بإدماج المقطعين الأول والثاني في مقطع واحد، هذا في الأفعال الصحيحة. أما في الأفعال المعتلة، فلا يحدث شيء من هذا القبيل، لأن الإعلال يمنع تشكل أربعة مقاطع قصيرة، فيخاف ويهاب ويقال ويقيم، ليس فيها يَخْوَف ويَهْيَب ويُقْوَل ويُقْوَم، وإنما هو في اعتقادنا يَخَوَفُ وَيَهَيَبُ ويُقَوَل ويُقَوِم، وهنا وقعت كل من الواو والياء بين حركتين، ووقوعهما في سياق كهذا يضعفهما فيسقطان[2]، فتلقي الحركتان القصيرتان اللتان تكتنفانهما، فتتشكل منهما حركة طويلة، وبذلك تتحول إلى يخاف ويهاب ويقول ويقيم..

---

(١) انظر التطور النحوي للغة العربية ٨٧، ٨٨.

(٢) انظر العربية الفصحى ٤١.

وأما الإعلال بالنقل فقط، والذي يمثلون له عادة بـ يقول ويبيع ونظائرهما، فهذان يعتقد القدماء أن أصلهما يَقْوَل، ويَبْيِع، ثم نقلت حركة حرف العلّة إلى الصحيح الساكن قبله وبقيت العين على حالها! والقول بأن الأصل في هذين الفعلين ونظائرهما هو سكون الفاء، مرفوض. والقول بنقل الحركة من أصل لآخر، مرفوض أيضاً. وما قلناه عن الأفعال السابقة، نقوله ههنا، أي أن الأصل فيها تتابع أربعة مقاطع قصيرة، وقعت فيهما الياء والواو بين حركتين، فضعف مركزهما، فسقطتا، فتشكل من الحركتين اللتين تكتنفانها حركة طويلة، فمن يَقْوَل إلى يقول ومن يَبِيع إلى يبيع.

وأما الإعلال بالنقل والحذف الذي يمثلون له عادة بنحو: قُمْ وبِعْ وأن الأصل فيهما هو "اُقْوُم" و"اِبْيِع" فقد بينا في حديثنا عن المضارع، أن الإعلال يحول دون تتابع أربعة مقاطع قصيرة، وبالتالي فإن وضعها يختلف عن الأفعال الصحيحة. ومعروف أن الأمر محذوف من المضارع بإسقاط مورفيم المضارعة، وإسقاط حركة الآخر، فالأمر من يقوم هو في الأصل: قومْ Kum، ومن يبيع بيعْ، "bi̅6"، ومن يخاف خافْ: haf، فيتشكل مقطع مديد من نوع (ص ح ح ص) وهو مرفوض عربياً، لا تجيزه العربية إلا في الوقف، وإلا في باب شابَة وصلاً. قال بروكلمان:[1] "ولا تتحمل العربية القديمة الحركة الطويلة إلا في المقاطع المغلقة عن طريق التضعيف، مثل: "dāllūna" "ضالّون" وكذلك في تلك المقاطع التي لم تغلق إلا بعد حركة آخر الكلمة في الوقف مثل: "dālūn". وعليه، فإذا ما تشكّل المقطع المديد دون تحقق هذين الشرطين، تعمد العربية إلى اختزال الحركة الطويلة، فتحول المقطع من مديد إلى طويل مقفل، فتتحول الأفعال من "قومْ":

(١) فقه اللغات السامية ٤٤.

"Kum" إلى "قُمْ" "kūm" ، ومن "بيعْ" "biʕ" ومن خاف "haf" إلى "خفْ" "ẖaf" وهكذا.

والأمر مع المضعف مثله مع الأجوف، فليس الأصل في يمدّ ويردّ – عندنا– هو يَمْدُد ويَرْدُد، ثم حصل نقل للحركة من أول المثلين إلى الصحيح الساكن قبله، ثم أدغم في الذي يليه كما يصف القدماء والمستشرقون[1]. وإنما المضارع ههنا أصله مكون من أربعة مقاطع قصيرة، كما بينا سابقاً، وهذا لا تجيزه العربية، فكان لا بد من إدماج المقطعين الأول والثاني في مقطع واحد، ولكن الإدغام الذي هو في حقيقة أمره إدماج المقطعين الثالث والرابع في مقطع واحد يحول دون تتابع أربعة مقاطع قصيرة، وبالتالي لا يكون ثمة داع لتسكين فاء الفعل.

القضية الثالثة: قضية الوزن

من أكثر المسائل الصرفية اعتباطية، وأكثرها إغراقاً في المعيارية، وبعداً عن الوصفية، قضية الوزن. فهناك فئات من الألفاظ يصرّ القدماء على وزنها حسب أصولها التاريخية، ولا يلقون بالاً إلى الواقع اللغوي الحقيقي، أي يزنون بعض الألفاظ حسب الصيغ الأصلية لها، ولا يهتمون بالصورة الصوتية النهائية لها، ويمكن حصر هذه الفئات في ثلاث:

١. الألفاظ المعلّة.
٢. الألفاظ المضعّفة.
٣. بعض الصور المتطورة عن تفعّل وتفاعل.

فأما الألفاظ المعلّة فمثل: قال، باع، دعا، رمى، أقام، استقام، ومقام ومقيم ومستقيم...، فعند وزن هذه الكلمات ونظائرها، يزنون بدلاً منها أصلوها، فبدلاً من

---

(1) Wright. W.A Grammar of the Ar. Lang. Vol. L.P. 68. (١) انظر على سبيل المثال

قال وباع، ودعا ورمى، يزنون: قَوَلَ، وبَيَعَ، ودَعَوَ وَرَمَيَ، أي يزنون الأصول التاريخية لهذه الألفاظ، ومن ثم يزنونها على "فَعَل"! ويزنون "خاف" على "فِعِل"، و"طال" على "فَعُل". قال الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد:(١) "وإذا حصل في الموزون إعلال: كقلب عينه أو لامه ألفاً، جئت بالميزان على حسب أصله قبل الإعلال فتقول في نحو: "قال وباع وقام"، إنها على وزن "فَعَل"، ولا يجوز أن تقول إنها على وزن "فال"، وتقول في نحو "غزا ودعا وسما ورمى، إنها على وزن "فَعَل" ولا يجوز أن تقول إنها على وزن "فعا". ونحن نستغرب من جهتنا هذا الحكم التحكمي المحض. أليس المفروض أن يكون الوزن على نسق الموزون أصواتاً وإيقاعاً؟ أليس الغرض من عملية الوزن هو بيان الصورة الصوتية للموزون؟ وكيف يكون الوزن ممثلاً صوتياً أميناً للموزون إذا نحن نحّينا الألفاظ المعلّة جانباً، ووزنا أصولها بدلاً منها؟! كيف يسوغ لنا أن نزن مثل: قال وباع ودعا ورمى على "فَعَل"؟ حيث الوزن يتكون من ستة أصوات تتوزعها ثلاثة مقاطع قصيرة fa/a/la، والموزون يتكون من أربعة أصوات يتوزعها مقطعان، طويل مفتوح فقصير في الكلمتين الأوليين "ka|la"، "ba|ᵟa"، وقصير فطويل مفتوح في الأخريين: "da|aᵟ⁻" و "ra|mā" وكيف يكون وزن "خاف" مثل "عَورِ وفِرِح"؟ ما المناسبة الصوتية التي بينهما حتى يتفقا وزناً؟ وما المناسبة الصوتية بين "طال" و"حَسُنَ" حتى يكون وزنهما واحداً؟ وما وجه الخلاف صوتياً وإيقاعاً بين: "قال وخاف وطال" حتى تختلف أوزانها؟ صحيح أنها قد تطورت عن أصول مختلفة، ولكنها انتهت نهاية صوتية واحدة، فالواجب أن يكون وزنها واحد أيضاً.

ويقالُ الشيءُ نفسه بالنسبة لـ "أقام" واستقام، ومُقيم ومُستقيم.... الواجب أن يكون وزنها على حسب صورتها الصوتية الراهنة، ولكن القدماء يصرون على

---

(١) دروس التصريف ٢٠.

وزنها حسب أصولها التاريخية، ومن ثم يزنونها على أفعل واستفعل، ومُفْعل ومُسْتفعِل على الترتيب، على الرغم من بعد الشقة بين الوزن والموزون. إن إصرار القدماء على التعامل مع هذه الفئة من الألفاظ على حسب أصولها التاريخية تحكّم محض ليس له ما يسوّغه، وبالتالي فإن مثل هذه الألفاظ يجب أن توزن على حسب صورتها الصوتية الحقيقية، كي يظهر الوزن التغيرات الصوتية التي لحقت بها. ولهذا نقول إن هذه الألفاظ يجب أن توزن على فال، ودعا ورمى على فعا، وأقام على أفال، واستقام على استفال، ومقام على "مفال"، ومقيم على "مفيل"، ومستقيم على "مستفيل" وهكذا. وإنصافاً للقدماء، نقول إن منهم من قد تنبه إلى هذه النقطة، فأجاز أن توزن الألفاظ المعلّة على حسب صورتها الصوتية النهائية، جاء في شرح الشافية:[1] "وقال عبدالقاهر في المبدل عن الحرف الأصلي: يجوز أن يعبر عنه بالبدل، فيقال في "قال" أنه على وزن "فال". ولكن هذا الرأي كان سابقاً لأوانه على ما يبدو، فتيار المحافظة الشديد، وطغيان سلطان المعيارية لم يسمحا له بأن يشق طريقه، ومن ثم لم يعمل به. وفي أيامنا هذا طالب الأستاذ الدكتور تمام حسان بضرورة مراعاة الإبدال في عملية الوزن، قال:[2] "أقترح أن التحليل الصرفي كما راعى النقل والحذف في الميزان ينبغي له أن يراعي الإعلال والإبدال أيضاً". ونحن لا نقول يجوز، كما قال عبدالقاهر الجرجاني قديماً، ولا نقترح مثل الدكتور تمام حسان، وإنما نقول يجب أن توزن الألفاظ المعلّة على حسب صورتها الصوتية النهائية.

ومثل الألفاظ المعلّة الألفاظ المضعّفة مثل: "شدّ"، و"مدّ" و"اشتد" و"امتدّ"، و"مشتَدّ" و"ممتدّ"... فهذه ونظائرها يزنها القدماء على حسب صورتها الأصلية، أي حسب الأصل التاريخي لها، فعندما يزنون "شدّ" أو "مدّ" مثلاً يزنون بدلاً منها

---

(١) ١٨/١.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ١٤٥.

"شَدَد" و"مَدَد" فيقولون: وزن شدّ ومدّ "فَعَل". وواضح تماماً الفرق بين الوزن الذي يتكون من ستة أصوات تتوزعها ثلاثة مقاطع، والموزون الذي يتكون من أربعة أصوات يتوزعها مقطعان. إن "فَعَل" هي وزن "شَدَد"، ولكن بعد سقوط حركة المقطع الثاني الذي هو العين، لم يعد للمقطع وجود، وبعبارة أخرى لم يعد لعين الفعل وجود، لأن ما بقي من المقطع بعد سقوط الحركة، أدمج وجوباً في اللام فصيّرها لاماً طويلة، وبالتالي فإن الوزن الحقيقي لشدّ ونظائرها هو فلّ، واشتدّ افتلّ، ومشتد مفتلّ وهكذا.

وأما الفئة الأخيرة من الألفاظ التي يباين وزنها عند القدماء صورتها الحقيقة، فهي بعض المفردات المتطوّرة عن صيغتي "تفعّل" و"تفاعل" مثل يطيّر واطّيّر وازّيّنت الأرض، واثّاقلتم إلى الأرض، وادّارك...، فهذه الألفاظ يزنها القدماء على يتفعّل وتفعّل وتفاعل، وبعبارة أخرى يزنون أصولها التاريخية. فبدلاً من يطّيّر يزنون يتطيّر، وبدلاً من اطّيّر يزنون تطّيّر، وبدلاً من ازّيّنت يزنون تزيّنت، وتثاقلتم وتدارك بدلاً من اثّاقلتم وادّارك، ولهذا جاء الوزن مباينا كليّة للموزون. ولا نريد هنا أن نعرض طريقة تطوّر هذه المفردات، فقد أوضحها أستاذنا الدكتور رمضان عبدالتواب في كتابه التطور اللغوي،[1] ولكنا نريد أن نقول إن التاء في هاتين الصيغتين قد ادغمت في الفاء في كثير من المفردات، فحولتها بذلك من فاء قصيرة إلى فاء طويلة، وعليه فالوزن الحقيقي للمفردات السابقة ينبغي أن يكون: يفّعّل، واطّيّر وازّيّنت افّعل، واثّاقلتم وادّارك افّاعل.

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ص٢٩.

المراجع

١- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية.
فوزي الشايب/ رسالة دكتوراه/ عين شمس ١٩٨٣م.

٢- الإيضاح في علل النحو.
الزجاجي، تحقيق د. مازن المبارك ط ٣ دار النفائس ١٩٧٩ بيروت.

٣- التطور اللغوي مظاهره وقوانينه وعلله.
د. رمضان عبدالتواب ط١ ١٩٨١ القاهرة.

٤- التطور النحوي للغة العربية.
برجشتراسر/ إخراج وتصحيح وتعليق د. رمضان عبدالتواب القاهرة ,١٩٨٢

٥- الخصائص.
ابن جني تحقيق محمد علي النجار بيروت د. ت.

٦- دروس التصريف.
محمد محي الدين عبدالحميد القاهرة ,١٩٣١

٧- سر صناعة الإعراب.
ابن جني تحقيق مصطفى السقا وزملائه ط ١ القاهرة ١٩٥٤م.

٨- شرح الشافية.
الرضي الاستراباذي/ تحقيق محمد نور الحسن وزميليه ط ٢ بيروت ١٩٧٥م.

٩- شرح المفصل.
ابن يعيش بيروت د. ت.

١٠- العربية الفصحى.
الأب هنري فليش اليسوعي/ ترجمة د. عبدالصبور شاهين بيروت ١٩٦٦م.

١١- فقه اللغات السامية.

بروكلمان/ ترجمة د. رمضان عبدالتواب مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٧م.

١٢- الكتابة العربية والسامية.

د. رمزي البعلبكي ط ١ بيروت ,١٩٨١

١٣- لحن العامة والتطور اللغوي.

د. رمضان عبدالتواب / القاهرة ,١٩٦٧

١٤- اللغة.

فندريس/ ترجمة د. عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص القاهرة ,١٩٥٠

١٥- اللغة العربية معناها ومبناها.

د. تمام حسان ط ١ القاهرة ,١٩٧٣

١٦- الممتع في التصريف.

ابن عصفور / تحقيق د. فخري الدين قباوة ط ٣ بيروت ,١٩٧٨

١٧- المنصف.

ابن جني/ تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين ط ١ القاهرة ١٩٥٤م.

1- Lyons. J.An Introduction to theoritical Linguistics Cambridge University press 1977.

2- Wright. W. A Grammar of the Arabic Language 3rd edition Cambridge 1981.

في أيام غسان مع الأحاليف
في
الشعر الجاهلي

للدكتور نصرت عبدالرحمن
الجامعة الأردنية

غسان

ثمة حارثان من غسان يَرِدان في الشعر الجاهلي، ويَرِدُ أحدُهما متّصلاً به أميران: النعمان وعمرو. وقمينٌ بدارس ذلك الشعر أن يستجليَ أخبار أولئك الأمراء في كتب المؤرخين والأخباريين، حتى يلتئم جناحا الأدب والتاريخ، فيربدُ الأدب التاريخ، ويُعطي التاريخ للأدب إطاراً زمانياً محدَّداً، على الرغم من تفلُّت الأدب من التحديد الزمنيّ.

والحوارث من غسان عند اليعقوبيّ ستة: الحارث بن مالك، والحارث الأعرج، والحارث الأصغر، والحارث بن جَبَلَة، والحارث بن أبي شَمِر بن الأيهم[1]؛ وهم خمسة عند أبي الفِداء[2] والأصبهاني[3]: الحارث بن ثعلبة، والحارث بن جَبَلَة، والحارث بن الأيهَم، والحارث بن حُجْر، والحارث بن جَبَلَة بن الحارث. وهم أربعة عند ابن الأنباريّ[4] وابن الكلبيّ[5]: الحارث الجَفْني، والحارث الأعرج، والحارث

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي (دار العراق، بيروت، ١٩٥٥)، ١: ٢٣٤-٢٣٥.
(٢) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر (دار المعرفة، بيروت)، ١: ٧٢-٧٣.
(٣) الأصبهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟)، ص٩٨-١٠٤.
(٤) ابن الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد، ديوان المفضليات (تحقيق كارلوس لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠)، ص٧٧٤.
(٥) ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب (تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، ؟) ٢: ٣٦٤-٣٦٧.

الأكبر، والحارث الأصغر عند المفضّل؛ والحارث بن ثعلبة، والحارث بن جَبَلَة بن الحارث بن ثَعْلَبة، والحارث بن جَبَلَة بن المنذر، والحارث بن أبي شَمِر عند ابن الكلبيّ. وهم ثلاثة عند ابن حبيب[١] والمسعوديّ[٢] وابن خلدون[٣] وابن سعيد[٤] والجاحظ[٥]: الحارث بن ثَعْلَبة، والحارث بن جَبَلَة، والحارث الأعرج عند ابن حبيب وابن خلدون، والحارث بن عمرو، والحارث بن ثَعْلَبة، والحارث بن أبي شَمِر عند المَسْعودي، والحارث بن ثَعْلَبة، الحارث بن جَبَلَة، والحارث بن الأيْهَم عند ابن سعيد، والحارث الأكبر والأوسط والأصغر عند الجاحظ.

وقد درس نُولدكه "معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمراء الغساسنة، ونقدها وغربلها وقارن الحاصل بما وجده في المورد البيزنطية"[٦]، فجعل الحوارث ثلاثة: الحارث بن جَبَلَة الذي شَغَل وظيفة العامل الأكبر من سنة ٥٢٩م، وتوفي سنة ٥٦٩م، والحارث الأصغر بن الحارث الأكبر، والحارث الأعرج بن الحارث الأصغر،

---

(١) ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية، المحبّر (تحقيق إيلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢)، ص٣٧٢.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨)، ص٢: ١٠٧.

(٣) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١)، ٢: ٥٨٣.

(٤) ابن سعيد، علي بن موسى، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب (تحقيق نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢)، ١: ٢٠٠-٢٠٨.

(٥) الجاحظ، عمرو بن بحر، البرصان والعرجان والعميان والحولان (تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٢)، ص١١٠-١١١.

(٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (دار العلم للملايين ببيروت، ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٧٦)، ٣: ٤٤٤.

وكانا – عند نولدكه- بين سنتي ٥٨٣م و٦١٤م[١]. وقد اقتفى أثر نولدكه جلّ المؤرخين من العرب الذين أرخوا لغسان، ومنهم جواد علي.

وقد اقتدر نولدكه على أن يجلو الغموض الذي غلّف حياة الحارث بن أبي شَمِر، فهو الحارث بن جَبَلَة "أول أمراء بني جفنة وأعظمهم شأناً"[٢]، وهو الذي "احتلّ في مخيلة العرب مركزاً سامياً، ودعوه أيضاً الحارث بن أبي شَمِر مما يدلّ على أن أباه كان يكنّى بأبي شَمِر"[٣]، وهو الذي "حارب المنذر أمير الحيرة، وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة ٥٢٨م"[٤]، وذكره بروكوبيوس Procopius في تاريخه فقال: "إن الإمبراطور بوستنيان رَقَّى الحارث بن جَبَلَة إلى رتبة ملك، وبَسَطَ سُلْطته فوق قبائل عربية، وأن غرضه كان أن يُقيم خصماً قوياً في وجه المنذر، ملك عرب الفرس"[٥]. وهو صاحب يوم حليمة الذي قُتل فيه المنذر بن ماء السماء، وكان في شهر حيران سنة ٥٥٤م[٦].

---

(١) نولدكه، ثيودور، أمراء غسان (ترجمة بندلي خوري وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣)، ص٥٧.

(٢) نفسه، ص٩.

(٣) نفسه، ص٢٢.

(٤) نفسه، ص١٠.

(٥) أمراء غسان ص١١.

(٦) انظر: أمراء غسان، ص١٩-٢٠. وانظر في الحارث بن جبلة:

Hart, Cl., Historie des Arabes, (2Tomes, Paris, Libraire Paul Geuthner, 1912) Tome 1,PP. 60-62.

O'Leary, Arabia Before Mohammad, (London, Kegan Paul, 1927) PP. 164-165.

Hitti, Philip, History of Syria (London, Macmillan & Co LTD, 1953) PP.402- 404.

وقد جعل هوار الحارث بن أبي شَمِر سابقاً الحارث بن جَبَلَة، ولم يتحدّث أوليري وفيليب حتّي عن الحارث الأعرج والحارث بن أبي شَمِر.

فنولدكه قد جلا أمر الحارث بن أبي شَمِر، ولكنه لم يَجْلُ أمر الحارث الأعرج، أو أن جلاءه له لا يوافق الشعر الجاهلي. لقد جعله ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر[١]، ورجّح أن يكون توليّه الإمارة بين سنتي ٥٨٣م و٦١٤م[٢].

وأولُ ما يَشْغَب على نُولدكه من الشعر الجاهلي قولُ عبَيد بن الأبرص الأسدي[٣]

نَحْنُ قُدنا من أهاضِيب المَلا الـ ... خَيْلَ في الأرْسانِ أمثالَ السَّعالي[٤]
شـزَّبا يَغْشَـيْنَ مـن مَجْهُولَـةِ الـ ... أرْضِ وَعْثـاً مـن سُـهولٍ وجِبـالِ[٥]
فانْتَجَعْنـا الحـارثَ الأعـرجَ فـي ... جَحْفَـلٍ كالليـلِ خَطَّـارِ العَوالـي[٦]

فإذا كان عبيج بن الأبرص قد قتله المُنْذر بن ماء السّماء في قصة مشهورة، وإذا كان المُنذر بن ماء السماء معاصراً للحارث بن شَمِر، بل هو قتيل الحارث في يوم حليمة في حزيران لسنة ٥٥٤م، فهذا يعني أن عبيداً قُتل قبل سنة ٥٥٤م وهي السنة التي قُتل فيها المنذر، وهذا يعني أيضاً أن عبيداً عاصر الحارث بن أبي شَمِر بن ماء السماء.

* * *

ولكن عبيداً في الأبيات يتحدّث عن انتجاع الحارث الأعرج. فأنى يستقيم أن يتأخر الحارث الأعرج إلى ما بعد سنة ٥٨٣م؟

---

(١) أمراء غسان، ص٢٤.

(٢) نفسه، ص٥٧.

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص (تحقيق حسين نصار، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧)، ص١١٦.

(٤) المَلا: الصّحراء. والسَّعالي: جمع السِّعْلاة، وهي أُنثى الغُول.

(٥) الشُّزَّب: جمع الشَّازِب، وهو الشامِرُ اليابس. ويَغْشَيْن: يَدْخُلن. والوَعْث: الأرض التي تَغيبُ فيها القوائمُ فيعْسُرُ السّيرُ عليها.

(٦) الجَحْفل: الجيش العظيم. والخَطّار: الطويل الذي يَضْرب لطوله. والعوالي: جمع العالية، وهي أعلى الرمح.

يظهر أن الحارث الأعرج هو الحارث بن أبي شَمِر وهو الحارث بن جَبَلَة، فالأسماء الثلاثة لمُسَمّى واحد. وقد قال بهذا الرأي ابن عبد ربه[١] وابن الأثير[٢] من القدماء، ونبيه عاقل[٣] من المحدثين.

وثاني ما يَشْغَب على نولدكه من الشعر الجاهلي شعرٌ لحاتِم الطائيّ ذكر فيه صراحة اسم الحارث بن عمرو، فقال[٤]:

أبلِغِ الحارثَ بن عَمْرو بأنّي حافظُ الوُدِّ مُرْصِدٌ للثَّواب

وذكر اسم أمه، وذكر أن حارثين نُمَياه، فقال[٥]:

نَمَتْهُ أُمامَةُ والحارثا نِ حتى تمهَّلَ سَبْقاً جديدا

وليس في قائمة نولدكه هذا الأمير.

ولا بدّ من التماس العُذْر لنولدكه، فهذا اسم لا يَرِد في أية قائمة من قوائم أمراء غسان التي صنعها المؤرخون، إلا في قائمة (هوار) Huart إذا جاز أن أسمّيَها قائمة – حيث جعل أبا شَمِر الحارثَ بن عمرو أولَ أمراء غسان في الشام، وأنه عاش زمن الإمبراطور البيزنطيّ أنا ستازيوس (٤٩١–٥١٨م)[٦]. ومُحالٌ أن يكون حاتم أدركَ ذلك الزمن.

---

(١) ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد (المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٥)، ٢: ٥٤.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ (الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ)، ١: ٥٤٧.

(٣) نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، (دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥)، ص١٥٩.

(٤) ديوان شعر حاتم الطائي (تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، ؟)، ص١٩٤.

(٥) نفسه، ص٢٠٧.

(٦) Histoire Des Arabes, Tome, 1p. 60.

(٢)
الأحاليف

الأحلاف في العصر الجاهلي كُثُر، وقد أحاط ببعضها أصحاب المُعْجمات ومنهم ابن منظور: فقد أورد الأحلاف في قريش: عبد الدار وجُمَح وسَهْم ومَخْزوم وعَدِيّ بن كعب. وأورد الأحلاف في شعر زهير بن أبي سلمى، ومنها قوله[١]:

تداركْتُما الأحلافَ قد ثُلَّ عَرْشُها وذيبانَ قد زلَّتْ بأقْدامِها النَّعْلُ

وقوله[٢]:

ألا أبلِغِ الأحلاف عني رِسالةً وذيبانَ هل أقْسَمْتُمُ كلَّ مَقْسَمِ[٣]

وقال: "ويقال ابني أسدَ وطيئ الحليفان، ويقال أيضاً لفَزارة ولأسَد حليفان؛ لأن خُزاعة لما أجْلَت بني أسَد عن الحَرَم، خرجت فحالفَتْ طيّئاً، ثم حالفت بني فَزارة"[٤].

وقال أبو عُبيدة في خبر يوم النِّسار: "تحالفَتْ أسد وطَيئ وغَطَفان، ولَحِقت بهم ضَبَّة وعديّ، فغزوا بني عامر، فقتلوهم قتلاً شديداً"[٥].

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤)، ص١٠٩.

(٢) نفسه، ص١٨ (والبيت من المعلقة).

(٣) هكذا وردت رواية البيت في اللسان.

(٤) لسان العرب (دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٦)، مادة حلف.

(٥) العقد الفريد، ٣: ٣٧٥.

ومن خبر يوم النّسار أيضاً ما ذكره الشّمشاطيّ، قال: "وهو يوم لبني أَسَد وغَطَفان وطيّيء، وهم الأحاليف على بني عامر... وكان سبب يوم النِّسار أن بني تميم كانوا يأكلون عُمومتهم بني ضبَّة وبني عبد مناة، فأصابوا رَهْطاً من بني تميم، فطَلَبَتْهم تميم، فلحِقت الرِّباب ببني أسد ابن خُزَيْمة، وهم يومئذ حلفاء لبني بَغيض ابن غَطَفان، وحُلفاؤهم أيضاً بنو وطيئ. ورئيس ذُبيان حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْر، ورئيس بني أسدَ عَوْف بن عبدالله بن عامر بن جَذِيمة بن نَصْر بن قُعَيْن، ويقال خالد بن نَضْلة الأسدي، ورئيس الرِّباب يوم النِّسار الأسود بن المنذر أخو النعمان. وحدَّث قيس بن غالب أن رئيس الرِّباب وجماعة الأحاليف يوم النِّسار حِصْن بن حُذَيْفة، وأنشد في تَصْداق ذلك قول زُهير[1]:

ومِنْ مِثْلُ حِصْنٍ في الحروف ومِثْلُهُ ... لانْكارِ ضَيْمٍ أو لأمْرٍ يُحاوِلُهْ
إذا حَلَّ أحياءُ الأحاليفِ حَوْلَهُ ... بذي لَجَبٍ هدّاتُهُ وصوَاهِلُهْ[2]

* * *

فالأحاليف الذين أعنيهم في هذا البحث هم: أسد وذُبيان وطيئ وضبَّة، وهي تسمية ليست طارئة، أو تسمية أملتها لوازم البحث، وإنما هي تسمية لزمت تلك القبائل حتى بَدَت كالعلم عليها.

وديار الأربع قبائل متداخلة، فهي تشكّل ما يمكن أن تكون وحدة جغرافية، فهي تمتدّ من شرق جبلي أجأ وسَلى (شَمَّر اليوم) حتى شرق المدينة، فكأنها درع يقي شمال الجزيرة العربية.

---

(١) انظر الديوان، ص١٤٣-١٤٤.

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار (تحقيق السيد محمد يوسف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧)، ص١٤١-١٤٢.

لم تكن ديار غسان – على الرغم من الغموض الذي يحيط بامتدادها – مُصاقبة لديار الأحاليف فبينهما سيرُ تسعُ ليال للعاجلِ المُنْتاب، كما يقول حاتِم الطائيّ[١].

ولكن بعد الشُّقَّة لم يصرف غسان عن التطلُّع إلى نجد، والإيقاع بالقبائل النجديّة كطيّئ وأسد وذبيان وتميم وضبّة، وبلغ مُغارها كِنانة، "فقلّما وقفت غسّان للرشد"[٢] كما يقول عبيد بن الأبرص.

أما أن بعد الشُّقَّة لم يصرف غسان عن التطلّع إلى نجد، فلأن القبائل اللواتي كن يحجزن بين غسان والأحاليف كن خاضعات لنفوذ الروم البيزنطيين، كغسان نفسها، وهن حليفات لغسان، وقد ناصرنها، واشتركن معها في الغارة، ولا نكاد نستثني منهنّ غير عُذْرة – وبني حُنّ منها خاصة – الذين غزاهم النعمان بن الحارث الأصغر في وادي القُرى، فهزموه، كما يتبدَّى من شعر النابغة الذبياني[٣]. وأما كَلْب وقُضاعة وَبلِيّ وسَلِيح فكنّ يشتركن مع غسان في الغارة.

وقد تنبّه الشاعر الجاهلي إلى المؤازرة التي تلقاها غسان، حتى إن الأخنس ابن شِهاب التغلبي قد جعل عز غسان في سواها، فقال[٤]:

وغِسانُ حَيٌّ عِزُّهُمْ في سِواهُمُ يُقاتِلُ عَنْهُمْ مِقْنَبٌ وكَتائبُ[٥]

---

(١) انظر الديوان (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص١٩٤.

(٢) انظر الديوان، ص٦٠.

(٣) انظر الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٩٨.

(٤) من قصيدته المشهورة التي مطلعها:

لابنةِ حِطَّانَ بنِ عَوْفٍ منازلُ كما رقَّشَ العُنْوانَ في الرَّقِّ كاتبُ

انظر المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦)، ص٢٠٥.

(٥) المِقْنَب: الجماعة من الخيل.

ويرد ذكر ما في جيش غسان من (أشائب) في شعر النابغة الذبياني[1]، وقد حمّل حسان بن ثابت مسؤولية هزيمة الحارث الأصغر أو الجَفْنيّ أو مقتله عدم وجود أصحاب للحارث من جِذْم غسان[2].

ويمكننا أيضاً أن نتبيّن ذاك الاشتراك من أبيات للنابغة الذبياني، صوّر فيها غارة لعمرو بن الحارث الأصغر على فَزَارة – وهي من ذُبيان– فساق عمرو الرُّفَيْدات وهم "بطن من كَلْبٌ[3] من جَوْش ومن عِظَم، وأدخل في حملته سُلاقاً وأنفاراً من رهط رِبعيّ وحَجّار القُضاعِيّيْن[4].

ولا بدّ لي من الإشارة إلى أن جلّ الشعر الذي تحدث عن أيام غسان مع الأحاليف جاء من شعراء تلك القبائل، وليس من شعراء غسان، فالشعر الذي وصل إلينا من غسان منزور[5].

(٣)

بين غسان وأسد

أ. في عهد الحارث الأعرج

يتحدّث عبيد بن الأبرص وعمرو بن شأس من شعراء أسد عن أيام قبيلتهما مع غسان، في عهد الحارث الأعرج.

---

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٤٢.

(٢) ديوان حسان بن ثابت (تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤)، ١: ٢٠٤.

(٣) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية، القاهرة، ١٩٥٩)، مادة رفيدة.

(٤) انظر ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٧٧.

(٥) من شعر غسان المنزور شعر الشيظم بن الحارث الغساني. انظر القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، ذيل الأمالي والنوادر (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣هـ)، ص١٧٩.

أما أن هذا الصراع حدث في عهد الحارث الأعرج، فلأن عبيداً قد ذكره صراحة "فانْتَجَعْنا الحارث الأعرج"[١]، فلا مجال بعدُ لتخمين أو ظنّ.

ويصوّر الشاعران – عبيد وعمرو – انتصار بني أسد على غسان يومي المُرار والقُرات (بالقاف وليس بالفاء كما ورد عند ابن حبيب[٢]، والأصبهاني[٣]): حيث خرجت أسد في جَحْفل جرّار "خَطّار العَوالي"[٤] "قَسْطَلُهُ ذائلُ"[٥] كما قال عبيد، أو في جَحْفَل كالليل البهيم، كثير العدد وافره، والخيل الجرد تعدو في أعنّتها كأنها القطا الواردات، وهي تلوك اللُّجُمُ، وتباري الرّكْب في عِناد.

قال[٦]:

بِجَحْفَلٍ كبهيم اللَّيْلِ مُنْتَجِعٍ ... أرضَ العَدُوّ لُهامٍ وافرِ العَدَدِ[٧]

القائدُ الخَيْلَ تَرْدِي في أعنّتِها ... وِرْدَ القطا هجّرَتْ ظِمْئاً إلى الثَّمَدِ[٨]

من كُلِّ عِجْلِزَةٍ بادٍ نَواجِذُها ... على اللِّجامِ تُباري الرَّكْبَ في عَنَدِ[٩]

---

(١) الديوان، ص١١٦.

(٢) المحبر، ص٢٤٧. وعليه اعتمد جواد علي، انظر المفصل في تاريخ العرب، ٣: ٤٣٥.

(٣) الأغاني، ١١: ١٨٩.

(٤) ديوان عبيد بن الأبرص، ص١١٧.

(٥) نفسه، ص٩٩. والقَسْطل: الغُبار في المعركة. والذائل: الطويل الذيل لا ينقطع. يريد أن الغبار منتشر فوق الجيش وخلفه.

(٦) نفسه ص٥٩.

(٧) اللُّهام: العظيم كأنه يلتهم كل شيء.

(٨) تَرْدِي: ترجُم الأرض بحوافرها في عَدْوِها. وهجّرت: طارت في الهاجرة إذ يشتدّ الحرّ. والثَّمَد: الماء القليل.

(٩) العِجْلِزَة (بكسر اللام وفتحها): الفرس الشديدة. والنَّواجذ: أقصى الأضراس. والعَنَدَ: المُعاندة.

وكـلٌ أجـرَدَ قـد مالَـتْ زِحالَتُـهُ نَهْـدِ المراكـلِ فَعْـمٍ نـاتئِ الكَتَـدِ[1]

وهو جَحْفل يضمّ فتياناً تَحْتَزّ سيوفهم الأعناق، وفيهم كلّ فتى كريم جواد، غير قعيدِ زاد، ولا أوْجل ضعيف، ولا أشَلّ يبيس الأنامل.

قال عمر بن شأس:[2]

بأيـديهُمُ هِنْديّـةٌ تَخْتلـي الطُّلَـى كما فَضَّ جاني حَنْظَلٍ نَضْرَ حَنْظَلِ[3]
بكـلِّ فتـى يَعْصَـى بكـلِّ مُهَنَّـدٍ نَـدٍ غيـرِ مِبْطـانِ العَشـيّاتِ عَنْجـلِ[4]
كَعِجْـلِ الهِجـانِ الأدْمِ لـيس برُمَّـحٍ ولا شَـنِجٍ كَـزِّ الأنامِـلِ زُمَّـلِ[5]

وقد قُتل يوم القُرات (عَديّ) دون مشقة أو عناء، وقُتل (قُرص) يوم المُرار حين حصرته الخيل من يمين ويسار.

قال عمرة بن شأس:[6]

---

(١) الزّحالة: السّرج. والنَّهْد: العالي المرتفع. والمرَاكل: مَع المَرْكَل، وهو الموضع من الحصان حيث يَهْمزه الراكب. ونَهْدُ المراكل: كنابة عن علوّ الجواد وإشرافه. والفَعْم: الممتلئ، وقد خص الفيروز آبادي الفُعْم بامتلاء الذراعين (القاموس المحيط، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢ – مادة فعم). والكتد: موضع اجتماع الكتفين.

(٢) شعر عمرو بن شأس (صنعة يحيى الجبوري، مطبعة الآداب النجف، ١٩٧٦)، ص٥٨.

(٣) تَخْتَلي: تقطع. والطُّلَى: جمع طُلْيَة (بضم الطاء) أو طلاة وهي العنق.

(٤) نَدٍ: كثير العطاء. والعَنْجَل: العظيم البَطْن.

(٥) الرُّمَّح: الفقير المحتاج. والزُّمَّل: الضعيف الجبان.

(٦) الجَزْع في الوادي: منعطفه أو منحناه. ومن الأرض المُشْرف منها إلى جَنبه طمأنينة. والحَرْمَل: نَبْت سهل الكسر له حبّ أسود كالخَرْدَل.

ونحـــن قَتَلْنـــا بالقُـــراتِ وجَزْعِـــهِ عَدِّياً ولم يُكْسَرْ به عُودُ حَرْمَلِ[1]

وقال عُبيدة (أحد بني سَعْد بن ثَعْلَبة):

أليســـوا فَـــوارسَ يَـــوْمَ القُـــرا تِ والخَيْـــلُ بـــالقَوْمِ السَّـــعالي

وقال عبيد بن الأبرص:[2]

ثـــم غادَرْنـــا عَـــدِيّاً بالقنـــا الـــذبلِ السُّـــمر صَـــريعاً فـــي المَجـــالِ[3]
ثـــم عُجْنـــاهُنَّ خُوصـــاً كالقَطـــا القـــارب المـــاءَ مـــن أيـــنِ الكَـــلالِ[4]
نَحْـــوَ قُـــرْص يـــومَ جالـــت حولَـــهُ الخيـــل قُبّـــا عـــن يَمـــينٍ وشِـــمالِ[5]

وقال عبيد أيضاً وقد عدّد مآثر أسد:[6]

ونَحْـــنُ قَتَلْنـــا مُـــرَّةَ الخَـــيْرِ مِنْكُـــمُ وقُرْصـــاً قتلْنـــا كـــانَ مِمَّـــنْ أولئكـــا

وقال بعد حديثه عن خيل الغارة[7]:

---

(١) معجم البلدان، مادة قُرات.
وقد جعل ياقوت عُبيدة أحد بني قيس بن ثَعْلَبة. وقيس ثعلبة من بكر، ولا علاقة لها بالقُرات.
(٢) الديوان، ص١١٧.
(٣) القنا الذُّبَّل: أنابيب الرماح الدِّقاق. والعرب تسمّي الشيء في بعض الأحيان باسم جزئه. فالقناة أنبوب الرّمح، وهي الرمح كله.
(٤) الخُوْص: الغائرات العيون. والأيْن والكَلال: التعب.
(٥) الخيل القُبُّ: الضوامر.
(٦) الديوان، ص٩٤.
(٧) نفسه، ص٦٠.

حتـــى تعـــاطَيْنَ غسّـــاناً فَحَـــرْبُهُمُ يومَ المُرارِ ولم يُلووا على أحَدِ[1]
لمـــا رأوْكَ وبلـــج البـــيض بيـــنَهُم وكـلّ مطَّـرِدِ الأُنبـوبِ كالمَسَـدِ[2]
غَـوَّتْ بنـــو أسَـــدٍ غسّـــانَ أمـــرَهُمُ وقلّمـــا وَقَفَـــتْ غسّـــانُ للرَّشَـــدِ

ولـيس فـي ديـوان عبيـد مـا يكشـف حقيقـة ضـمير المخاطـب فـي (رأوك)، فالقصيدة في المدح، والممدوح غير متبين.

فمن هو؟

لا يظهـر من شعر عبيد بن الأبرص وعمرة بن شأس قائد أسد في ذينك اليومين، فشعرهما تبرز فيه الروح الجماعية للقبيلة، ويغيب فيها الفرد في غَمْرة الجماعة، وهذه مَزيَّة تُحْفَظ لشعراء أسد.

ولذا أجدني محتاجاً إلى تلّمس اسم ذلك القائد في غير شعرهما. فقد ذكر ابن حبيب[3]، والأصبهاني[4]، وياقوت[5]، أن قائد أسد يوم القُرات هو رَبيعةُ بن حُذار الأسديّ. وقد سَلَكَ ابن حبيب ربيعة في سِمْط القادة الجرارين، وهم الذين قادوا ألف رجل[6].

ويخيّل إليّ أن ربيعة نال هذا الصفة بهذا الجَحفَل الذي قاده لقتال غسان، فقد رأينا أن شاعرَيْ أسد قد صوّراه جيشاً لُهاماً وافرَ العدد.

---

(١) لم يُلووا على أحد: لم يَعوُجوا على أحد استعانةً به.

(٢) مطَّرِد الأنبوب: طويلُ القناة طولاً مُعْتدلاً مُقَوَّماً.

(٣) المحبّر، ص٢٤٧.

(٤) الأغاني، ١١: ١٨٩.

(٥) معجم البلدان، مادة قرات.

(٦) المحبّر، ص٢٤٦.

وإذا صحّ هذا، يكون رَبيعةُ قد قاد أسداً عند الخلاص من حُجْر بن الحارث ابن عمرو المَقْصور بن حُجْر آكل المُرار الكِنْديّ، أبي امرئ القيس، الذي مُلّك على أسد في تاريخ معلوم، وفي قتال غسان في القُرات والمُرار.

ويَلْفِتُ في وصف عمرو بن شأس ليوم القُرات أنه جعلَ غسان غازِيةً، وجعل أسداً مدافعة أهلَ منزل، حيث قال[1]:

فلـم أرَ حَيَّـاً مِثْلَهُـمْ حـينَ أقبلـوا ولـم أرَ حَيَّـاً مثلنَـا أهـلَ مَنْـزِلِ

فهل القُرات في ديار أسد؟

وأما عبيد فقد جعل أسداً غازية، وجعل غسان مُدافعة: فقد جاء في شعره "نحن قُدْنا من أهاضيبِ المَلا"[2] و "انتَجَعْنا الحارث الأعرج"[3]، "ثم غادرنا عَدِيّا بالقنا"[4] فهل القراتُ خارج ديار أسد؟

فالقرات من ديار أسد عند عمرو بن شأس، وخارجها عند عبيد بن الأبرص. أهذا تناقض، والمتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كما يقول المناطقة؟

يحتاج تحديد المكان إلى من هو أقدر مني على تحديد الأماكن الخافية في شمال الجزيرة، فإذا جاز لي أن أرجّح أقول: القُرات خارج ديار أسد، استئناساً بتحديد ياقوت، في أن القُرات وادٍ بينَ تهامةَ والشام"[5]، وديار أسد لم تبلغ تِهامة، إذا اعتمدتُ على تحديد (لِيال) لتلك الديار.

---

(١) شعره، ص٥٧.

(٢) الديوان، ص١١٦.

(٣) نفسه، ص١١٧.

(٤) نفسه، ص١١٧.

(٥) معجم البلدان، مادة قرات.

قال لِيال: "وكانت حدودُ أرض أسد تمتدّ جنوبي تَيْماء المشهورة، وشرقي طريق التجارة العظيم الممتدّ من الشمال إلى الجنوب، وهو الآن طريق الحج من مَعان إلى المدينة، وغربي وجنوبي الحدّ الغربي من أجأ وسَلْمى جبل طيّئ. وكانت أسد أقصى قبائل مَعَدّ شمالاً، على الطريق من الجنوب إلى فِلسْطين وسوريّة، وراءها قبائل عُذْرة، وجُذام، وبَلِيّ اليمنية، على الطريق التجاري، وإلى شرقها وشمالها الشرقي قبيلة كَلْب، اليمنية الأصل أيضاً، في المنخفضات المسمّاة الآن بوادي السَّرحان والجَوْف، يفصلها عن أسد شريط واسع من السلاسل الرملية – النُّفود الآن"[1].

ولا بدّ لي من أن أستذكر أن يَوْمَيْ القُرات ومُرار حدثا في عهد عبيد بن الأبرص، فهو شَهد أو شاهد اليومين، وأما عمرو بن شأس فلم يعاصرهما. فعبيد رأى وعمرو سمع، وليس راءٍ كمَنْ سمع كما يقال.

عبيد شاعر قديم عايش عهد الحارث بن أبي شَمِر الأعرج، وقتلَهُ المنذر بن ماء السماء اللَّخْمي، الذي قُتِل، قتله الحارث زهاء سنة ٥٥٤م، فعبيد بذلك قتل قبل تلك السنة.

وعمرو بن شأس شاعر مخضرم، شهد القادسية (١٥هـ/ ٦٣٧م)، وقال فيها شعراً[2]. فلو كان أدرك عهد الحارث الأعرج لغدا إبان القادسية شيخاً كبيراً يَدْلِف في التسعين. وما في التسعين مُنّة على جهاد، أو اصطبار عليه.[3]

القُرات والمُرار في شعر النابغة الذبياني

---

(١) ترجم حسين نصار مقدمة ليال في تحقيقه للديوان. انظر ديوان عبيد بن الأبرص، ص١٣–١٤ (المقدمة).

(٢) انظر شعره، ص٨٦–٨٧.

(٣) انظر مقدمة يحيى الجبوري لشعر عمرو بن شأس، ص١٧–١٨.

قال الطُّوْسيّ: "حين قَتَلَتْ بنو عَبْس نَضْلَة الأسديّ، وقتلت بنو أسد منهم رجلين، فأراد عُيَيْنَة[1] عَوْن بني عبس، أن يُخرج بني أسد من حلف بني ذبيان[2]، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها[3]:

غَشِـــيتُ منـــازلا بِعُرَيْتنـــاتٍ فأعلـى الجَـزْعِ للحـيِّ المُـبِنِّ[4]

وذكر أسداً فقال:

إذا حاوَلْـتَ فـي أسَـدٍ فُجُـورا فـإني لسـتُ مِنْـك ولسـتَ منّـي
شَـهِدتُ لهـم مَـواطِنَ صـادقاتٍ أتَيْـتُهُمُ بـودِّ الصَّـدْرِ منّـي
وَهُـمْ سـاروا لِحُجْـرٍ فـي خَمـيسٍ وكـانوا يـومَ ذلـكَ عنـدَ ظَنّـي[5]
وهُـمْ زحَفُـوا لغسـانٍ بزَحْـفٍ رَحيـبِ السَّـرْبِ أرعَـنَ مُـرْجَحِنٍّ[6]
بكـلِّ مُجـرّبٍ كاللَّيـثِ يَسْـمو علـى أوصـالِ ذيّـالٍ رفَـنٍّ[7]

---

(١) عُيَيْنَة: هو عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيفة الفَزاري. وكان أبوه حِصْن سيد فَزارة في عهد الحارث الأصغر، وقد أصيب حِصْن يوم بني عُقَيْل من عامر. ولحِصْن قصيدة ينصح فيها لفَزارة أن يُوَلّوا عُيَيْنَة بعد موته. انظر القصيدة في أمالي المرتضى (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧)، ١: ٢٣٠. والمصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري (مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢)،
وقد أدرك عُيَيْنة الإسلام، وأسلم، ووصفه الرسول الكريم بأنه السيد المحمق.

(٢) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص١٢٥.

(٣) نفسه، ص١٢٥.

(٤) الحيّ المُبِنّ: المقيم زمن الربيع.

(٥) حُجْر: حُجْر بن الحارث الكِنْدي أبو امرئ القيس.

(٦) الجيش الأرعن: المضطرب لكثرته. والمُرْجَحِنّ: الثقيل.

(٧) الرِّفَنُ: الذيّال والمتبختر في بَطَر.

وضُـــمْرٍ كالقِـــداحِ مُسَـــوَّماتٍ عليهـــا مَعْشَـــرٌ أشـــباهُ جِـــنٍّ[1]

فها هو ذا جَحْفل أسد زاحفاً لغسان، فهو المغُير وغسان مُغارٌ عليها. وهذا يتّفق مع ما قاله عبيد، وليس مع ما قاله عمرو بن شأس.

وها نحن أولاء نرى أن صورة جحفل أسد الجرّار تتكرّر عند النابغة الذبياني: فهو رَحْبٌ يملأ الطرق، أرعنُ ثقيل، ورجاله كاللُّيوث مجرّبون غير أغرار، يُشْبِهون الجِنّ. والجياد ذيّالة ضوامر، ضمور القِدْح الصَّلِيب.

عَدِيّ وقُرْص

ليس فيما كتبه نولدكه أو جواد علي أو غيرهما ممن اطّلعوا على كتابات المؤرخين غير العرب، ما يعين على تبيين حقيقة عَدِيّ وقُرْص اللذين قتلتهما أسد يوم القُرات، والإشارة التي أوردها جواد علي مستقاة من المصادر العربية[2].

وفي كلا الرجلين – إذا كان قُرص رجلاً وليس جبلاً – كلام: فقد ذكر ابن الشجري أن عَدِيّاً هو عديّ بن مالك ابن أخت الحارث بن أبي شَمِر"[3]. وفي شرح ديوان حسان "هو عديّ ابن أخت الغسانيّ. وكان قُرْص ملكاً من ملوك غسان، غزا عَدِيّ بني أسد فقتلوه"[4]. وفي الأغاني "أغار ملك من ملوك غسان يقال له عديّ، وهو ابن أخت الحارث بن أبي شَمِر الغساني على بني أسد، فلقيته بنو سعد ابن ثعلبة ... فقتلت بنو سعد عدياً ... فقالت فاختة بنت عدي:

---

(١) المَسوَّمات: المُعْلَمات اللواتي عليهم علامات يعرفن بها في الحروب.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣: ٤٣٦.

(٣) ابن الشجري، هبة الله بن علي، مختارات شعراء العرب (تحقيق علي محمد بجاوي، مكتبة دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥)، ص٣٢٦.

(٤) الديوان (تحقيق عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟)، ص٢١٩.
والديوان (تحقيق وليد عرفات)، ٢: ١٧٢.

لعمـرك مـا خشـيت علـى عـدي رمـاح بنـي مقيّـدة الحمـار
ولكنـي خشـيت علـى عـدي رمـاح الجـنّ أو ايـاك حـار

تعني الحارث بن أبي شمر خاله:

قتيـل مـا قتيـل ابنـي حـذار بعيـد الهـمّ طـلاع النجـار[1]

ففاختة لم تَخْش على عديّ رماحَ أهلِ الحَرّة[2] وهي تُقيّد حمار الوحش فلا تدَعُهُ يسير من شدّة وعورتها – ولكنها تخشى عليه من الطاعون – وهو في نظر الجاهليين من وَخْز رماح الجنّ – أو تخشى عليه من الحارث نفسه.

وتَشْغَب على هذه الرواية للبيتين رواية أخرى لثعلب، ليس فيها اسم عَدِيّ، وإنما فيها اسم (أُبيّ)، فقد روى ثَعْلب البيتين:

لعمُـرك مـا خَشِـيتُ علـى أُبَـيٍّ رمـاحَ بنـي مُقَيّـدةِ الحِمـارِ
ولكنّـي خَشِـيتُ علـى أُبَـيّ رِمـاحَ الجـنِّ أو إيـاكَ حـارِ[3]

وتوافق رواية الثعالبي[4] رواية الأغاني، ويوافق الثيلي[5] ثعلباً، وأخذ بالروايتين

(١) الأغاني، ١١: ١٨٩-١٩٠.
(٢) مقيدة الحمار في الأغاني امرأة من كنانة يقال لها تماضر وهي أم قاتلي عدي.
(٣) ثعلب، أحمد بن يحيى، مجالس ثعلب (تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠)، ٢: ٢٧٤.
(٤) الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨)، ص٥٣.
(٥) الثيلبي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، آكام المرجان في أحكام الجان (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦هـ).

ابن منظور[1].

وإذا كان هذا الكلام لم يَزِد عدياً إلا غُموضاً، فإن الغموض الذي يحيط بقُرْص أشدّ. قال ابن الشَّجَري: "قُرْص بن مالك من غسان، ويقال هو رجل من بني كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة، ويقال: هو من كِنْدة"[2]. وفي شرح ديوان حسان بن ثابت "وكان قُرْص ملكاً من ملوك غسان"[3]. وقال ياقوت: "تلٌّ بأرضِ غسان في شعر عبيد بن الأبرص"[4].

وإخال أن مَرَدّ هذا الخلاف البيتان نفسهما اللذان ورد فيهما اسم قُرْص. ولا أرى عليّ تثريباً إذا أعدت كتابتهما، وهما:

نَحْوَ قُرْصٍ يومَ جالَتْ حولَه الخَيلُ قُبّاً عن يمينٍ وشِمالِ[5]

ثم:

ونَحْنُ قَتَلْنا مُرَّةَ الخَيْرِ مِنكُمُ وقُرْصاً قتلنا كانَ ممن أولئكما[6]

أما ياقوت الذي عدّ قُرْصاً جبلاً فيظهر أنه التفت إلى البيت الأول دون الثاني، وهو في غزو أسد لغسان، وجَوَلان الخيل حول جبل أقربُ من جَوَلانها حول رَجُل. ولو كان ياقوت قد التفت إلى البيت الثاني لاطّرح هذا الاحتمال، فقَتْل قُرْص يمِيطُه لا مَحالة.

---

(١) انظر لسان العرب، المواد: رمح، وحمر، وقيد. وقد جاءت (أبيّ) في مادتي: رمح وحمر، وجاءت (عديّ) في مادة قيد.

(٢) مختارات شعراء العرب، ص٣٢٧.

(٣) الديوان (تحقيق وليد عرفات)، ٢: ١٧٢.

(٤) معجم البلدان، مادة قرص.

(٥) ديوان عبيد بن الأبرص، ص٩٤.

(٦) نفسه، ص١١٧.

وأما من قال: قُرْص من غسان، فاستند إلى أن أسداً قَتَلتْ قُرْصاً، وأن الخيل جالت حوله بعد انتجاعها الحارث الأعرج.

وأما من قال: قرص من عامر بن صَعْصَعَة، فاستند إلى ما بين أسد وعامر من عداء، وفي القصيدة التي منها البيت الثاني افتخار بانتصار أسد على عامر.

والقول: قُرْص من كِنْدة، موافق طِباقاً للبيت الثاني، فالقصيدة في خطاب امرئ القيس، والفخر عليه بفعالِ قبيلته وانتصاراتها على كِنْدة وعامر، وقتلها حُجْراً أبا امرئ القيس، وعمراً جَدّه (؟) وعمّيه الأجْدَلَيْن ومالكاً. وفخر عبيد بقتل مُرَّة الخير، وجعله من كندة (منكم) وعطف قُرْص عليه يَسْتتبع أن يكون قُرْصٌ من كِنْدة.

ولكن البيت الأول يزيل هذا القول.

فأقرب ما يتحصّل من هذه المناقشة أن يكون قُرْص من غسان. ولكن اسمه يظل غريباً على رغم موافقته لسان العرب. ففيه إشمام من عُجْمة تجعلني أميل إلى جعله محرّفاً من (دقص) Dux، وتعني رئيساً أو قائداً عند البيزنطيين[1].

بكاء عبيد بن الأبرص قومه.

وإذا كان عبيد وعمرو بن شأس قد فخرا بانتصار أسد على غسان، فإن في شعر عبيد ما يُظنّ أنه دالّ على ما ابتليت به أسد من غسان. وقد لاحظ حسين نصار أن عبيداً يبكي قومه بني سَعْد بن ثَعْلَبة، الذين أبادتهم الحُروب والمنايا "في حروبهم مع الغساسنة، فيما يظهر من شروح الديوان"[2] في قوله:

ديارُ بني سَعْدِ بن ثَعْلَبَةَ الأُلى ... أذاعَ بِهِمْ دَهْرٌ على الناسِ رائبُ

---

(١) نولدكه، أمراء غسان، ص١٨.

(٢) الديوان، ص٨.

فـأذْهَبَهُمْ مـا أذهـبَ النـاسَ قبلَهُـمْ ضِـراسُ الحـروبِ والمنايـا العَواقِـبُ

أقول: يمكن أن يدلّ بكاء عبيد قومه الذين أذهبهم ضراسُ الحروب والمنايا التوالي، على أن غسان أدمت أسداً، ولكن هذا الإدماء لم يَلْحَقْها من غسان وحدها، بل منها ومن غيرها ككندة وعامر وتَميم وعَبْس، حتى باتت أسد دريئة تصيبها السهام من كل صَوْب، ولكنها احتملت ذلك بإباء واقتدار.

ب- في عهد الحارث الأعرج وولديه

لا نجد – أو لم أجد – بعد الحارث الأعرج شعراً لأسد فيه ذكر لغسان، وبشر ابن أبي خازم الأسدي الذي كنت آمل أن أجد في ديوانه شعراً عن علاقة أسد بغسان، يخلو ولو من إلماح إليهم. فقد تغنّى بانتصار أسد وأحلافها من غَطَفان وطيئ وضبَّة على بني عامر وتميم يومي النِّسار والجِفار، وسكتَ عن صراع أسد مع غسان، فلم يذكرها بخير أو شرّ.

* * *

وإذا كانت أيام أسد مع غسان في عهد الحارث الأصغر وولديه: النعمان وعمرو لم تظهر في شعر شعراء أسد، فإنها ظهرت في شعر النابغة الذبياني.

ويظهر من ذلك الشعر أن أسداً أصيبت في غَسّان، حتى صيّرها النابغة عِبْرة لذبيان، يصيبها ما أصاب أسداً إذا هي لم تُذْعِنْ لغسان. ويتبدى هذا من قصيدته التي مطلعها.[1]

إنــي كــأنّي لَــدَى النُّعمــانِ خَبَّــرَهُ بعضُ الأوُدّ حديثاً غير مَكْذوبِ[2]

(١) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٤٩.
(٢) الأودّ: جمع ودّ، وهو ذو الود.

ومن خبر هذه القصيدة أن النابغة "ركب إلى الحارث بن أبي شَمِر[1]، ليكلّمه في أسارى بني أسد وبني فزارة، فأعطاه إيّاهم وأكرمه. وقد كان حِصْنُ بن حُذَيْفة الفَزاريّ أصاب في غسان قبل ذلك بعام، فقال الحارث للنابغة: ما دسَّ بني أسد إلا حِصْن، وقد بلغني أنه لا يزال يجمع عليه الجموع ليصيرَ على أرضنا. وقد كان النعمان بن الحارث شديداً غليظاً، فدخل عليه النابغةُ، فقال له النعمان: إن حصناً عظيمُ الذنب إلينا وإلى الملك، فقال له النابغة: إن الذي بلغك باطل"[2].

ويظهر أن الحملة التي قام بها الحارث أصابت بني أسد على (الأمرار)[3]، فقَتل وأسر وسبى، قال النابغة:

ولا تُلاقي كما لاقَتْ بنو أسَدٍ ... فقد أصابَتْهُمُ بشُؤبوبِ

لم يبقَ غيرُ طَريدٍ غير مُنْفَلِتٍ ... ومُوثَقٍ في حبالِ القِدِّ مَسْلُوبِ

أو حُرَّةٍ كمهاةِ الرَّملِ قد كبلت ... فوق المعاصم منها والعراقيبِ

تدعو قُعَيْناً وقد عض الحديدُ بها ... عَضَّ النِّقافِ على صُمِّ الأنابيبِ

والسبايا يدعون قُعَيْناً، وهم "حيّ من أسد"[4]، ولكن لا معين لهنّ منهم.

---

(١) لقد اتضح من البحث أنه الحارث الأصغر بعد أن تبينا الحارث بن أبي شمر.

(٢) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق أبو الفضل إبراهيم)، ص٤٥. والديوان (تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠)، ص١٤. وفي ديوانه (جمع محمد بن عاشور، الشركة التونسية، تونس، ١٩٦٧)، ص٥٠ زيادة مفيدة.

(٣) الأمرار: قال ياقوت: اسم مياه بالبادية، وقيل مياه لبني فَزارة وقيل: هي عُراعِر وكُتَيبْ يدْعيان الأمْرار لمرارة مائهما (معجم البلدان، مادة أمرار). وعُراعِر تحدّد مكان الأمرار، فهي تقع في الطريق بين المدينة وتَيْماء (شمال غرب الجزيرة، ص٤٠١).

(٤) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، مادة بني قعين.

(٤)

بين غسان وذبيان

أ- النابغة الذبياني

لقد كفاني النابغة الذبياني مؤونة التنقير عن غيره في استجلاء علاقة غسان بذبيان: فالنابغة ابن قبيلته، وابن بَجْدَتها، وذو المكانة فيها، وهو وثيق الصلة بالغساسنة والمناذرة معاً على ما بينهما من خصام.

وليست طَلِبَتي الآن أن أتحدّث عن النابغة، وقدرته الفائقة على وُلوج الموالج الصِّعاب، ومصانعة المتخاصمين، فحسبنا تلك القصيدة التي تصحّ لمدح الغساسنة والمناذرة، وهي التي مطلعها[١]:

أتاركـــةً تَـــدَلُّلَها قَطَـــامِ وَضَـــنّاً بالتحيّـــةِ والسَّـــلامِ

والتي اختلف الرواة فيمن قيلت: فهي في عمرو بن هند عند الأعلم الشَّنْتَمَري،[٢] وهي في المنذر بن المنذر عند ابن الكلبي،[٣] وهي في عمرو بن الحارث الغساني عند أبي عبيدة.[٤] وكأني بالنابغة قد أرادها أن تكون على هذا النحو المحيّر؛ حتى يحافظ على علاقته الطبيعية بالمناذرة والغساسنة معاً.

* * *

وعلى الرغم أن الأصمعي قد دفع أن النابغة أدرك عمرو بن هند "لأن عمراً كان مَلِكاً قبل المنذر أبي النعمان، وملك عشر سنين، وملك النعمان ابنه ثمانياً

---

(١) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص١٣٠.

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين (دار الآفاق، بيروت، ١٩٨١)، ص١٨.

(٣) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل)، ص١٣٠.

(٤) نفسه، ص١٣٠. وانظر مناقشة الروايات في أمراء غسان، ص٣٩-٤٠.

وثلاثين سنة، والنابغة مات وعمره خمسون سنة، ولا يجوز أن يكون مدح عمرو بن هند، وهو – أي النابغة– سنتين".[١]

أقول: على الرغم من ذلك، فإن في شعر النابغة مدحاً للحارث الأعرجِ الغساني الذي كان معاصراً للمنذر بن ماء السماء، قال:[٢]

واللـــهِ واللـــهِ لَنِعْـــمَ الفتـــى الـــ أعـــرجُ لا الـــنَّكْسُ ولا الخامـــلُ

والمنذر بن ماء السماء هو أبو عمرو بن هند.

وفي ديوان النابغة ثلاث عشرة[٣] قصيدة ومقطوعة في غسان: واحدة[٤] في الحارث بن أبي شَمِر، وواحدة[٥] في الحارث الأصغر ابن حُجْر (أو عمرو) بن النعمان بن الحارث الأعرج، وسبع[٦] في النعمان بن الحارث الأصغر، وأربع في عمرو بن الحارث الأصغر.

ب– سبب الخلاف بين غسان وذبيان

ثمة منطقة كانت مصدر خلاف بين غسان وبين ذبيان وأسد. تلك المنطقة تقع بين الجِناب وعالِج، وقد ظهرت هذه المنطقة بجلاء في شعر النابغة الذبياني، حيث قال ينصح قومه:[٧]

---

(١) ديوان النابغة الذبياني (جمع محمد بن عاشور)، ص١١٤.

(٢) نفسه (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص١٦٧.

(٣) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٤٠، ٤٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٧، ١١٥، ١٣٠، ١٤١، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٣، ٢٠٦.

(٤) نفسه، ص١٦٧.

(٥) نفسه، ص٤٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٧، ١١٥، ١٦٥، ١٦٦.

(٦) نفسه، ص٤٠، ١٣٠، ١٤١، ١٨٣.

(٧) نفسه، ص١٤٤.

وخَلُّوا لــه بــين الجِنــابِ وعالِــجٍ فِــراقَ الخلــيطِ ذي الأذاةِ المُزايِــلِ

أما الجناب فقد حَدّدها الشيخ حمد الجاسر "بالأرض الفسيحة الواسعة الواقعة في عِراض خَيْبَرَ من الشرق إلى تَيْماء، حيث يحدّها جبل حَدَد – هو جبل تَيْماء (غُنَيْم)– ثم تمتدّ هذه الأرض نحو الشمال حتى تتصل بوادي عَرْدَة الذي يقع أعلى وادي القُلَيْبة، القرية التي يمرّ بها المُتَّجه إلى تبوك، وهذه الأرض يطلق عليها الآن (الجَهْراء) أرض ذات أودية ومستنقعات واسعة".(١)

وأما عالِج فتسمى اليوم النفوذ، وهي الصحراء الممتدة من شمال جبل أجأ أحد جبلي طيئ (شمّر اليوم) إلى دُوْمةِ الجَنْدَل (الجَوْف اليوم)، وهي صحراء لا تخطئها العين في أية مصوّرة جغرافية لجزيرة العرب.

فهذه الأرض الشاسعة كانت مطمحَ غسان ومطمح قبائل الأحاليف، وخاصة ذبيان وأسداً. فقامت غسان في عهد الحارث الأصغر بإحماء الحِمَى فيها، كحِمَى النعمان بن الحارث الأصغر في ذي أُقر، فلم تأبه ذبيان وأسد لهذه الحمى فتربّعته، فهاجمها النعمان وأسر منها، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها:(٢)

لَقَدْ نَهَيْتُ بنــي ذُبْيــانَ عــن أُقُــر وعــن تَــرَبُّعِهِم فــي كُــلِّ أصفــارِ(٣)

---

(١) حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة (دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠)، ص٥٠٠-٥٠١.

(٢) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص٧٥.

(٣) ذو أقر وأقر موضعان متقاربان كما يفهم من معجم البلدان (انظر مادتي أُقُر وأُقْر). وفيه أن ذا أقر واد لبني مُرّة، وهو واد نَجْل – أي واسع– مملوء حَمْضاً. وهو قريب من أرض الشربة. والشربّة شرقي وادي الرمة المشهورة (انظر شمال غرب الجزيرة، ٥٥٩-٥٦٠).

وعاودت ذبيان تربّعها، فأغار عليها عمرو بن الحارث الأصغر، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها:[1]

أهاجَكَ من أسماءَ رَسْمُ المنازِلِ برَوْضَةِ نُعْمِيَّ فذاتِ الأجاوِلِ

ومما يُسْتغرب أن يكون النابغة مع غسان ضد قومه عندما طلب أن تخلي ذبيان تلك الأرض الشاسعة لعمرو بن الحارث الأصغر.

ج- في عهد الحارث الأصغر

لقد تحدّثْتُ عن الحملة التي قام بها النعمان بن الحارث الأصغر في عهد أبيه على أسد وذبيان في أثناء الحديث عن أسد. وقد صوّر النابغة هذه الحملة عندما خرجت خيل الغارة الضَّوامر من الجَوْلان إبّان القَيْظ، عليها فرسان أُباة من شِيب وشُبّان قد دَرِبوا على الحروب، فما أصابت الخيل من النوم إلا غِراراً حتى بلغت أهلَ المِلْح وقد أخذ منها الكَلالُ كلّ مأخذ، يتصبب منها العَرَق كانصباب الماءِ من القِرَب الوُفْرِ.

قال:[2]

قادَ الجيادَ مِنَ الجَوْلانِ قائظَةً من بَيْنِ مُنْعَلَةٍ تُزْجَى ومجنوبِ[3]
حتى استغاثَتْ بأرضِ المِلْحِ ما طَمِعَتْ في مَنْزِلٍ طَعْمَ نَوْمٍ غيرَ تأويبِ[4]

---

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص١٤١.

(٢) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٥٠.

(٣) ذكر فيليب حتّي أن عاصمة آل جفْنة كانت في البداءة معسكراً متنقلاً، ثم صارت الجابِيَة في الجَوْلان عاصمة لهم، وجِلِّق الواقعة جنوبي حَوْران في بعض الأحيان. انظر:
History of Syrai (Macmillan & co-LTD, London, 1959), p.401.
ودُفن النعمان بالجَوْلان بين بُصْرى وجاسِم. انظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص١٢١.
وتُزْجَى: تساق. والفَرَس المَجْنوب: المَقُود.

(٤) أرض الملح كثيرة في شمال الجزيرة حتى سمّيت قرية باسم قُرَيّات المِلْح. وقد ورد يوم باسم (يوم الملح) في شعر زيد الخيل الطائي. انظر ديوان زيد الخيل الطائي (صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف، ؟)، ص٣٧.
والتأويب: السير جميع النهار، ولعلها هنا الشرب عند القائلة.

يَنْضَحْنَ نَضْحَ المزَادِ الوُفْرِ أتأقها شَدُّ الرواةِ بماء غيرِ مَشْروبِ[1]
قُبُّ الأياطِلِ تَرْدِي في أعنَّتِها كالخاضِباتِ من الزُّعْرِ الظَّنابيبِ[2]
شُعْثٌ عليها مَساعيرٌ لحَرْبِهم شُمُّ العَرانينِ من مُرْدٍ ومِنْ شِيبِ[3]

وقد أصابت هذه الحملة أسداً ولم تُصب فَزارة من ذُبيان، ولذلك ينصح النابغة لِفَزارة أن تَفرّ إلى الجبال والحِرار، كيلا تلاقي ما لاقته أسد:

فإذْ وُقِيتِ بحَمْدِ اللهِ شِرَّتَها فانْجَيْ فَزارَ إلى الأَطْوادِ فاللولب[4]

د- في عهد النعمان بن الحارث الأصغر

يبدو أن النعمان لم يَقُم في عهد تولّيه إمارة غسان بعد مقتل[5] أبيه الحارث الأصغر بقيادة الغارة على ذبيان عندما تربعت أقرأ، وإنما أوكل أمر قيادة الغارة إلى ابن الجُلاح الكلبي فقد قال ياقوت: "فَبَعَثَ النعمان بن الحارث إليهم جيشاً وعليه ابن الجُلاح الكَلْبي، فأغار عليهم بذي أُقُر، وسبى ستين أسيراً وأهداهم إلى قَيْصر الروم.

---

(١) المَزاد: جمع المزادة، وهي القِربة. والوُقْر: جمع الوَقْراء، وهي الملأى. وأتأق: ملأ.

(٢) قُبُّ الأياطل: ضُمْرُ البُطون. وتروى: تَرْجُمُ الأرض بحوافرها في عَدْوها. والخاضبات من الزّعرْ الظّنابيب: كناية عن النعام. والخاضِبات: مُحْمّرة السوق، وتحمر عادة سيقان الظلمان في وَقْتِ الخِصاب. والزّعْر: قِصار الرّيش. والظّنابيب: عظام السُّوق.

(٣) شُمُّ العَرانين، كناية عن الإباء والشموخ. والعِرْنينُ الأشَمّ: الأنف الذي عَلَت أَرْنَبَتُه.

(٤) اللُّوب: جمع اللّابة، وهي الحَرّة.

(٥) يستفاد هذا من قصيدة النابغة التي مطلعها:

إنْ يَسْلَمِ الحارث الحرّابُ تعترفوا جيشاً مُغيراً على ثَهْلانَ أو خَطَرا

الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٢٠٦.

وقصيدة النابغة تحذير لذبيان من غارة عليهم، فقد اجتمعت عليهم غسان وكلب ورَهطُ رِبْعي وحجّار من قُضاعة،[1] وقد تمنّى النابغة فيها ألا يرى نساء ذبيان سبايا مردفات وراء الأُجَراء والأَتْباع، يَذْرِفْنَ العَبَرات، ويَنْظُرن شَزْراً إلى السُّباة، وعلى وجوههن امتعاض بيّن من إنكار الرّقّ وهنّ الحَرائر:

لا أعــرْفَنْ رَبْرَبــاً حُــوْراً مَــدامِعُها ... كــأنّ أبكارَهــا نِعــاجُ دَوّارِ[2]

يَنْظُرْنَ شَزْراً إلى مَنْ جاء عن عُرُضٍ ... بأوْجُــهٍ مُنْكِــراتِ الــرِّقّ أحْــرارِ

خَلْــفَ العَضــاريطِ لا يُــوْقَيْنَ فاحِشَــةً ... مُسْتَمْســكاتٍ بأقتــابٍ وأكْــوارِ[3]

يُــذْرِينَ دَمْعــاً علــى الأَشْــفارِ مُنْحَــدِراً ... يــأمُلْنَ رِحْلَــةَ حِصْــنٍ وابــنِ سـيّارِ

لقد نهى ذبيان عن تربُّع أُقرُ، فعصته. وها هو ذا النعمان مقبل بجَمْع جَرّار لا كِفاء لذبيان به، فما له هو نفسه إلا أن يلجأ إلى حَرّة النار[4]، أو أن يضع بيته في حَرّة سوداء – وحجارة الحِرار سود– لا يقتدر المغيرون أن يبلغوها:

إمــا عصــيت فإنــي غــيرُ مُنْفَلِــتٍ ... منّــي اللّصــابُ فَجَنْبــا حَــرَّةِ النــارِ[5]

أو أضَــعُ البيــتَ فــي سَــوْداءَ مُظْلِمَــةٍ ... تُقَيّدُ العَيْرَ لا يَسْري بها السّاري[6]

تَــدافَعَ النــاسُ عنــا حــينَ نركَبُهــا ... مــن المظالِــمِ تُدْعَــى أمَّ صــبّار[7]

---

(١) نفسه، ص٧٧.

(٢) الرَّبْرب: القطيع من بقر الوحش، وقد استعيرت للنساء.

(٣) العضاريط: جمع العُضْروط، وهو الأجير والتابع.

(٤) حَرَّة النار: في الجنوب الشرقي من المدينة. انظر الخريطة في:
Doughty, Charles M. Travels in Arabia Desarta (Jonathan cape London), vol. 1.

(٥) اللّصاب: جمع اللِّصْب، وهو الشِّعْبُ الصغير في الجبل أو مَضيق الوادي.

(٦) العَيْر: حمار الوَحش. والحرّة تقيده من كثرة أحجارها فلا تدعه يسير.

(٧) أم صبّار هي حَرّة النار.

* * *

في شعر النابغة ما يدلّ على أن ابن الجُلاح أصاب ذُبيانَ في غزاته، حيث أقبل بجيش كثيف، فأصاب ذبيان قسراً فأضحوا عبيداً له. وأنعم عليهم، ولم يك بخيلاً.

قال:[1]

صَبَحْتَ بني ذُبيانَ منه بغارَةٍ جَرَت لكَ مِنْها السَّانحاتُ بأسْعُد[2]
أصابَهُمُ قَسْراً فأضْحَوا عِبادَه فجلّلها نُعْمَى ولم يَتَشَدَّد[3]

هـ- في عهد عمرو بن الحارث الأصغر

يذكر شرّاح ديوان النابغة أنه قال قصيدته التي مطلعها[4]:

أهاجَكَ من أسماءَ رَسْمُ المنازِلِ بَرَوْضَةِ نُعْمِيَّ فذاتِ الأجاوِلِ

---

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٢١٢.

(٢) السانحات من الطيور والظباء ما ذهبت من مياسر السائرين إلى ميامنهم وهي فأل حسن عند بعض العرب (ومنهم ذبيان)، ومنهم من يتفاءل بالبارح وهو الذي يولي المياسر.

(٣) عباده: عبيده. يتشدد: يبخل.

(٤) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص١٤١، والديوان (جمع محمد الطاهر بن عاشور) ص١٩٥.

في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الغَسّاني ببني مُرَّة بنِ عَوْفِ بن سعْد بن ذُبْيان".[1]

ولكن القصيدة لا تتحدث عن وقعة قد تمّت، وإنما تتحدّث عن غزوة متوقّعة سيقوم بها عمرو بن الحارث الأصغر ردّاً على تربّع مُرَّة رَوْضَة نُعْمِّي وذات الأجاوِل في المنطقة الواقعة بين الجِنَاب وعالِج، وهي المنطقة التي ذكرت أنها سبب الصراع بين غسان وذبيان.

ويُظهر النابغة فَزَعه من تلك الغزاة، فجعله فوق فَزعِ وَعْلٍ من وعول جبل ذي المَطارة:

وقَدْ خِفْتُ حتى ما تَزيدُ مَخافَتِي على وَعِلٍ من ذي المَطارَةِ عاقِلِ

ويُظهر عَمْراً يقودُ جَحْفَلاً ربْعيّاً كأنه حَرَّةٌ ذات الحجارة السّود، وتبدو الخيل قد آدَها الجري من بُعد الشُّقّة، فنحُل عودُها، واصفرَّ نُخاع عظامها ورقّ، وبَرَى الصَّوّان حوافِرها، فبدت الخيل – على نحو لِها وبري حوافرها – لطافاً كالقنا الذَّوابل:

مَخَافَةَ عمرٍو أنْ تكونَ جِيادُهُ يُقَدْنَ إلينا بينَ حافٍ وناعِلِ[2]
إذا استَعْجَلوها عن سَجيَّة مثْلِها تبلَّغُ في أعناقِها بالجَحافِلِ[3]
شَوازبُ كالأجْلامِ قد آل رِمُّها سَماحقَ سُفْراً في تَليلٍ وفائِلِ[4]

---

(١) انظر الديوان بالتحقيق، ص١٤١، ١٩٤.

(٢) الحافي: كناية عن الإبل، ولو أنهم كانوا يلفّون أخْفافَها بالخِدَام من الجلد. والنّاعل: كناية عن الخيل.

(٣) الجحافل: جمع الجَحْفَلة، وهي بمنزلة الشَّفَة من الإنسان.

(٤) الشّوازب: الضوامر. والأجْلام: جمع الجَلَم، وهو المقص. والرِّمُّ: بقية المخ. والسَّماحيق: جمع السِّمْحاق، وهو الجلدة أو القشرة الرقيقة فوق عظم الرأس.
والتَّليل: العُنُق. والفائل: اللحم الذي على نُقْرة الوَرِكِ.

بَـرَى وَقـعُ الصَّـوّانِ حـدَّ نُسورِهـا فَهُـنَّ لِطـافٌ كالصِّعَـادِ الـذوابل[1]

وتظهر صورة للخيل كالتي نراها في شعر الطُّفَيْل الغَنَوِيّ حيث نرى الخيل تطرح أولادها فتبدو أسلاؤها كالوَصائل الحُمْر، وتأتي الطير فتشبع من أولاد الخيل السُّخَّل:

ويَقْـذِفْنَ بـالأولادِ فـي كُـلِّ مَنْـزِلٍ تَشَـحَّطُ فـي أسْـلائها كالوصـائلِ[2]
تـرى عافيـاتِ الطيـرِ قد وَثِقَـتْ لهـا بِشِبْعٍ من السَّخْلِ العِتاقِ الأكائلِ[3]

وترى الخيل قد جُنِّبت مع الإبل – أي قُرنت لها– حيث كانوا في الغارة الشَّحُوط يركبون الإبل، ويقودون الخيل، إبقاءً عليها ليكونَ لها قوة وجلد عند القتال والغارة. ويحملون الإبل المَراجل التي يطبخون فيها، ويحمّلونها الدروع. وقد جعل النابغة دروع غسان سابغةً ليّنة، قد حُفِظت خير حِفْظ، ووُقيت من الصدأ بدُرْدِيِّ الزيت، ومن التلف بحشوها بكَرَّة:

مُقَرَّنَـــةً بـــالعِيْسِ والأُدْمُ كالقَنَـــا عليها الخُبُورُ مُحْقَباتُ المَراجلِ[4]
وكُـــلِّ صَمُـــوتٍ نَثْلَـــةٍ تُبَّعِيَّـــةٍ ونَسْـجِ سُـلَيْمٍ كـلَّ قَضّـاءَ ذائِـلِ[5]
عُلِيـــنَ بكِدْيَـــوْنٍ وأَبْطَـــنَّ كَـــرَّةً فَهُـنَّ وِضـاءٌ صـافِياتٌ الغَلائِـلِ[6]

---

(١) النسُور: جمع النِّسْر، وهو ما ارتفع في باطن حافر الفَرس من أعلاه. والصِّعاد: جمع الصِّعْدَة، وهي قناة الرّمح.

(٢) تَشَحَّط: تضطرب. والأسْلاء: جمع السَّلَى، وهو الغشاء الرقيق الذي يحيط بالجنين ويخرُجُ معه من بَطْنْ أمه. والوصائل: ثيابٌ حُمْر فيها خطوط خضر.

(٣) السَّخْل: كلّ شيء لم يُتَمَّم، وجمعها سُخَّل وسُخَّال (القاموس المحيط للفيروز آبادي، محمد ابن يعقوب، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢– مادة سخل) وقد جعل النابغة (السّخل) للجمع. والأكائل: جمع الأكيلة، وهي أكيلةُ السَّبُع التي يأكلها إذا افترسها.

(٤) الخُبُور: جمع الخَبْر، وهي المزادة ومُحْقَبات المَراجل: أي في حقائبها المراجل التي يطبخون فيها.

(٥) الصّموت: الدرع الثقيلة. والنَّثْلَة: الواسعة. والتُّبَّعِيّة: نسبة إلى تبابعة اليمن وسُلَيْم: سليمان، وأراد بسليمان داود، لأن داود أول من عمل الدّروع في اعتقاد العرب. والقضاء: التي فيها مسامير تشبه القضض وهي الحصى الصغار، وذلك أمتنُ للدّرع. والذائل: الطويلة السابغة.

(٦) الكِدْيَوْن: وَرْديّ الزيت، وهو ما رسب في قاع إناء الزيت. والكَرَّة: البَعْر والرَّماد.

ولا بدَّ لي من التلبُّث هَوْناً عند جيش الغارة، وفيه تُرى الخيلُ والإبل، فَتُجْنَبُ الإبل بالخيل، وتَحْمِل الإبل الرجالَ وشِكَّة الحرب وأدوات الطعام، وتكون الخيل خالية غير مُمْتطاة. فإذا حانت ساعة المعركة خُلِّيَت الإبل وامتُطِيت الجياد، فهي أداة الحرب الأساسية.

وسبيل الجاهليين في حفظ الدُّروع من الصدأ والتَّلَف – كما أشار النابغة– كانت بطلائها بدُرْديّ الزّيت وحَشْوها بالرّماد والبَعْر. وهذه إشارة مهمة في صَوْن آلة من آلات الحرب.

و– ملاحظة من أبي عبيدة

قال أبو عبيدة: "لم أسمع من تعنيف النابغة لبني أسد إلا القصيدة البائية[1] التي قالها في مدح الحارث بن أبي شَمِر، حين ركب إليه ليكلّمه في أسرى بني أسد وبني فَزارة، فأعطاه إياهم وأكرمه، وقد خرج كلامه في الحُسْن والاستواء حتى كأنه يصف ويذكر دياراً بعيدة"[2].

والنابغة لم يذكر أسداً فقط – وهم حلفاء ذبيان– كأنه ذَكَر دياراً بعيدة وإنما ذكر قبيلته ذبيان أيضاً كأنه يذكر قوماً غرباء، وكأنه شاعر غسانِيّ، يتهدّد ذُبيان بقوة غسان، فيهوّل في قوتها، ويرسم صورة مفزعة لها، ليخوّف بها قبيلته ذُبيان، ويَصْدَعَ صَفاتَها، ويُوهنَ من عزائمها.

وموقف النابغة من قومه لا أكاد أجد له نظيراً في الشعر الجاهلي!

أما التهويل في قوة غسان، فتراها عندما يمدح النعمان بن الحارث، فيصوّره مُغيراً على قومه، قائداً الجياد من الجَوْلان، عليها مَساعيرُ حربٍ من شِيْب غسان

---

(١) أي التي مطلعها:

إني كأني لَدَى النّعمان خَبَّرَه بعضُ الأُوُدِّ حديثاً غيرَ مَكْذُوبِ

(٢) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٥٤ (الحاشية).

ومُرْدِهم، حتى بَلَغْنَ أهل المِلْح، وكنّ ينضَحْن بالعرق كما يتبزّل الماء من الرَّوايا الوُفْر.

وأما رسم صورة مفزعة لهم، فتراها عندما يمدح عمر بن الحارث الأصغر، فيخوّف بها قومه، ويصوّره ليثاً ضارباً مُنْقَبضاً مُسْتَوفِزاً لِفِراس قومه، فيسوق نساءهم سبايا، ويُردفهنّ خلفَ أتباعه وأُجَرائه، ولا يوقَيْن فاحشة، فيذرين الدّمع، وعلى وجوههن سيماء إنكار الرّق.

وتحذير النابغة سلبيّ مُوهن ناكص، فما نرى – أو لم أرَ – شاعراً جاهلياً يدعو قومه إلى إخلاء منطقة واسعة لخصومهم، وإلى الفِرار إلى الحِرار، والنّجاء في الجبال.

* * *

وقد جرّ موقف النابغة عليه خصومه بعض سادات قبيلته، ومنهم حِصْن بن حُذَيفة الفَزازيّ الذي اتهمه النعمان بجَمْع الجموع لمحاربة غسان، وبَدْر بن حُذار، وخُزَيْم بن سَيّار، وزَيّان بن سَيّار صهر النابغة.(١)

(٥)
بين غسان وطيئ

قال ابن سعيد في طيّئ: "وهي الرَّحى العظيمة التي نزلت حين خرجت من اليمن بعد سيل العَرِم على بني أسد، فحاربتها إلى أن اصطلحا على الجِوار، فحلَّتْ طيّئ بجبلي أجأ وسلمى من نجد الحجاز إلى اليوم".(٢)

---

(١) انظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٧٩–٨١.

(٢) نشوة الطرب في تاريخ العرب، ١: ٢٢٢.

وقال اليعقوبي: "وكانت أسد منتشرة من لدن قصور الحيرة إلى تهامة، وكانت لطيئ محالفة متفقة معها، ودارهما تكاد أن تكون واحدة".[١]

وكانت طيّيء تقيم علاقة متعادلة مع المناذرة وغسان معاً، فبينها وبين المناذرة عقد ألا تغزو إحداهما الأخرى،[٢] وبينهما وبين غسان إيلاف. فلما ذرّ الخلاف بين قبيلتي طيئ: الغَوْث وجَدِيلَة، قام الحارث بن جَبَلَة الغسانيّ بالإصلاح بينهما – قال ابن الأخير عن يوم اليَحاميم: "وهو بين قبائل طيّئ بعضها في بعض. وكان سبب ذلك أن الحارث بن جَبَلَة الغساني كان قد أصلح بين طيّئ، فلما هلك عادت عادت إلى حربها"[٣].

فأن يقوم الحارث بن جبلة بالإصلاح بين أحياء طيّئ إشارة دالّة على مكانة غسان والحارث عند الطائيين.

وثمة إشارة أخرى يمكن الاستدلال بها على مكانة غسان، وردت في شعر قيس بن جِرْوة الملقّب بعارق الطائي، قال:[٤]

واللهِ لو كانَ ابنُ جَفْنَةَ جاركُمْ	ما إنْ كَساكُم غُصَّةً وهَوانا
وسَلاسِلاً يبرُقْنَ في أعناقِكُمْ	واذَنْ لقَطَّعَ تلكُمُ الأقرانا
ولكانَ عادتُه على جيرانِه	ذَهَباً وَرَيْطاً رادِعا وجِفانا[٥]

(١) تاريخ اليعقوبي، ١: ٢٦٣.

(٢) الحماسة، شرح المرزوقي. ص١٤٦٦.

ولكن هذا العقد تعرض للنقض عندما قام عمرو بن هند بغزو طيّئ، ويمكن تتبّع أثر هذا الغزو في شعر عارق الطائي في نشوة الطرب، ١: ٢٣٦-٢٣٧.

(٣) الكامل في التاريخ (الطابعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ)، ١: ٣٨٨.

(٤) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، النقائض (تحقيق بيفار، بريل، ليدت، ١٩٠٧)، ٢: ١٠٨٣.

(٥) الرَّيْط: جمع الرَّيْطَة، وهي الثوب اللّيّن الرقيق– والرّادع: المَرْدع، المُلمَّع بالزعفران أو بالطيب. والجِفان: جمع الجَفنة، وهي القَصْعَة.

ومناسبة هذه الأبيات – كما ذكر ابن الكلبي– أن "عمرو بن هند غزا اليَمامة، فرجع مُنْفِضاً، فمرّ بطيءٍ، فقال له زُرارة بن عُدَس[1]: أصِبْ من هذا الحي شيئاً. قال: ويلك! إن لهم عَقْداً. قال: وإن كان، فإنك لم تَكْتب العقد لهم كُلّهم، فلم يَزَل به حتى أصاب نسوة وأذْوادا[2]، فقال قيس:[3]

أكـلُّ خَمِـيسٍ أَخطـأ الغُـنْمَ مَـرَّةً ... وصـادفَ حَيّـاً دائمـاً هـو سـائِقُهْ

فأقْسـمتُ لا أحتـلُّ إلا بصَـهْوَةٍ ... حَـرامٌ عليـك رَمْلُـهُ وشَـقائِقُهْ[4]

فأقسـمتُ جَهْـداً بالمنـازِلِ مـنْ مِنَـى ... ومـا ضـمَّ مـن بَطْحـائهنّ دَرادِقُـهْ[5]

لـئن لـم تغيّـرْ بعـضَ مـا قـد صَـنَعْتُمُ ... لأنتَحِـيَنْ للعَظْـمِ الـذي أنـا عارِقُـهْ

وما أروم أن أتلبّث عند عارق، فشعره في هذه المناسبة وَفْر، وهو في علاقة طيّء بالمناذرة أدخل. وما وقفت عنده إلا للمقابلة التي عقدها عارِقٌ بين عمرو بن هند وابن جفنة الحارث بن جَبَلَة: فلو كان الحارث جاراً لطيّئ لما أذاقها الهوان ولَكَان قد عادَهُم بالمال والكساء والطعام.

* * *

وعلى الرغم من دخول طيئ حلف أسد وذبيان، فإن علاقتها بغسان والمناذرة قد ظلّت متوازنة. وقمينٌ ألا يَعْزُب عنا معنى وجود إياس بن قَبيضَة الطائي في

---

(١) زُرارة بن عُدَس: سيّد من سادات تميم، له أخبار كثيرة. انظر: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ٧٦، ٢٣٦، ٤٥٠.

(٢) الأذواد: جمع الذَّوْد، وهي في الجِمال من ثلاثة إلى عشرة.

(٣) ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي (تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني القاهرة، ؟)، ص١٧٠.

(٤) الشّقائق: جمع الشّقيقة، وهي الفُرْجة بين الجبلين تُنْبِت العشب.

(٥) الدَّرادِق: جمع الدِّرْدَاق، وهي صغار الإبل وغيرها.

الحيرة، ومبلغ نفوذه فيها، حتى إن الفرس قد عيّنوه على الحيرة خَلَفاً للنعمان بن المنذر، آخر أمراء المناذرة.

أخشى أنني أستبق الأحداث، فأجْدرْ بي أن أرتدّ إلى عهد الحارث الأصغر وابنه النعمان، إذ روى ابن الكلبي – وهو راوية ديوان حاتم الطائي – أن طيّئاً "أغارت على إبلٍ للحارث بن عمرو الجَفْني، وقتلوا ابناً له، وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلَنَّ ويستبيَنَّ الذَّرارين فحلف ليقتلَنَّ من الغَوْث أهل بيتٍ على دمٍ واحد، فخرج يريد طيّئاً، فأصاب من بني عَدِيّ بن أَخْزَم تسعين رجلاً، رأسُهُمْ وَهْم ابن عمرو من رَهَطِ حاتم"[1].

ويمكن تصحيح الرواية استناداً إلى ما مرّ على علاقة غسان بأسد وذبيان، وقد تبيّنا أن النعمان بن الحارث الأصغر كان يَحْمي حمى بين عالِج (النُّفوذ) والجِناب (الجَهْراء)، ويظهر أن الحملة التي أصابت أسداً وذبيان أصابت طيئاً أيضاً، فهي حملة واحدة فيما أرجّح.

صدى الحملة في شعراء طيئ

لا نجد – أو لم أجد– صدى لهذه الحملة في غير شعر حاتم الطائي.

---

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص١٨٧–١٨٨. وفي ديوانه (طبعة دار صادر بيروت، ؟ ص٥٥: "أغارت طيّيء على إبل للنعمان بن الحارث بن عمرو ورجل من بني جفنة، وقتلوا ابناً له". وفي الموفقيات للزبير بن بكار (تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢)، ص٤٤٣:

"أغارت طيّيء على إبل النعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، وقتلوا ابناً له". وفي الأغاني (تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩) ١٧: ٢٨٨ أغارت طيّيء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، ويقال هو الحارث بن عمرو رجل من بني جفنة، وقتلوا ابناً له".

ذكر ابن الكلبي أن حاتماً كان بالحيرة عندما غزا النعمان طيّئاً، فلما قدم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها، فتقول: يا حاتم أُسِر أبو هذا. فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى الحارث ومعه مِلْحان بن حارثة، وكان لا يسافر إلا معه.(١).

* * *

وفي ديوان حاتم ثلاث قصائد في هذه المناسبة، يظهر أنه قال أولاهنّ إذ عزم على السفر إلى الحارث:(٢). ومطلعها:

ألا إنني قد هاجَني الليلةَ الذِّكَرْ وما ذاكَ من حُبِّ النساءِ ولا الأَشَرْ

ويتبدّى في هذه القصيدة – أو المقطوعة(٣)– غموض مصير الأسرى الطائيين، فحاتم لا يدري ما الحارث فاعلٌ بهم: أيخلّي سراحهم، ويردّهم إلى أهليهم، أم يستبقيهم أو يقتلهم صَبْراً أو يسترقّهم؟

ومصيرُهم بين خير مأمول من الحارث – خير الناس حيَّاً وميّتاً– وشرٍّ متوقّع سيحتمله هو وقومه، كما احتملوا شرّاً قبله، وصبروا عليه:

فيا ليتَ خيرَ الناسِ حيّاً وميّتاً يقولُ لنا خيراً وَيُمْضي الذي ائتَمَرْ
فإنْ كانَ شَرٌّ فالعَزاءُ بأنّنا على وَقَعاتِ الدَّهْرِ من قَبْلِها صُبُر

ويحدِّد حاتم، من خلال دعاء بالسُّقيا، مقرّ الحارث بن عمرو، فيجعله جنوبَ جبال الشَّراة منَ مآب إلى زُغَر:

---

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال) ص١٨٨. والموفقيات، ص٤٤٣. والأغاني، ١٧: ٢٨٨–٢٨٩.

(٢) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ١١٨.

(٣) لأنها تسعة أبيات.

سَقَى اللـهُ ربُّ النـاسِ سـحّاً وديمَـةً جَنـوبَ الشَّراةِ من مَـآبٍ إلـى زُعَرْ[1]
بـلادَ امـرِئٍ لا يَعْـرِفُ الـذمُّ بيتَـهُ له المَشْرَبُ الصافي وليسَ له الكَدَرُ

ويستوقف هذا التحديدُ لبلاد الحارث الغسانيّ "جنوب الشَّراة منَ مآب إلى زُغَر": يستوقف جغرافياً لأن جبال الشراة كلّها اليوم تقع جنوب جبال مآب (مؤاب اليوم)، ويفصل بينهما وادي الحسا. أما جبالُ مُؤاب فتقع بين وادي المُوجِبِ شَمالاً ووادي الحَسا جنوباً.

فتحديد حاتم لا يوافق أسماء المواقع اليوم. أكان حاتم لا يعرف ديار غسان لأنه ليس من أهلها، فأخطأ في تحديد المواقع، أم أن أسماء المواقع اليوم غيرها في زمن حاتم؟

والجواب عن هذا التساؤل يحتّم عليّ ولوج باب من أبواب الجغرافية التاريخية، فتحديد الشراة وَمآب وزُغَر يحتاج إلى بحث خاص من أهل الاختصاص بذلك الباب.

وإن جاز لي أن أقول في هذا المقام شيئاً أقل: يبدو أن رواية البيت هي:

سَـقَى اللــهُ النــاسَ سَــحّماً وديمَــةً جنـوبَ السَّـراةِ مـن مَـآبٍ إلـى زُغَـرْ

فهي السَّراة وليس الشَّراة، وهذه هي الرواية التي أثبتتها طبعة صادر[2] من ديوان حاتم، وهي المُثْبتة في الأغاني[3] والموفقيات.[4]

---

(١) السَّح: الصَّبُّ المتتابع. والديمة: المطر يدوم يومين وثلاثة مع سكون.
(٢) ص٥٦.
(٣) ١٧: ٢٨٩.
(٤) ص٤٤٤.

والسَّراة هي سلسلة الجبال الممتدة غرب جزيرة العرب من شمالها إلى جنوبها، وتُحدَّد أجزاؤها باسم المنطقة التي تكون فيها، فيقال بذلك: سَراة الحجاز وسَراة اليمن.

وجبال الشَّراة ومؤاب وعجلون والسويداء امتداد طبيعي لسلسلة جبال السَّراة، وهي التي أطلق عليها حاتم (السّراة) أو سَراة الشام إذا انسحب إليها ما انسحب على السَّروات في الجزيرة.

فكأنّ حاتماً أراد جنوب سراة الشام حيث تقع بالفعل مآب وزُغَر.

* * *

وثمة مسألة أخرى في هذا البيت وهو مَآب، فقد جعلها حاتم مدينة أو قرية، وهي كذلك عند ياقوت، حيث قال: "وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البَلْقاء، قال أحمد بن محمد بن جابر: توجّه أبو عبيدة بن الجرّاح في خلافة أبي بكر في سنة ١٣ بعد فتح بصرى بالشام إلى مآب من أرض البَلْقاء وبها جمع العدوّ فافتتحها على مثل صُبْح بُصْرى."[١].

وأرجّح أن مآب مدينة مأدبا اليوم.

وأما زُغَر فمدينة من مدن قوم لوط عليه السّلام، وقد ورد ذكرها في العهد القديم باسم (صُوغَر) في الطبعة العربية[٢]، و(صوعر) [illegible] في الطبعة العبريّة[٣] وهي المدينة التي لجأ إليها لوط عليه السلام.

---

(١) معجم البلدان – مادة مآب.

(٢) سفر التكوين، إصحاح ١٩ (مطبعة عنتر، القاهرة، ١٩٦٩).

(٣) [illegible] (1951).

وزُغَر كثيرة الورود في كتب الجغرافيين العرب ذكرها ابن حَوْقل[١] والاصطخري[٢] وياقوت[٣]. وقال عنها ابن شدّاد: "هي مدينة حارّة متصلة بالبادية، وبها نِيْل لا يُقَصّر عن نيل كابُل"[٤].

وقد لفتني من تعليق الدكتور سامي الدهّان – محقّق الأعلاق الخطيرة – ما ذكره أن "زُغَر هي قرية الشيخ عيسى في جنوبي البحر الميت"[٥]، فسألت زميليّ الدكتور حسن عبدالقادر والدكتور محمود أبو طالب، فأخبراني أنه لا توجد قرية باسم زغر اليوم، ولا قرية باسم الشيخ عيسى كما ذكر الدكتور سامي الدهان.

* * *

وذكر ابن الكلبيّ أن حاتماً قال في أُسارَى قومه، وكانوا عند بعض الملوك، فلما سمع هذا الشعر وهبهم له"[٦].

قال:[٧]

أَبَــى طُــولُ لَيْلِــكَ إلا سُــهُودا ... فمــا إنْ تُبــينُ لِصُــبْحٍ عَمُــودا
أبيــتُ كئيبــاً أراعــي النَّجــومَ ... وأوجِــعُ مــن ســاعدَيّ الحديــدا
أُرَجِّــي فَواضِــلَ ذي بَهْجَــةٍ ... مــن النــاسِ، يَجْمَــعُ حَزْمــا وجُــودا

---

(١) ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي، صورة الأرض (دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟)، ص١٦٠.

(٢) الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك (تحقيق محمد عبدالعال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦١)، ص٤٧.

(٣) معجم البلدان، مادة زغر.

(٤) ابن شداد، عز الدين أبو محمد بن علي إبراهيم الجبلي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم الشام (تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢). ص٦٧.

(٥) نفسه، ص٢٨٩ (الحاشية).

(٦) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص٢٠٦.

(٧) نفسه، ص٢٠٦-٢٠٧.

نَمَتْـــــهُ أُمامَـــــةُ والحارِثـــــا ... نِ حتـــى تَمَهّـــلَ سَـــبْقاً جَديـــدا
كَسَـــبْقِ الجـــوادِ غَـــداةَ الرِهـّـــا ... نِ أَرْبَـــى علـــى السّـــنِّ شَـــأواً مديـــدا
فـــأَجْمِعْ فِـــداءٌ لـــك الوالـــدانِ ... لمـــا كنـــتَ فينـــا بِخَيْـــرٍ مُريـــدا
فَتَجْمَـــعَ نُعْمَـــى علـــى حـــاتِمٍ ... وتَحْضُـــرَها مـــن مَعَـــدٍّ شُـــهُودا
أم الهُلْـــكُ أدنـــى فمـــا إن عَلِمْـــتُ ... علـــيّ جُناحـــاً فأخشَـــى الوعيـــدا
فأحسِـــنْ فـــلا عـــارَ فيمـــا صَـــنَعْت ... تُحْيـــي جُـــدوداً وتَبْـــري جُـــدودا

فالحارث بن عمرو نماه حارثان وأمامة. ويغلب عليّ الرُّجْحان أن الحارث هو الحارث الأصغر، وأن الحارثين اللذين نمياه هما الحارث بن جبلة (وهو الحارث ابن أبي شمر الأعرج)، والحارث بن ثعلبة. أما أمامة فاسم أمه، أمّ الحارث الأصغر.

* * *

وقد أطلق الحارث من كان أسرهم من رهط حاتم، فقال:[1]

أبلِـغِ الحـارثَ بـن عَمْـرو بـأنّي ... حـــافِظُ الـــوُدِّ مُرْصِـــدٌ للثَّـــوابِ
ومُجيـــبٌ دُعـــاءَه إنْ دَعـــانِي ... عَجِـــلاً، واحـــداً، وذا أصْـــحابِ

فالحارث هو الحارث بن عمرو، وحاتم حافظ للودّ، ومقدّر صنيع الحارث عليه. وهو يَعِده أن يلبّي الحارث إذا دعاه، هو وحده، أو هو وأصحابه.

إنمـــا بينَنـــا وبينَـــك فـــاعلم ... سَـــيْرُ تِسْـــعٍ للعاجِـــلِ المُنْتَـــابِ
فـــثَلاثٌ مـــن السَّـــراةِ إلـــى الحلـــبط ... للخَيْـــلِ جاهَـــداً والرِّكـــابِ[2]

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص١٩٤-١٩٧.
(٢) أخذت رواية هذا البيت من الديوان (طبعة صادر)، ص٢٧ وفي (الحَلْبَط) اختلاف في الرواية أثبت على حاشية الديوان. ونجد بعض التشابه بين أسماء الأماكن في ديوان حاتم وديوان امرئ القيس. وورد في ديوان امرئ القيس (الحلْيَت) انظر الديوان (تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص٧٨، ٣٩٦.

وثـــــلاثٌ يَـــــردْنَ رَهْـــــواَ وثَـــلاثٌ يُغْـــرُوْنَ بالإعجـــاب[1]
فـــإذا مـــا مَـــرَرْتَ فـــي مُسْبَطِـــرٍّ فاجْمَعِ الخيلَ مثلَ جَمْعِ الكِعابِ[2]

فبين الحارث وطيّئ سير تسع ليال لمن قصد الزيارة، فعجّل فيها: ثلاث من السّراة حيث ديار غسان إلى الحَلْبَط، وثلاث من الحَلْبَط إلى تَيْماء، وثلاث إلى ديار طيّئ حيث الطريق بينهما واضح.

ليـــت شـــعري متـــى أرى قُبَّـــةً ذا تَ قِـــــلاعٍ للحـــــارثِ الحَـــــرّابِ
بِيَفـــــاعٍ، وذاكَ منهـــــا مَحَـــــلٌ فَـــوْقَ مَلْـــكٍ يَديـــنُ بالأحســـابِ

أَخلِقْ بهذين البيتين أن يكونا في رحلة الذّهاب إلى الحارث وليس في رحلة الإياب!

والحارثُ في قُبّة ذاتِ قلاع على يَفَاعٍ من الأرض، وهو حَرّاب،[3] وهذا لقب للحارث الأصغر مثلما كان لقبُ الوّهاب[4] للحارث بن أبي شَمِر.

* * *

ومما يلفت في هذه القصائد إباء حاتم وشعوره بالعزّة: فهو لم يعتذر اعتذار النابغة حين أوهن ذبيان وأوهاها، وتحدث عنها كأنه ليس منها، أو كأنه غسانّياً أكثر منه ذبيانياً. فحاتم لا يرهب الخزاة وحوله قومه الثُّعَليّون كأنهم اللّيوث[5]،

---

(١) الرَّهو: السير السهل. ويُغْرُوْن: يَطْمَعْن.

(٢) المُسْبَطِرّ: الطريق الممتدّ المستقيم. والكعاب: جمع الكعب، وهو العظم الذي يلعب به الأولاد، ويسمى إلى اليوم بهذا الاسم.

(٣) انظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة (تحقيق إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م)، ص٥٥-٢٧٥.

(٤) انظر ديوان علقمة الفحل (تحقيق لطفي الصقّال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ١٩٧٠). ص٣٩.

(٥) الديوان (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص١٩٦.

وقومه نشاوى "لَهُمْ من كلِّ سائمةٍ جَزَر"[1] وَوَهْمُ بن عمرو- وهو أحد الأسرى الأشراف- جلد جريء بعيد الغارة. وهو - أي حاتم- إذا جاء إلى الحارث لإطلاق سراح الأسرى، فإنه يجيء "كريماً لا ضعيفاً ولا حَصِرْ"[2].

ويستوقف أيضاً ذلك التّصافي الذي تمّ بين الحارث وحاتم، واستعداد حاتم لتلبية دعوة الحارث، هو وأصحابه، إذا دعاهم.

وكأني بحاتم قد دعا الحارث إلى زيارة ديار طيّيء، فوصف له الطريق.

* * *

وقد ودِدْت أن أرى في هذه المناسبة شعراً لزيد الخيل الطائي، فارس طيّئ وشاعرها ولكن يبدو أن الشعراء الفرسان يَصْدُرون عن منهل واحد، فتراهم يُجْبِلون عند الهزيمة وينقدحُ زَنْدُهم عند النصر.

(٦)
بين غسان وضبّة
أ- إشارة في شعر الفرزدق

للفرزدق خؤولة في بني ضَبّة جعلته يفخر ببعض أيامهم في الجاهلية، في نقائضه مع جرير.

وفي بعض ما قاله صلة بأيام ضَبَّة مع غسّان، قال:[3]

إن الـذي سَـمَكَ السـماءَ بنـي لنـا بَيْتـاً دعَائمُـهُ أعـزُّ وأطْـوَلُ

---

(١) نفسه، ص١٨٩.

(٢) نفسه، ص١٩٠. والقافية مقيّدة.

(٣) شرح ديوان الفرزدق (جمع وشرح عبدالله الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟) ٢: ٧١٤-٧١٩.

....

إنّ ابــنَ ضَــبَّة كــان خيــراً والــداً وأتــمُّ فــي حَسْــبِ الكــرامِ وأفْضَــلُ
وَهُــمُ علــى ابــنِ مُزَيْقِيــاءَ تنــازلوا والخيــلُ بــينَ عَجاجَتَيْهــا القَسْــطَلُ
ومحرِقــا صَــفَدُوا إليــه يمينــه بصِــفادِ مُقْتَسِــرٍ أخــوهُ مكَبَّــلُ
مَلِكَــانِ يــومَ بُزاخَــةٍ قَتَلُوهُمــا وكلاهُمــا تــاجٌ عليــهِ مكلَّــلُ
يــا ابــنَ المراغَــةِ أيــنَ خالُــكَ إننــي خــالي حُبَــيْشٌ ذو الفَعــالِ الأفْضَــلُ
خالِي الذي غَصَبَ المُلوكَ نُفوسَهُمْ وإليــه كــانَ حِبــاءُ جَفْنَــةَ يُنْقَــلُ

وقد شرح أبو عبيدة هذه الأبيات، فذكر يومين لِضَبَّة على غسان: بُزَاخَة، وإضَم، وأورد شعراً لبعض شعراء ضَبَّة في هذين اليومين.

ب- يوم بُزَاخة

قال أبو عُبيدة: "وأما حديث مُحَرِّق وأخيه زياد يوم بُزَاخَة، فإنه أغار محرِّقٌ الغساني وأخوه في إياد وطوائف من العرب من تَغْلِب وغيرهم، على بني ضَبَّة بن أُدّ ببُزاخَة، فاستاقوا النَّعَم. فأتى الصريخ بني ضبَّة، فركبوا فأدركوه، واقتتلوا قتالاً شديداً. ثم إن زَيْد الفَوارس حَمَل على مُحَرِّق، فاعتنقه وأسره، وأسروا أخاه أسره حُبَيْش بن دُلَف السِّيْدِيّ، فقتلهما بنو ضَبَّة (وكان يقال لأخي محرِّق فارس مَرْدُود)، وهُزم القوم، وأُصيب منهم ناس كثير".(١)

وتذهب بي الظّنون مذهبها في نسبة اليوم إلى مُحرِّق الغَسّاني؛ فلقب مُحَرِّق قد لحق باثنين – أو أكثر من العرب- أشهرهما مُحَرِّق من المناذرة، وهو عمرو بن هند لفعلته الشنعاء بتميم حين حرق مائة منهم أحياء، وهو خَبَرٌ شائع شَرُود.

---

(١) النقائض، ١: ١٩٥. وانظر الخبر في: الممتع في علم الشعر وعمله، عبدالكريم النهشلي القيرواني (تحقيق منجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٧٨) ص١٥١.

وثانيهما مُحَرِّق من غسان وهو الحارث بن عمرو بن عامر من متقدّمي أمراء غسان، لحرقه الحيرة.

وليس هذا مبعثَ الظّن، وإنما اشتراك تغلب وإيادِ محرِّق الغساني في الغارة على ضَبَّة. وهذا بعيد، فعلاقة إياد وتغلب بالمناذرة أدْخلُ من علاقتهما بغسان، لقرب الديار، وأخبارهما مع المناذرة كثيرة.

ولعلّ المناسبة الوحيدة التي التقت فيها غسان بتغلب، تلك المناسبة التي أورثت بينهما عداء، والتي جاء خبرها عند ابن الأثير، وهو خبر رواه أبو عبيدة، رواية يوم بُزاخة نفسه.

قال ابن الأثير: قال أبو عبيدة: إن بكراً وتغلب ابني وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء، وذلك بعد حربهم، وكان الذي أصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مُرة ابن هُمام فغزا بهم المُنذر بني آكل المُرار، وجعل على بني بكر وتغلب ابنه عمرو ابن هند، وقال: اغْز أخوالك فغزاهم، فاقتتلوا فانهزم بنو آل المُرار، وأسروا، وجاءوا بهم على المنذر فقتلهم، ثم انتقضت تغلب ولحقت بالشام ....

وعادت الحرب بينهم وبين بكر، فخرج ملك غسان بالشام وهو الحارث بن أبي شَمر الغساني، فمرّ بأفاريق من تغلب فلم يستقبلوه، وركب عمرو بن كلثوم التغلبي، فلقيه فقال له: ما منع قومك أن يتلقوني؟ فقال: لم يَعلموْا بمرورك، فقال: لئن رجعت لأغزونّهم غزوة تتركهم أيقاظاً لقدومي! فقال عمرو: ما استيقظ قوم إلا نَبُل رأيهم وعزّت جماعتُهم، فلا توقظن نائمهم. فقال كأنك تتوعّدني بهم، أما والله لتعلمنّ إذا نالت غطاريف غسان في دياركم أن أيقاظ قومك سينامون نَومة لا حُلم فيها، تجتث أصولهم، وتَنفي فَلّهم إلى اليابس الجَدَد والنازح الثّمد![1]

---

(١) الفَلّ: المنهزمون (يقال للواحد والجمع). والجَدَد: المكان المستوي. والنَّازِح الثّمد: المكان ذو الآبار بعيدة القاع قليلة الماء شأن آبار الصحراء.

ثم رجع عمرو بن كُلْثوم عنه وجمع قومه، وقال:

ألا فـــاعلَمْ أبيـــتَ اللَّعْـــنَ أنـــا ... أبيـــتَ اللَّعـــنَ تَـــأبَى مـــا تُريـــدُ
تَعَلَّـــمْ أنَّ مَحْمَلَنـــا ثَقيـــلٌ ... وأنّ دَبـــارَ كَبَّتِنـــا شَـــديدُ[1]
وأنـــا لـــيسَ حـــيٌّ مـــن مَعَـــدٍّ ... يُقاوِمُنـــا إذا لُـــبِسَ الحَديـــدُ

فلما عاد الحارث الأعرج غزا بني تغلب، فاقتتلوا واشتدّ القتال بينهم، ثم انهزم الحارث وبنو غسان، وقتل أخو الحارث في عدد كثير، فقال عمرو بن كُلْثوم:

هـلّا عَطَفْـتَ علـى أخيـك إذا دَعـا ... بالثُّكْلِ وَيْلَ أبيكَ يـا ابـنَ أبـي شِمَرْ
فَذُقِ الـذي جَشَـمْتَ نَفْسَـك واعتـرف ... فيهـا أَخـاكَ وعـامِرَ بـن أبـي حُجُـر[2]

* * *

فأن يكون هذا اليوم مع عمرو بن هند أرجح.

ولا يظهر من قصيدة إياس بن القائف أنْ محرِّقاً قُتِل في ذلك اليوم، وقد تحدّث فيها ابن القائف عن إقبال جيش مُحَرِّق، فتلقّاه فوارس ضبة، ومنهم زيد الخيل بن حصين بن ضرار الضَّبِّي وابنا مُنْذِر، وسَمَوْا له بالطعن، فرماه زيد الخيل بِغُرَّة فرسه (كامل)، وكأنه ليثٌ ضارٍ بكفيّه المنية:

قال:[3]

نِعْـمَ الفَـوارسُ يـومَ جـيش مُحَـرِّقٍ ... لَحِقُـوا وَهُـمْ يَـدْعُونَي لَضِـرارِ
زيـدُ الفَـوارسِ كـرٌّ وابنـا مُنْـذِرٍ ... والخَيْـلُ أوجَفَهـا بنـو جَبّـارِ[1]

---

(١) الدّبار: الهلاك. والكبّة: الدّفعة من الرجال في القتال.
(٢) الكامل في التاريخ، ١: ٣٢٥.
(٣) النقائض، ١: ١٩٥.

حتـــى سَـــمَوْا لمُحَـــرِّقٍ برِمـــاحِهِمْ بـــالطَّعْنِ بـــينَ كتائـــب وغُبَـــارِ
يَرْمـــي بِغُـــرَّةِ كامـــلٍ وبنَحْـــرِهِ خَطَـــرَ النُّفـــوسِ وأيَّ حـــينِ خِطـــارِ
وكـــأنّ زيـــداً زيـــدَ آلِ ضِـــرارِ لَيْـــثٌ بكفيْـــهِ المنيَّـــةُ ضـــارِ

وانجلت المعركة عن قتلى من جيش محرِّق تَحُطّ عليهم عافياتُ الطّير، وعن رماح تكسّرت قناها:

جَعَلـوا لِعـافي الطَّيْـرِ مِـنْهُمْ وَقْعَـةً صَـرْعَىً تَضَـوَّرُ فـي قِنـا أكْسـارِ

ولا نَجدُ ذِكْراً في قصيدة ابن القائف لفارس مَرْدُودٍ الذي ذكر ابن الكلبي[٢] وابن الأنباري[٣] أنه رجل من غسان، واستشهدا بقول ربيعة بنَ مَقْروم الضّبي[٤]:

وفـارِسَ مَـرْدُودٍ أشاطَـتْ رماحنـا وأَجْـزَزْنَ مَسْـعوداً ضِـباعاً وأذْؤبـا[٥]

ج- يوم إضَم

يبدو أن في شمال الجزيرة أكثر من مكان كان يسمّى إضماً[٦] وأقرب تحديد لما نحن فيه ما ورد في قول سلامة بن جَنْدلِ التميمي – وبين تميم وضبّة

---

(١) أوجَفَ الخيلَ: حثّها على الجَرْي.
(٢) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها (تحقيق أحمد زكي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م)، ص٩٩.
(٣) شرح المفضليات، ص٧٤٠.
(٤) انظر القصيدة في شرح المفضليات، ص٧٣٢-٧٤٠.
(٥) أشاطَ: أهلك. وأجرزَ: أطعم.
(٦) انظر معجم البلدان، ماد إضم.

اختلاط- حيث حدّد إضمَاً "بين الدَّكادِكِ من قَوٍّ فَمَعْصُوبِ"[1]، وَقوٌّ في الجِناب، الجَهْراء اليوم، كما ذكرنا من قبل.

ومن خبر ذلك اليوم أن عمرو بن الحارث بن أبي شَمِر "أقبل حتى أغار على بني ضَبَّة فأصاب بني عائذة بنِ مالك بن سعد بن ضَبَّة، وقد كانوا أوقدوا مع جِرْوة وشَقْرة ابني ربيعة بن ثَعْلَبة بن سعد بن ضَبَّة ناراً للحرب، فقال الملك: ما هذه النار التي تُدخّن علينا؟ قالوا: هذه شَقْرة وجروة قد أوقدوا ناراً للحرب! قال: احملوا عليهم. فحملوا عليهم فأبادوا يومئذ بني عائذة".[2]

ويَذكر أنّ ضَبَّة أسرت عمرو بن الحارث بن أبي شَمِر، أسره حُبَيْش بن دُلِف الضّبّي، فجزَّ ناصِيته، ومنَّ عليه، واشترط عليه جُعْلاً يؤديه في كل سنة إليه.[3]

ويقال: "جاء رجل من بني قيس بن عائذة يُدْعى عامر بن ضامر فقال: والله لأطعنَنَّ اليوم طعنةً كَمَنْخِر الثَّور النَّعِر[4]، فطعن ابنَ مُزَيْقِياء وقتله وانهزم أصحابه هزيمة قبيحة، فقال ربيعة بن مَقْروم:

وآل مُزَيْقِيـــاءَ وقـــد تَـــداعَتْ حَلائـــيُهُمْ لنـــا حتـــى قَرِينـــا
صَـبَرْنا بالسّيـوفِ لَهُـمْ وكانـت مَعاقِلُنـــا بِهـــنَّ إذا عَصِينـــا

---

(١) من مطلع قصيدته:

يا دار أسماءَ بالعلياءِ من إضِم بين الدكادِكِ من قَوّ فَمَعْصُوبِ

انظر ديوانه (تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٦٨)، ص٢٢٣.

(٢) النقائض، ١: ١٩٥-١٩٦.

(٣) الحلي، أبو البقاء هبة الله، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات، مكتبة الرسالة الجديدة، عمان، ١٩٨٤)، ١: ١٧٠و ٢: ٥٢٦.

(٤) الثور النَّعِر: الثور الذي دخلت في مَنْخَرِه النَّعَرة، وهي ذبابة زرقاء تسقط على الدواب فتؤذيها، وتدخل في أنوفها فتهيجها.

وقالت نائحته:

لَعمْـري لقـد غـادَرْتُمُ يـوم رُحْـتُمُ على إضـمٍ مـنكم عَقِيـرةَ عـامرِ
لقـد خَطَّـطَ الأنـواء طَعْنَـةُ عامِـرٍ ألا يـا قتيلا مـا قتيلُ ابـنِ ضامـرِ"[1]

وليس في الشعر ما يدلّ على اسم الغساني الذي أسره حُبَيْس ولا اسم الغساني الذي قتلته ضَبّة أو قتله عامر بن ضامر.

ويُسْتبعد كثيراً أن يكون حُبَيْس أسر عمرو بن الحارث الأصغر ممدوح النابغة الذبياني، لأن مثل هذا الأسر ما كان ليمرَّ من غير أن يكون له صدى في الشعر الجاهلي.

وربيعة بن مَقْروم الذي استشهد به أبو عبيدة عن يومي بُزاخَة وإضم شاعر مخضرم "عاش في الإسلام دهراً وشهد القادسية"[2]، وله في القادسية شعر[3]. ويغلب عليّ الظّن أن الأبيات التي استشهد بها أبو عبيدة عن يوم إضم "وآلُ مُزَيْقِياء وقد تداعت" إسلامية، وأنه قالها في فتح الشام. بل لماذا أجعلها في فتح الشام، فالمناذرة أيضاً من آل مُزَيْقياء عمرو بن عامر الأزديّ؟[4]

* * *

ولعلّ أظهر ما يلفت من دراسة أيام غسان مع الأحاليف في الشعر الجاهلي أن صورة التحالف الحقيقي بين أسد وذبيان وطيّئ وضبّة لم يظهر في الشعر،

---

(١) نفسه، ص١٩٠. والقافية مقيّدة. النقائض، ١: ١٩٦.

(٢) ديوان المفضليات (شرح ابن الأنباري)، ١: ٧٣١.

(٣) انظر: ابن قتيبة، أبو محمد بن عبدالله بن مسلم، الشعر والشعراء (تحقيق دي جويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٢)، ص١٨٠.

(٤) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ١٤٠-١٤٦.

حيث ظلّ شعراء هذه القبائل يتحدثون عن قبيلتهم، ولا يوردون التحالف. ولا أكاد أستثني إلا ما ورد عن النابغة الذبياني، حيث رأينا فيه حلف ذبيان وأسد.

* * *

المصادر والمراجع

- ابن الأثير علي بن أبي الكرم:
الكامل في التاريخ، الطباعة النيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ.

- الأصبهاني، حمزة بن الحسن:
تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟.

- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي:
المسالك والممالك، تحقيق محمد عبدالعال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٩م.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:
الأغاني، تحقيق عبدالسلام أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م.

- الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى:
أشعار الشعراء الستة الجاهليين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م.

- امرؤ القيس:
ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.

- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل:
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨م.

- ثعلب، أحمد بن يحيى:
مجالس ثعلب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:
البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٢م.

- جواد علي:
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٧٦م.

- حاتم الطائي:
ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ؟.
ديوان شعر حاتم الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، ؟.
ديوان حاتم الطائي، تحقيق علي العتوم، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م (مخطوط).

- ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية:
المحبّر، تحقيق ايلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢م.

- حسان بن ثابت:
ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟.
ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
- الحلّي، أبو البقاء هبة الله:
المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات، مكتبة الرسالة الجديدة، عمان، ١٩٨٤م.
- حمد الجاسر:
غرب الجزيرة، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي:
صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد:
تاريخ ابن خلدون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١م.
- الزبير بن بكار:
الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢م.
- زهير بن أبي سلمى:
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤م.
- زيد الخيل الطائي:
ديوان زيد الخيل الطائي، صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان.
- ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى:

نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م.

- سلامة بن جندل:

ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٦٨م.

- الثعلبي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله:

آكام المرجان في أحكام الجان، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

- ابن الشجري، هبة الله بن عبدالله:

مختارات شعراء العرب، تحقيق علي محمد بجّاوي، مكتبة دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م.

- ابن شدّاد، عز الدين أبو محمد محمد بن علي بن إبراهيم الجلبي:

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢م.

- الشمشاطي، علي بن محمد بن المطهر العدوي:

الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق السيد محمد يوسف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧م.

- ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه:

العقد الفريد، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٥م.

- عبيد بن الأبرص:

ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧م.

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى:
نقائض جرير والفرزدق، تحقيق بيفار، بريل، ليدن، ١٩٠٧م.
- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبدالله:
المصون في الأدب، دار الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢م.
- عمرو بن شأس الأسدي:
شعر عمرو بن شأس الأسدي، صنعة يحيى الجبوري، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٦م.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل:
المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ؟.
- الفرزدق:
شرح ديوان الفرزدق، جمع وشرح عبدالله الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:
القاموس المحيط، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٦م.
- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم:
ذيل الأمالي والنوادر، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣هـ.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم:
الشعر والشعراء، تحقيق دي جوية، مطبعة بريل، لندن، ١٩٠٢م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد:
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

- ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب:
أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م.
جمهرة النسب، تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، ؟.
- لبيد بن ربيعة:
شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.
- المرتضى، علي بن الحسين الموسوي:
أمالي المرتضي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧م.
- المسعودي، علي بن الحسين:
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨م.
- المفضل الضبّي:
المفضليات، شرح ابن الأنباري، تحقيق كارلوس لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.
المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد مكرّم:
لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٦م.
- النابغة الذبياني:
ديوان النابغة الذبياني، تحقيق كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٠م.

ديوان النابغة الذبياني، جمع محمد بن عاشور، الشركة التونسية، تونس ١٩٧٨م.

ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

- نبيه عاقل:

تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥م.

- النهشلي، عبدالكريم النهشلي القيرواني:

الممتع في علم الشعر وعمله، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ١٩٧٨م.

- شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي:

معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٧م.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب:

تاريخ اليعقوبي، دار العراق، بيروت، ١٩٥٥م.

- Doughty, charles M., Travels in Arabia Deserta, Jonathan cape, London 1927.
- Hitti philip, History of Syria, Macmellan & co L T D, London, 1935.
- Huart, Cl., Histoire des Arabes, Libraire Paul Geuthner Paris, 1912.

- نولدكه، ثيودور، أمراء غسان، ترجمة بندلي خوري وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣.

- O Leary, Arabia Before Mohammad, Kegan Paul, London, 1977.

تدريس اللغة العربية لأغراض أكاديمية
في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة

للدكتور مفيق حسن دوشق
جامعة اليرموك

١- مقدمة

اهتمت الدراسات الأسلوبية، قديمها وحديثها، بالتركيز على دراسة الأساليب الأدبية، كدراسة أسلوب الفرد، كاتباً كان أو شاعراً أو دراسة مجموعة الأساليب التي تشكل مدرسة أدبية أو شعرية، أو دراسة الحركات الأدبية بشكل عام، إلا أن اللغويين في ضوء التقدم والتشعب في مختلف العلوم اللسانية، أضافوا إلى الدراسات الأسلوبية الحديثة سمة أعم وأشمل من ذي قبل، فقد اهتم الباحثون في مجال الأسلوبية الحديثة بالتركيز على تنوعات اللغة المختلفة، الأدبية والعلمية والقانونية وغيرها. وأصبح من أهم أهداف التحليل السياقي (النصّي) دراسة أفضل الطرق الكتابية التي يمكن أن يتبعها الكاتب لإحداث أنجح أثر في السامع أو القارئ.[١]

أمّا فيما يتعلق بالدراسات الأسلوبية العربية، فغني عن القول إنها قد قطعت شوطاً بعيداً فيما تقدمه للدراسات الأدبية والنقد الأدبي، فقد حظي الأدب العربي، شعره ونثره، قديمه وحديثه، بكثير من التحليل والدراسة. إلا أن الدراسات الأسلوبية، بمعناها الحديث الشامل، تكاد تكون معدومة وخاصة تلك المتعلقة باللغة العربية لأغراض أكاديمية، فلم تحظ اللغة العربية المستعملة في مجالات العلوم والطب وغيرها باهتمام الأسلوبين العرب وأدى تركيزهم على دراسة الأنماط الأسلوبية الأدبية إلى إهمال الأنماط الأسلوبية الأخرى، مما أدى بالتالي إلى الاهتمام بتدريس تلك الأنماط الأدبية دون غيرها، وكأن الهدف من تدريس اللغة العربية هو

تخريج الأدباء والشعراء والنقاد[٢]، وكان لذلك الاتجاه وما زال، آثار سلبية في تطور اللغة العربية التي يطمح أهلها في أن تصبح لغة العلم والتكنولوجيا ولغة التدريس والكتابة في الجامعات والمعاهد العليا.

٢- أهداف الدراسة:

بينا في دراسة سابقة[٣]، في معرض ردنا على اتهامات بعض المغرضين للغة العربية بأنها قاصرة، ولا تصلح لغة علم وتدريس في المعاهد العليا والجامعات، أن هذه اللغة تملك من الخصائص والمؤهلات ما يجعلها أداة ناجحة في التعبير الناجح عن جميع الوظائف اللغوية التي يمكن أن تعبر بها أية لغة "علمية" أخرى وأكدنا في تلك الدراسة أن القصور يكمن في القائمين على شأن هذه اللغة، وأوصينا بأن تقوم دراسات جادة للتعرف على مشاكل دراسة اللغة العربية وتدريسها، ونأمل أن تكون هذه الدراسة محاولة متواضعة لإبراز أهم المشكلات التي يواجهها الطلبة في الجامعات والمعاهد العليا عند الكتابة باللغة العربية لأغراض أكاديمية. وسنحاول في الدراسة الحالية إبراز نقاط الضعف المهمة في مقالات الطلاب، محللين أسبابها، ومن ثم سنحاول اقتراح بعض التوصيات التي نرى أنها ذات أهمية في هذا المجال.

٣- المشكلة وطريقة البحث:

اقتصرت معظم الدراسات والأبحاث في مجال تعليم الكتابة باللغة العربية على مستوى المفردات والجمل، وتركز تحليل أخطاء الطلاب في الغالب، على هذين المستويين، إلا أن الدراسات الحديثة وملاحظات الباحثين في مجال الكتابة لأغراض أكاديمية أثبتت أن اتخاذ الجملة وحدة للتحليل لا يكفي، وأن الحكم على مقدرة الطالب الكتابية من هذه المنطلق سيكون غير دقيق. فقد يتقن الطالب قواعد الإملاء والصرف والنحو في اللغة العربية وتكون مقالته أو بحثه، في الوقت نفسه،

غير مرض، فالمطلوب إذا هو نظرة أشمل وتحليل أوسع لمظاهر الضعف وأسبابه. والدراسة الحالية تذهب إلى أبعد من نطاق الجملة وتتبع اتجاهاً شمولياً في دراسة أخطاء الطلاب وتحليلها، مركزة على الأنماط الأسلوبية لأغراض أكاديمية.

٤- عينة الدراسة:

اشتملت هذه الدراسة على تفحص الأخطاء الأسلوبية وتحليلها في أكثر من مائة مقالة كتبها طلاب جامعيون في مختلف التخصصات وفي مختلف السنوات الجامعية، وقد طلب إلى جميعهم كتابة مقالة بعنوان "التعليم العالي في الأردن وأثره في الوطن والمواطن" وقد طلب إليهم أيضاً بيان رأيهم في التعليم العالي في الأردن، ومناقشة مشاكله، واقتراح بعض الحلول للنهوض به.

٥- التحليل والمناقشة:

يتناول هذا الجزء من الدراسة تحليل أهم مواطن الضعف في كتابة الطلبة، ومناقشة بعض مصادر ذلك الضعف، مبينة القدرة الكامنة التي تتحلى بها اللغة العربية التي يمكنها أن تخدم الكاتب وتسعفه إذا هو أخلص النية وعقد العزم على سبر غور تلك الإمكانات اللغوية والبيانية الخصبة، واستعمالها للتعبير عن غاياته الكتابية المختلفة. وما دمنا نؤمن أن أي فصل بين مستويات اللغة المتعددة هو فصل اصطناعي، غير واقعي من وجهة نظر علوم اللغة التطبيقية، فإن فصلنا بين تلك المستويات سيكون مؤقتاً، لأغراض التحليل والمناقشة فقط. لذلك فإننا سنتناول في هذه الدراسة نشاطاً أكاديمياً واحداً هو المقالة التعليمية من حيث: التنظيم العام للمقالة، وترابط الأفكار ووحدة الموضوع، وبلاغة المعاني والتراكيب وحسن اختيارها، وسلامة التراكيب ودقتها.

١٠٥ التنظيم العام للمقالة التعليمية:

لا شك أن المقالة الحديثة بأطرها المختلفة لم تكن معروفة لدى كتاب التراث العربي الإسلامي، وخاصة ما يتعلق منها بالتوزيع إلى فقر وباستعمال علامات الوقف والتعجب والاستفهام وغيرها، إلا أن أسس تلك المقالة أخذت تشق طريقها إلى الكتابة العربية منذ بداية القرن التاسع عشر، وأصبحت مألوفة لدى الكتاب العرب، غير أنه يبدو أن هناك بعض اللبس والغموض فيما يتعلق بوظيفة الفقر في المقالة، وفلسفة وجودها واستعمالها. فالأسلوبيون المعاصرون يقسمون المقالة التعليمية إلى مقدمة ومتن وخاتمة، إلا أن معظم المقالات، موضوع هذا البحث، قد خلت من هذا التقسيم وبدأ معظمها، على الرغم من أن كاتبيها ممن هم على أبواب التخرج في الجامعة، تنقصه عناصر الشكل المقبول للمقالة التعليمية، فبعض هذه المقالات كان عبارة عن فقرة واحدة تزيد في عدد سطورها على العشرين وبعضها كان يبدأ بفقرة من سطرين يتبعها بقية المقالة في فقرة واحدة متصلة. أضف إلى ذلك أن شكل المقالة من حيث الترتيب والهوامش ووضع العنوان والترقيم قلما كان موفقاً، وبدت المقالة رغم أنها كانت واجباً بيتياً، أشبه برسالة شخصية كتبت من غير اكتراث.

أما من حيث المضمون، فلنا الملاحظات التالية مدعمة بأمثلة من مقالات الطلبة:

أولاً: خلت معظم المقالات من المقدمة، وكان كثير من الطلبة "يهجم" على الموضوع دون تمهيد مناسب، ومن غير أن يبين ما اعتزم الكتابة عنه. ومن ناحية أخرى، فإن كثيراً من المقدمات كانت غير موفقة من حيث المضمون ومن حيث مناسبتها للمقالة بشكل عام. لنتأمل هذه الفقرة التي يجب أن تكون مقدمة لموضوع التعليم العالي في الأردن. (نقلت جميع الأمثلة حرفياً دون تصويب).

"إن الانسان بطبيعته مفطور على حب التعليم والمعرفة فالانسان منذ القدم وهو يبحث ويفكر بما حوله من الطبيعة فعن الشمس تارة وتارة أخرى عن القمر، لكن حب الانسان الشغوف لمعرفة ما يحيط به يشجعه على الحصول على التعليم الذي يوصله لادراك ما هو حوله تماما ومن هذا المنطلق يسعدني أن أبدأ حديثي عن التعليم العالي في الأردن".

ولنتأمل معا الفقرة التالية لطالبٍ في سنته الجامعية الثانية:

"لقد كان من الصعب على الناس أن يأخذوا بفكرة التعليم العالي لفترة زمنية طويلة ولكنها فكرة لا بأس بها اذا ما أخذت فترة اربع أو خمس سنوات كافية لتعليم الفرد بها القراءة والكتابة على سبيل المثال في الاردن كانوا يأخذون بنفس الاعتقاد لفترة وجيزة تقارب الستينات".

المتأمل في هذه المقدمات يدرك أنها مقدمات ركيكة، غير مناسبة، فيها تكرار غير ضروري، واختيار غير موفق للمفردات وفوق ذلك، لا يكاد القارئ يفهم منها شيئاً أو يستشف منها ما اعتزم الكاتب أن يقوله في مقالته، ناهيك عن الإهمال الشديد للترقيم، فالفقرة الثانية، على سبيل المثال تبدو كأنها جملة واحدة لخلوها من علامات الترقيم.

ثانياً: عرض الموضوع ومناقشته أو ما يسمى متن المقالة:

من المفروض أن يتضمن هذا الجزء من المقالة المطلوب كتابتها لأغراض هذه الدراسة، تعريفاً بالتعليم العالي في الأردن وأثر ذلك في الفرد والمجتمع، وعرضاً لمشاكل هذا القطاع من التعليم، وبعض الاقتراحات للنهوض بهذا النوع من التعليم وتوسيعه، إلا أن معظم كاتبي المقالات اكتفوا بوصف حال التعليم العالي في الأردن دون تجشم عناء المناقشة وإبداء الرأي فيما يتعلق بمشكلات هذا التعليم ومستقبله.

ثالثاً: خاتمة الموضوع: يتضمن هذا الجزء الأخير من المقالة، في الغالب. تلخيصاً أو استنتاجاً أو كليهما، فيحاول الكاتب إشعار القارئ أنه على وشك إنهاء مقالته. إلا أن معظم المقالات تحت الدراسة لم تتضمن شيئاً من هذا القبيل، فالقارئ لا يشعر بقرب نهاية المقالة إلا عندما يرى بياض الورق (المساحة غير المغطاة بالحبر).

٢٠٥. الترابط المنطقي والسياقي: يتمثل الأسلوب المؤثر في التعبير في مقدرة الكاتب على اختيار المفردات والتراكيب المناسبة للموضوع وعلى حسن الربط بين جمله وفقراته المختلفة، ولأهمية هذا المستوى من التعبير فإننا سنوليه بعضاً من التفصيل.

١٠٢٠٥. اختيار المفردات: حسن اختيار المفردات بحيث تكون المفردة أوفى مثيلاتها في التعبير عن المعنى بدقة مطلب أساس للتعبير الناجح. ويجب أن تكون المفردات المنتقاة سهلة، ذات وقع حسن على النفس، وأن يكون بناؤها قوياً، متماسكاً سلساً، وقد تناول كثير من كتب التراث هذا الموضوع بالتفصيل.[٤]

لكن لو تفحصنا مقالات الطلبة الجامعيين في ضوء هذه المعطيات، لاستغربنا وجود الكثير من المفردات غير المناسبة، بل إن كثيراً منها كلمات عادية متداولة أو عامية، لا تنم عن ثقافة عميقة أو مطالعة جادة. والأمثلة على ما ذهبنا إليه هنا كثيرة نقتطف منها ما يلي:

"بعض الطلاب الذين يحصلون على بعثة يدفعون رسوماً مخفضة وأحياناً يتعلمون بالمجان والذي يحصل على منحة يدفع كمية من النقود، في هذه الجامعات يتعلمون مواضيع مختلفة كالإنكليزي والعربي".

"يذهب الطلاب إلى الجامعة في سن الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة ويجب أن يكون لديهم علم بأحد اللغات الأجنبية وحصولهم على التوجيهي أولا".

٢٠٢٠٥. التركيب والنص: الترابط المعنوي والمنطقي بين المفردات والجمل وتماسك العبارات، وتلاؤم التراكيب مع ما تؤديه من معنى، من أهم مقومات التعبير الحسن، فحسن اختيار التراكيب، وحسن الربط بينها يؤدي إلى وضوح النص وسهولة فهمه من القارئ، ولا نعني هنا بالوضوح السطحية وسرد البدهيات المعروفة، وتجنب العمق والأصالة في الآراء وعرضها(٥)، بل الوضوح المقصود به تجنب الغموض والتعقيد سواء أكان ذلك على مستوى المفردات أم على مستوى التراكيب أم على كلا المستويين.

أما بالنظر إلى مقالات الطلبة موضوع هذه الدراسة فقد اتسم كثير منها بعدم الترابط والغموض وعدم التركيز، والمقتطفات التالية توضح ذلك.

"وانه لمن أبرز الدلائل على خطوات بلدنا في مجال التعليم هو النحو التعليمي فكان نقطة انطلاق لدخول العلم إلى كل بيت، إن للجامعة أثر كبير في إنشاء التعليم، فقد ساهم إنشاء التعليم العالي إلى درجة الحصول على الماجستير، فكان عدد لا بأس به من خريجي الدراسات العليا في مختلف التخصصات ناهيك عن عدد خريجي درجة البكالوريوس.

"من مقالة طالب في سنته الجامعية الرابعة"

"التعليم في الأردن تقدم إلى أن أصبح في مرحلة من التقدم والتعقيد منذ ذلك الوقت".

"من مقالة طالب في سنته الجامعية الثانية"

ما هي ماهية هذا التقدم؟ وما المقصود بالتعقيد هنا؟ وأي وقت" ذلك الوقت؟ "لم يفسر أياً من هذه العبارات في مقالته.

والأمثلة التي سقناها في ٠١٠٥ أعلاه تزخر بمثل هذا النوع من الغموض والإبهام، والركاكة فلنتأمل هذه العبارة:

"لقد كان من الصعب على الناس أن يأخذوا بفكرة التعليم العالي لفترة زمنية طويلة ولكنها فكرة لا بأس بها إذا ما أخذت فترة أربع إلى خمس سنوات كافية لتعليم الفرد بها القراءة والكتابة".

وبعد، فهل يفهم القارئ من هذه القطعة شيئاً؟ هل يوجد أي ترابط فكري أو منطقي أو لغوي في هذا النص الذي هو عبارة عن مقدمة الكاتب لمقالته؟ هل تعلم مثل هذا الطالب طوال السنوات الثمانية التي قضاها في المدارس الثانوية وفي الجامعة شيئاً يمتّ إلى التعبير السليم بصلة؟

والأمثلة على عدم وجود ترابط فكري أو منطقي أو لغوي بين أجزاء الفقرة الواحدة كثيرة، ناهيك عن تلك التي تبين مدى تفكك الموضوع أو النص كله وعدم ترابط جمله وفقره، علاوة على عدم ترابط أفكاره، وافتقارها إلى المناقشة المنطقية المتسلسلة.

٠٣٠٢٠٥ العرض والتأثير: من أهم ركائز الأسلوبية الحديثة التركيز على كيفية التواصل الناجح الفعال، فالكاتب الناجح هو الذي يعرف كيف يعرض موضوعه بلباقة وإقناع وتأثير في القارئ من غير أن يؤرقه أو يضيع وقته، ألم ير السلف الصالح من البلغاء العرب أن البلاغة "هي أن يبلغ

المتكلم ما يريد من نفس المخاطب بإصابة مواقع الإقناع من العقل والتأثير في القلب"[٦]. وفوق ذلك كله، فمن أسرار البلاغة الاحتراز من التكرار الممل والإيجاز المخل، وبكلمات أخرى، فالمهم هو إعطاء الموضوع حقه من العرض والمناقشة دون زيادة أو نقصان.

إلا أنه يبدو أن هذه الميزة الأسلوبية المهمة مغفلة، إلى حد كبير، في مقالات طلبتنا، فكثير من هذه المقالات بدت كأنها برقيات. فجملها قصيرة متلاحقة ولكنها غير مترابطة، وسبب ذلك يعود في كثير من الأحيان إلى عدم استعمال الروابط اللغوية والمنطقية، وفي غالبية الأحيان التي استعملت فيها تلك الروابط، سيطرت "الواو" أداة رابطة دون غيرها، على الرغم من أن اللغة العربية غنية بمثل تلك الأدوات، والأفعال وأشباه الجمل، التي تضفي على النص ترابطه وانسيابه، كما سنبين في ٠٢٠٣٠٥، من الدراسة.

ومن الأمثلة الكثيرة على الإيجاز غير المؤثر نكتفي بالمثال التالي:

"الأردن بلد نام، ومع ذلك فإننا نلاحظ بأن سياسة الدولة التربوية التركيز على التعليم العالي، في الأردن ثلاث جامعات إضافة لكليات المجتمع، كما أن أعداد الطلاب في ازدياد، إن تركيز الحكومة يتعدى التعليم الأكاديمي.... تركز برامج التربية في الأردن على الاهتمام بميول التلاميذ لتلبية حاجيات المجتمع المحلي والدول المجاورة".

هذا هو كل ما كتبه أحد الطلاب عن التعليم العالي في الأردن وأثره في الوطن والمواطن ومشكلاته وطرق حلها.

من ناحية أخرى، اتصفت بعض المقالات بالتكرار والإسهاب غير المفيدين لأنهما لا يضيفان أية معلومات جديدة أو أي جمال بلاغي أو أسلوبي على المقالة، ومثال ذلك: بدأ أحد الطلبة مقالته قائلاً:

"التعليم العالي هو متابعة في الجامعات والمعاهد الأردنية الأكاديمية والمهنية للمساعدة في تطوير المجتمع المحلي ورفده بالكوادر التعليمية المتخصصة في جميع المجالات".

ويستطرد قائلاً في الفقرة التي تلي هذه المقدمة:

"إن الجامعات الأردنية هي صورة واضحة للتعليم وللتركيب التعليمي المتنوع في المجالات الأكاديمية والعلمية، والمهنية التي تستطيع أن تساعد على نشأت أجيال جديدة قادرة على التحسن والتطور والنهوض.

٣٠٥. اللغة وسلامة التراكيب: لا شك أن الكتابة المؤثرة الواضحة تعتمد على توافر عدد من المهارات لدى الكاتب منها: معرفة قواعد اللغة صرفاً ونحواً، ومعرفة الأنماط البلاغية البيانية لتلك اللغة، والقدرة على تحليل المعلومات وتصنيفها، وفوق ذلك، الإحساس العام بما يناسب الموضوع من هذه العوامل مجتمعة، وقد بينا في مقدمة هذه الدراسة، أن معالجة الأخطاء الصرفية والنحوية البحتة ليست من أهدافنا هنا، على الرغم من إيماننا بأهميتها في الكتابة الصحيحة البعيدة عن اللحن والأخطاء الشائعة، إلا أننا سنتناول هذا المستوى- ونعني المستوى التركيبي- من منظور علم النحو الوظيفي.

لا شك أن لكل تعبير في اللغة وظيفة يؤديها وأن أي اختلاف في التعبير على أي مستوى أكان مستوى لفظياً أم متعلقاً بالتأخير والتقديم في أجزائه أو بالحذف أو بالزيادة، سيؤدي بطبيعة الحال، إلى تعديل أو تغيير في وظيفته.

ودرجة إحاطة الطالب بالعلاقة الوثيقة بين التعبير والوظيفة لها أكبر الأثر في أسلوبه الكتابي أو الخطابي. ولعلم النحو الوظيفي وعلم المعاني يعود الفضل فيما ينادي به العاملون في ميدان علوم اللغة التطبيقية وتعليم اللغات من تركيز على الوظيفة التواصلية للغة، فائتلاف الألفاظ ووضعها في الجملة بالشكل المناسب يفرضه على الكاتب المعنى المراد نقله والأثر المراد إحداثه في القارئ أو السامع، وهذا أمر ليس جديداً على التراث العربي، إلا أنه، وللأسف الشديد، لم يعمل به، فهذا عبدالقاهر الجرجاني يقول:

"واعلم أن ليس النظام إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو"(٧).

فعلم معاني النحو أو ما يسمى حديثاً "النحو الوظيفي" يأخذ بعين الاعتبار مدى تطابق التعبير مع المعنى المراد إيصاله، فقد نجد في العربية عدداً من التراكيب لا يعدو إعرابها النحوي المبتدأ أو الخبر، من مثل قولنا: زيد كريم، الكريم زيد، زيد هو الكريم، فإذا ما اكتفينا بهذا الإعراب بدت هذه العبارات جميعاً على قدم المساواة، في حين أنها تختلف في مدلولاتها المعنوية اختلافاً كبيراً(٨).

أمّا فيما يتعلق بمقالات الطلاب فسنركز على موطني ضعف لهما علاقة بالنحو هما الإحالية (الضمير العائد) وأدوات الربط المنطقي (الفكري).

٠١٠٣٠٥ الإحالية: تتمثل أخطاء الطلاب في هذا الباب في نوعين مهمين هما: خطأ استعمال الضمير العائد أو غموضه من ناحية، وعدم إدراك الوظيفة الأسلوبية للضمائر أو أسماء الإشارة أو الاسم الموصول من ناحية ثانية، والأمثلة على هذين النموذجين من الأخطاء تكاد لا تخلو منها مقالة واحدة من المقالات موضوع هذه الدراسة:

"على الرغم من ذلك فلا يزال طلاب الثانوية يواجهون المشكلات في طريق إكمال دراستهم وذلك بسبب محدودية أعداد الطلاب التي تستطيع الجامعات تدريسهم، تقبل الجامعات الأردنية الطلاب حسب علاماتهم في التوجيهي ويؤخذ بعين الاعتبار بعض الاعتبار في حالات خاصة تؤهلهم للحصول على درجة البكالوريوس".

هذا المثال يبين عدم وضوح استعمال الضمائر العائدة، كما يبين أن الطالب لجأ إلى عائد لاسم متقدم عليه كثيراً في الجملة، ويفصل بينه وبين الضمير جملة أخرى، وكان الأولى بالطالب أن يضعها بين فارزتين ليوضح أنها جملة معترضة، مما يسهل على القارئ فهم علاقة الضمير العائد بالاسم الذي يعود عليه.

وهذه أمثلة أخرى تبين التكرار غير الضروري للأسماء والضمائر والاستعمال الخاطئ للضمائر.

"فإن عدد المتعلمين ازداد وعدد الأخصائيين والتربويين تزايد عددهم عن الوظائف المتوفرة وما زالت هناك بلدان عربية محتاجة إلى معلمين وتربويين لمساعدتهم".

" وأعلى دراسة كان يحصل عليها الطالب هو الثانوية العامة".

"في الوقت الحالي نجد أن معاهد العلم والمدارس ذات التعليم العالي أصبحت في وضع جيد..".

٠٢٠٣٠٥ الروابط الأسلوبية والمنطقية: هناك أنماط مختلفة وأشكال عدة للروابط الأسلوبية والمنطقية في اللغة العربية تتراوح بين الأدوات البسيطة مثل: الواو، والفاء، وكي، ولكي، ولأن، وشبه الجملة مثل: بالإضافة إلى ذلك، ومع ذلك وبذلك، ورغم ذلك.... إلخ فاللغة العربية غنية بالصيغ

التي تبين العلاقات المنطقية بين الجمل والفقر في النص، ومن أهم تلك الصيغ على سبيل المثال لا الحصر:

- صيغ تبين علاقات السبب والمسبب/ السبب والنتيجة أو الأثر، مثل لأن، بسبب أن، والسبب في... ونتيجة ذلك، وبناء عليه... إلخ.
- صيغ تبين علاقة التضاد والمقابلة والاستدراك، مثل: لكن، على أية حال، على عكس ذلك، على عكس ما تقدم، ومع ذلك، إلا أن، ونقيض ذلك، وبدلاً من ذلك، وأفضل من هذا... إلخ.
- صيغ تبين علاقة المشابهة والاستطراد، مثل: الواو، وثم وبالإضافة إلى ذلك، أضف إلى ذلك، ومثل ذلك، وأكثر من ذلك... إلخ.
- صيغ تبين علاقة التتابع المنطقي والتسلسل الزمني مثل: أولاً وثانياً بعد ذلك، في أثناء ذلك، حينئذ... إلخ.
- صيغ تفيد الانتقال من فكرة إلى أخرى، مثل:
  والآن، وبعد أن...، أما فيما يتعلق بـ... إلخ.
- صيغ تفيد الاستنتاج والتلخيص، مثل: نستنتج من ذلك، وخلاصة ذلك القول، وهكذا، ... إلخ.

هذا بالإضافة إلى كثير من الأدوات والصيغ التي لا مجال لحصرها في هذه الدراسة، وكل ذلك يوضح غنى اللغة العربية من الناحيتين الأسلوبية والمنطقية، إلا أن تفحصنا لمقالات الطلبة أثبت لنا ما يلي:

١. عدم تمكن غالبية الطلبة من تلك الصيغ والروابط المنطقية والأسلوبية، وعدم إدراكهم لوظائفها المختلفة التي أوضحنا بعضاً منها، مما جعل كثيراً من

جملهم وأفكارهم تبدو غير مترابطة أو غير منطقية، إمّا لعدم وجود تلك الروابط أو لاستعمالها الخاطئ أو حشوها دون مبرر، مثال ذلك:

"إن التعليم العالي في الأردن ليس شاملاً لجميع التخصصات التي في الدول المتطورة والمتقدمة ولكن ومع ذلك إلا أن له أهمية.."

"إن أفضل ما توصلنا إليه هو بناء جامعتين لتخريج الطلاب وتعليمهم ولكن ليس في المستوى المطلوب حيث انه لا يوجد ما يسمى بالدراسات العليا".

٢. المبالغة والمغالاة في استعمال حروف العطف والاستدراك مثل واو العطف، والفاء ولكن، وندرة استعمال سواها من الروابط، ففي إحدى المجموعات، على سبيل المثال، أخذت عينة عشوائية مكونة من عشر مقالات وأحصيت فيها أدوات الربط وصيغه، فدلت الإحصائية على أن مجموع ما استعمل من روابط في تلك المقالات لم يزد على خمس وأربعين: استعملت "الواو" ثلاثين مرة، واستعملت "لكن" خمس مرات، واستعملت" بالإضافة إلى "مرتين، واستعملت "لأن" مرتين أمّا باقي الروابط فكان استعمالها نادراً ومنها ما لم يستعمل.

٠٤٠٥ مراعاة الموضوعية في الكتابة الأكاديمية: ليس جديداً أن نقول إن من أهم الأهداف التربوية السلوكية للمدرسة الثانية والمعاهد العليا التركيز على إبراز أهمية إبداء الرأي بموضوعية وتجرد من غير مبالغة أو ميل عاطفي، سواء أكان ذلك على مستوى الكتابة أم على مستوى الخطابة، إلّا أن معظم المقالات التي تفحصناها لهذه الدراسة ينقصها عنصر الموضوعية في المناقشة وفي التعامل مع الموضوع، والأمثلة على ذلك كثيرة نقتطف منها ما يلي:

"بالنسبة لوضع التعليم في الأردن جيد جداً فهناك كثير من الطلبة المتعلمين لكن هناك تكون الصدمة عندما لا يجدون وظيفة".

"وأما عن وضع التعليم في الأردن فهو ممتاز لأن نسبة كبيرة من المجتمع هي طلاب".

٦. الخلاصة: الكتابة المؤثرة الواضحة تتطلب توافر عدد من المهارات عند الكاتب، منها معرفة قواعد اللغة صرفاً ونحواً، ومعرفة الأنماط البلاغية والبيانية لتلك اللغة والقدرة على تحليل المعلومات وتصنيفها والإحساس العام بما يناسب الموضوع المراد الكتابة فيه.

ولا شك أن عدم إتقان هذه المهارات، وخاصة الأسلوبية منها، سيؤدي إلى كتابة نصوص ركيكة السبك، ضعيفة المفردات والتراكيب، غير مترابطة منطقياً وفكرياً، ويشوبها كثير من الغموض نتيجة للإيجاز المخل أو الإسهاب المفرط. وقد بينا في هذه الدراسة أنماطاً متعددة من الأخطاء الكتابية، والأسلوبية منها خاصة، التي يقع فيها الطلبة الجامعيون في التخصصات المختلفة، بما فيها تخصص اللغة العربية وآدابها، إلّا أن هذا الضعف الأكاديمي، والحق يقال، ليس قصراً على الطلبة العرب، بل أنه أصبح مألوفاً في كثير من جامعات العالم المتقدم ولا سيما البريطانية منها. ولكن هناك فرقاً واضحاً بين ما هو حادث هنا وما هو حادث هناك، فرغم أن ١٠% من الطلاب في جامعة جلاسجو Glasgow، على سبيل المثال، يعانون من مشكلات في الكتابة الأكاديمية، فقد ألفت لجنة لتقصي هؤلاء الطلبة ووضع الحلول لها[٩]، وقد أسست مراكز خاصة لتطوير كتابة الطلبة الأكاديمية، ومن أمثلة ذلك مركز جامعة بريستول وغيرها، ونحن إحساساً منا بتفاقم هذه المشكلة، وامتداد خطرها على مستوى المدارس والمعاهد العليا ندرك أن هذه المشكلة يجب أن ينظر إليها بجد، وأن توضع لها حلول جذرية شاملة.

٧. التوصيات: لا شك أن حلاً شاملاً وجذرياً لمشكلات الطلبة في الكتابة الأكاديمية لا يمكن أن يتحقق بين ليلة وضحاها، فالمشكلة عميقة الجذور متشعبة المصادر، والحل الشامل في مثل هذه الحالة يتطلب تصوراً شاملاً لبرنامج متكامل يشمل جميع المستويات التعليمية وتشارك فيه الجهات الرسمية وغير الرسمية، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، وقد يكون من المفيد أن نقسم توصياتنا إلى قسمين رئيسين:

الأول: مجموعة العوامل غير اللغوية التي يمكن أن تكون مصدراً إيجابياً من مصادر الكتابة المؤثرة الصحيحة.

الثاني: مجموعة العوامل اللغوية والسلوكية المباشرة التي يجب مراعاتها عند تعليمنا التعبير في مدارسنا ومعاهدنا العليا.

٠١٠٧ العوامل غير اللغوية: وتشمل مجموعة العوامل النفسية والاجتماعية المتعلقة بالفرد والجماعة اللغوية من ناحية والعوامل التربوية والثقافية من ناحية أخرى.

٠١٠١٠٧ العوامل النفسية والاجتماعية: وهي مجموعة الاتجاهات والميول التي يكونها الفرد والمجتمع تجاه تعلم اللغة الأم وتعليمها، وتدخل في ذلك مهارة الكتابة. وهذه العوامل تتضمن نظرة الفرد والمجتمع إلى الكتابة السليمة المؤثرة وأهميتها في تأدية المعنى المقصود، وفي عدّها وسيلة مهمة من وسائل الاتصال الحديثة، ويمكن أن ينضوي تحت هذه العوامل أيضاً، قناعة الفرد بأن هناك فرقاً واضحاً بين الكتابة الجيدة الواضحة، وغيرها من صنوف الكتابة غير الناجحة في مجالات الوظيفة أو المهنة، ومن هنا ينبثق عامل آخر مهم وهو النظرة الجادة التي ينبغي للمؤسسات العامة والخاصة، أن توليها للمستوى الذي يجب

أن يكون عليه موظفوها من حيث إتقانهم اللغة العربية بشكل عام، والكتابة الجيدة بشكل خاص.

٠٢٠١٠٧ العوامل التربوية والثقافية: ويقصد بها مجموعة الأهداف المباشرة وغير المباشرة التي تسعى المؤسسات التربوية والتعليمية في الدولة إلى تحقيقها من خلال تعليم اللغة الأم بمهاراتها المختلفة، وخاصة مهارة الكتابة، والممارسات الميدانية التي يتبعها المربون والمعلمون لتحقيق تلك الأهداف، وباختصار شديد، فإن هذه العوامل تشمل كل ما يتعلق بالمناهج والخطط الدراسية لمراحل التعليم المختلفة، وأثرها في تكوين الاتجاهات والميول الإيجابية المشار إليها آنفا (انظر ٠١٠١٠٧ أعلاه).

أما العوامل الثقافية فيمكن تقسيمها إلى شقين: أحدهما يتعلق بالفرد نفسه، والآخر يتعلق بوسائل الإعلام المختلفة، أما بالنظر للعامل الأول فيتعلق بمدى وعي الفرد أهمية القراءة والمطالعة في شتى العلوم والفنون، وأثر ذلك في إكسابه أنماطاً جيدة ومتنوعة من الكتابة باطلاعه على أساليب كتابية مختلفة لنخبة من الكتاب الذين لهم باع طويلة في هذا المضمار.

أما فيما يتعلق بوسائل الإعلام عامة، والصحافة خاصة، فإن دورها كبير جداً في توفير فرص الاطلاع على الأساليب الجيدة المؤثرة، وفي زياد اهتمام الفرد بتحسين أسلوبه الكتابي على مستوى المقالة الأدبية أو العلمية، ولا شك أن هذه الوسائل تستطيع خلق اتجاهات إيجابية نحو الكتابة بتركيزها على الأعمال الجيدة المنتقاة، وبمطالبتها بكتابة ذات مستوى عال ممن يريد أن ينشر مقالة أو بحثاً أو تقريراً على صفحاتها.

٠٣٠١٠٧ الكتابة الأكاديمية في المعاهد العليا والجامعات: تدريس الكتابة الأكاديمية باللغة العربية وعدّها موضوعاً مهماً في جميع المعاهد

والجامعات، أسوة بما هو معمول به في كثير من الدول المتقدمة، يساعد في تطور هذا النوع من الكتابة وفي التخلص من كثير من مواطن الضعف فيها لدى الطلبة. والغريب في الأمر هنا، أن الدول المتقدمة تولي اللغات القومية للناطقين بها، ناهيك عن اللغة لغير الناطقين بها، أهمية كبيرة، وتقرر الجامعات هنالك مساقات خاصة لتعليم الكتابة الأكاديمية في شتى الموضوعات، أما جامعاتنا ومعاهدنا فيبدو أنها تفترض أن طلابها لا يعانون من أية مشكلة في التعبير أو الإنشاء لذلك لم تولِ هذه المهارة المهمة اهتماماً يذكر، وقد يرجع السبب في ذلك إلى اعتماد اللغة الإنجليزية، مثلاً، لغة للتدريس في جامعاتنا. إلا أن هذا لا ينطبق على تدريس جميع المواضيع، ومعروف أن عدم تدريس الكتابة باللغة العربية لأغراض أكاديمية يتنافى مع حركة التعريب والترجمة التي تنادي بها هذه الجامعات والمعاهد، لذلك فإن من واجب تلك المؤسسات، وخاصة أقسام اللغة العربية فيها، أن تأخذ زمام المبادرة وتولي الكتابة الأكاديمية باللغة العربية أهمية خاصة.

وخلاصة القول هنا أن مثل هذا التركيز على الجودة في الكتابة من مؤسساتنا المختلفة وعلى كل المستويات، سوف يخلق لدى الفرد انطباعاً إيجابياً نحو الكتابة الجيدة، ويولد لديه دافعاً قوياً لتحسين مستوى إتقانه لغته وأسلوبه الكتابي.

٠٢٠٧ العوامل اللغوية الأسلوبية: إن توصياتنا في هذا المجال تنبثق من مجمل الأخطاء اللغوية والأسلوبية التي أبرزنا معظمها في فصول هذه الدراسة، وهذه التوصيات تتناول الممارسات الفعلية لتدريس التعبير على

مستوى المقالة التعليمية في المدارس الثانوية والمعاهد العليا ويمكن تلخيص تلك التوصيات فيما يلي:

١. التركيز من خلال درس الإنشاء (التعبير) على خلق اتجاهات إيجابية نحو أهمية الكتابة المؤثرة الصحيحة، لا في مجال الأدب والشعر فحسب، بل في مجالات العلوم والهندسة والطب وغيرها. وهذا لا يعني بالطبع إهمال ذوي المواهب الأدبية والميول الشعرية بل يعني تعريف الطالب بأن المواضيع الأخرى يجب أن يعبر عنها بأسلوب مميز جيد.

٢. التركيز على المظهر العام للمقالة التعليمية والتنظيم الخاص بها، من حيث إنها تتكون من مقدمة ومتن وخاتمة، ومن حيث إن تلك الأجزاء تتكون من فقر مترابطة متناسقة.

٣. التركيز على الترابط المنطقي والفكري للمقالة، علاوة على ترابطها الشكلي والتركيبي، وذلك بالاهتمام بأدوات الربط المختلفة.

٤. التركيز على دقة المعلومات الواردة في المقالة وكيفية تصنيفها وتبويبها وتناولها بالمناقشة، وإبراز دور المناقشة الموضوعية وأهميتها في المقالة التعليمية.

٥. إبراز دور النحو والإعراب في الكتابة الجيدة الناجحة. ونوصي هنا بإبراز الدور الوظيفي للنحو مما يجعل له أهمية خاصة لدى الدارسين، وهذا بدوره يؤدي إلى تغيير نظرتهم إلى النحو وعدّهم إياه مادة جافة، ليس لها دور مهم في الحياة العامة.

٦. محاولة التيسير، ما أمكن، في تدريس بعض القضايا النحوية والصرفية المعقدة، تيسيراً وظيفياً لأن في ذلك خدمة للهدف العام

وهو الكتابة التواصلية المؤثرة، ولا يعني ذلك أن نعمد إلى التيسير المزاجي فتعتسفه صنيع سلامة موسى وأتباعه.[١٠].

الهوامش

(١) من أهم الأعمال الحديثة في الأسلوبية على سبيل المثال لا الحصر
Halliday and Hasan, **Cohesion in English**, 1976
Crystal etal, **Investigating English Style, 1969**
De Beaugrande et, Introduction to Text
Linguistics, 1981.
(انظر قائمة المراجع)

(٢) لقد ظهرت حديثاً بعض الدراسات العربية المتعلقة بالأسلوبية الحديثة إلا أنها سارت في الاتجاه التقليدي نفسه وهو التركيز على اللغة الأدبية، انظر على سبيل المثال:
محمد الطرابلسي: "إطار التطبيق في الأسلوبية العربية"
و"في منهجية الدراسة الأسلوبية".
عبدالله صوله: "اللسانيات والأسلوبية".

(٣) انظر مقالة مفيق دوشق: "دور اللغات القومية في الدراسات العليا والبحث العلمي".
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني
العدد ٢٧

(٤) منها على سبيل المثال:
البيان والتبيين للجاحظ
وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز للجرجاني.
والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير.
والبلاغة الواضحة لعلي الجارم وجماعته.
والبلاغة العربية في ثوبها الجديد لبكري الشيخ أمين.

(٥) انظر كتاب علي جواد الطاهر وزميليه: التعبير والإنشاء ص٤٤.

(٦) المرجع نفسه ص٤٦. وانظر كتاب ماهر هلال: فخر الدين الرازي بلاغياً ص١٥.

(٧) انظر دلائل الإعجاز ص٤٨.

(٨) انظر كتاب بكري الشيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد: ص٥٢.

(٩) انظر Hobsbaum ص٧٣.

(١٠) انظر كتاب سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية.

المراجع

أولا: المراجع العربية:

ابن دوريل، عدنان: اللغة والأسلوب، ١٩٨٠، دمشق.

الجارم، علي، وجماعته: البلاغة الواضحة، ١٩٦٠، دار المعارف، القاهرة

الجرجاني، عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، ١٣٨١هـ، القاهرة.

الطاهر، علي جواد وزملاؤه: التعبير والأسلوب، ١٩٨٠، بغداد.

الطرابلسي، محمد الهادي: "إطار التطبيق في الأسلوبية العربية" في مجلة الموقف الأدبي ١٣٥/ ١٣٦، ١٩٨٢، دمشق.

في منهجية الدراسة الأسلوبية" في اللسانيات في اللغة العربية عدد ٤، ١٩٧٨، الجامعة التونسية.

دوشق، مفيق: "دور اللغات القومية في الدراسات العليا والبحث العلمي" في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ٢٧ لعام ١٩٨٥م.

صبولة، عبدالله: "اللسانيات والأسلوبية" في الموقف الأدبي ١٣٥/١٣٦، ١٩٨٢، دمشق.

شيخ أمين، بكري: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ١٩٧٩، دار العلم.

فارس، أحمد محمد، الكتابة والتعبير، ١٩٧٦، دار الفكر، بيروت.

فودة، علي وزميله: المرشد في كتابة الأبحاث، ١٩٧٥، دار الفكر.

موسى، أشرف: الكتابة العربية العلمية والأدبية، ١٩٧٨، مكتبة الخانجي القاهرة.

موسى، سلامة: البلاغة العصرية واللغة العربية، ١٩٦٤، القاهرة.

هلال، ماهر مهدي: فخر الدين الرازي بلاغياً، ١٩٧٧، وزارة الثقافة والفنون، بغداد.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Crystal, D. al: **Investigating English Style**, Longman, London

De Beaugrande, R. et al. **Introduction to Text Linguistics: London, Longman, 1981**.

Halliday, M.A.K. et al. **Cohersion in English**, London Longman 1976.

Hobsbaum, P. "Standards of Written Expression among Undergraduates", in

Williams, R. & Swales, J. **Common Ground: Shared Insterests in ESP and Communication Studies**, Pergamon Press 1984.

تمْييزُ الدقيق من الرقيق

للأستاذ صبحي البصام – لندن

يقع التحريف أحياناً على لفظي "الدقيق" و"الرقيق" بأيدي الناسخين والطابعين. وذلك للتشابه بين رسم الدال والراء فيهما، وللتقارب بين معنييهما في بعض المواطن. وقد يفوت ذلك على محققي الكتب والقراء.

١ – معنى الدقيق:

والدقيق هو ما كان فيه طول مع استدارة أو بعض الاستدارة، وبلا غلظ. ومما يوصف بالدقة القصبة والقلم والشعرة والخيط والحبل والوتر والذراع والساق والعنق والخصر والرمح والغصن ونواة التمر وبعض العظام كعظم الساق، وقد يكون الدقيق بمعنى الضئيل دون أن يتّضحُ منه طول أو استدارة، كنقطة الحبر وحبة الخردل والبرغوث. ويُقال هو دقيق العظم كناية على الكِبَر. وتوصف أشياء بالدقة على المجاز، وفيها معنى المدح، نحو دقيق المعنى، ودقيق الذهن، أو فيها معنى الذم كدقيق الخلق، ودقيق النفس. ولي شواهد لما تقدّم جميعاً. ونقيض الدقيق الغليظ. ويُقال للشيءُ دقيق بالإضافة إلى غيره. فساق الإنسان دقيقة إذا قيست بساق الفيل، ولكنها غليظة في جنب ساق الظبي.

٢ – معنى الرقيق:

والرقيق ما كان له جانبان متقابلان، ودون ثخن، ومما يوصف بالرقة الورقة والصحيفة والنسيج والجلد والقشر والرغيف والباب والنعل والسيف والسبيبة التي تشدَّ بها المرأة شعرها ونحوها، وبعض العظام كعظم الكتف، والأصل في السوائل أن توصف بالرقة كالحساء، وسيأتي فضل قول فيها (الفقرة ٣). والرقيق:

الضعيف، ويُقال هو رقيق العظم كناية عن علوّ السن، لاقترانه بالضعف، وتوصف أشياء بالرقة مجازاً وفيها معنى المدح، نحو رقيق اللسان ورقيق اللفظ، أو فيها معنى الذم، نحو رقيق الدين، ورقيق العقل، وعندي شواهد لما ذكرت جميعاً. وخلاف الرقيق الثخين. ويوصف الشيء بالرقة بالنسبة إلى غيره. فلوح القبر وهو رخام أو نحوه إن كان ثخنه إصبعاً فهو رقيق، لأن الأصل فيه أن يكون ثخيناً، ولكنّ نسيج الثوب إن كان ثخنه ثلث إصبع فهو ثخين، لأن الأصل فيه أن يكون رقيقاً.

٣- التداخل بين الدقيق والرقيق:

وقد يحصل تداخل بين الدقيق والرقيق، وذلك حين يوصف شيء بالدقة ويجوز وصفه مع ذلك بالرقة. ومن النصوص التي جمعت الصفتين ما جاء في تهذيب اللغة (٢١٢/٢): "النَمَص: دقة الشعر ورقته حتى تراه كالزغف". والمراد بهذه الرقة الضعف. وما جاء في "الحاوي في الطب" (٢١٦/٣) من صفة اللسان بالرقة والدقة. والمراد بهذه الرقة نقيض الثخن، ومن شأنها تسهيل الكلام، ولرقة اللسان معنى مجازي هو لين الكلام وخلوصه من الجفوة. والنظر في سياق الكلام معين على التثبت من معنى صفة اللسان. وقد أحسن التمييز بين دقة اللسان ورقته الأستاذ عبدالسلام محمد هارون في تحقيقه البيان والتبيين إذ أخذ بـ "أرقّ" بالراء في قول الجاحظ (٣٣٤/١): "وكان إسماعيل بن جعفر من أرقّ الناس لساناً وأحسنهم بياناً" المذكورة في نسختي "ل" و"هـ" دون أدق بالدال التي في سائر النسخ. على أنه يُقال "دق عظمي" و"رقّ عظمي" كناية عن الكبر. وقد نرى نصاً في كتاب يوصف فيه العظم بالدقة، وترى النص نفسه في كتاب آخر يوصف فيه العظم بالرقة. وذلك إما أن يكون أحد اللفظين محرّفاً عن الآخر، وإمّا أن يكونا من روايتين مختلفتين. ويجوز في الأعم الأغلب الأخذ بأي واحد منهما لأن معناهما

واحد. ومن شاء التثبت من ذلك فليبحث عن مراجع معتمدة. فمن ذلك قول الربيع بن ضبع الفزاري (أمالي السيد المرتضى ١/١٨٤):

بـــأنى قـــد كبـــرت ودق عظمـــي فـــلا تشغلكـــم عـــني النســـاء

فوردت فيه "دق" بالدال. والبيت في الأخبار الموفقيات (ص٣٢٠) وفيه "رق" بالراء. وسيجيء فضل قول في ذلك (الفقرة ٤). وكثيراً ما يستعمل في السوائل الغليظ نقيضاً بدلاً من الثخين. وذلك معروف في كتب الطب في وصفهم الخلط والبول والدم والنفث والمدّة، ففي الحاوي في الطب (١٩٨/٨): "ومن سرعة النفث وبطئه ورقته وغلظه". وفيه (٣٥/١٠): "من جودة المدّة ببياضها وتوسطها في الغلظ والرقة". وذلك مطرّد في هذا الكتاب بأجزائه الاثني عشر، إلّا موضعاً واحداً وهو قول المؤلف، وهو الرازي، (١١٨/١٢): "مجس المدّة الرقيقة يخالف مجسة المدّة الثخينة". فعدل إلى الثخين الذي هو أصل ليكون نقيضاً للرقيق، فمن رأي نحو ذلك فلا يظنّنّ أنه سهو من الناسخ أو الطابع وأن الصواب في الغليظ الثخينُ لتصحّ المقابلة بالرقيق، ولا أن الصواب في الرقيق الدقيقُ لتصحّ المقابلة بالغليظ. فهذا كلام قديم، ورثناه عن المؤلفين، وإن لم يكن من النمط العالي.

٤- إغفال "دقة العظم" في تهذيب اللغة ولسان العرب:

أغفل الأزهري في التهذيب في مادة (دق) (٢٧٠/٨) "رقة العظم". على أنه قال من بعدُ في مادة "رق" (ص٢٨٦): "ويُقال: رقّت عظام فلان إذا كبر". ثم فعل نحو ذلك ابن منظور في اللسان (مادة: رقّ). وهو في أكثر معجمه ينقل من تهذيب اللغة رأساً أو من معجم نقل منه. فبعد أن نقل منه: "ويقال: رقّت عظام فلان إذا كبر" أضاف إليه "وأرقّ فلان إذا رقت حاله وقلّ ماله. وفي حديث عثمان رضي الله عنه: كبرت سني ورق عظمي؛ أي ضعفت". مع أن دقة العظم كناية

عن الكبر أصل، ورقته بالمعنى نفسه فرع. فالإنسان إذا تقدّمت به السنّ أصابت عظمه قحولة لنقصان الدسم منه، فيفضي ذلك إلى الضعف. وأنا مختار قليلاً من النصوص مما يخص الدقة ليكون دليلاً على إغفال هذين المعجمين الواسعين ما كان جديراً بالذكر. قال قبيصة بن المخارق: "يا رسول الله، رقّ جلدي ودقّ عظمي" (الكامل للمبرد ٣٨٥/١). وفي رسالة للمغيرة بن شعبة: "أما بعدُ، فإني قد كبرت سني، ودقّ عظمي" (تاريخ الطبري ٣٣١/٥). وقال الفرزدق (الديوان ٢١٢/٢ – صادر):

ولم أنتبه حتى أحاطت خطيئتي ورائي ودقّت للدهور عظامي

وقال علي بن ربيع (المستطرف ٣١/٢):

كبرت ودقّ العظم مني وعقني بنيّ وزالت عن فراشي العقائد

وانظر "الأوائل" (ق/٣٤٣)، ومعجم الأدباء (٤٩/٧)، ومعاهد التنصيص (٢٥/٢). وذلك من هذين المعجمين قد يوهم محقق كتاب ما. فلو رأى في مخطوط "دق" العظم بالدال، ولم يجدها في هذين المعجمين، لجاز أن يظنّ أن "دقة" محرّفة عن "رقة"، وهو خطأ وإن كان قليل الخطر.

٥- تحريف في لسان العرب:

في "لسان العرب" من طبعة بولاق سنة ١٣٢٧هـ قول لابن برّي في مادّة "دقق" هذا نصه: "الفرق بين الدقيق والرقيق أنّ الدقيق خلاف الغليظ، والرقيق خلاف الثخين. ولهذا يقال حساء رقيق وحساء ثخين، ولا يقال فيه حساء دقيق. ويُقال سيف دقيق المضرب، ورمح دقيق، كما تقول رمح غليظ وغصن غليظ، وكذلك حبل دقيق وحبل غليظ". قلت: عبارة ابن بري "سيف دقيق المضرب" بالدال في النص فيها نظر. وإنما يوصف مضرب السيف بالرقة، لأن السيف يُقطع من صفيحة معدنية ثم يُرقق مضربه ليحيك في الضريبة، والعبارة مثبتة كذلك في

طبعات لسان العرب الأخَر، وكلها أعقبت طبعة بولاق – وأنا أجلّ ابنَ برّي عن أن يعثر مثل هذه العثرة. وظني أنها تحريف من الناسخ أو الطابع، وفي سياق القول بعض الدلالة على التحريف. ويشهد برقة مضرب السيف قول النابغة الذبياني (موسوعة الشعر العربي ٢/٢٦١):

فهم يتساقون المنيّة بينهم بأيديهم بيض رقاق المضاربِ

وقول أبي الهيذام المرّي (أمالي القالي ١/٢٦٧):

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا فإنّ بها ما يُدرك الماجد الوترا

وقول ودّاك المازني (العقد الفريد ٥/٢٠١):

مقاديم وصّالون في الروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يماني

وقول عمرو بن برّاقة (أمالي السيد المرتضى ٤/١٧٦):

فلا صلح حتى تقدع الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الرقاق الجماجمُ

وقول حسان بن ثابت (الديوان ص٣٦٠):

أو ليس اللسان مني أمضى من ظبات المهندات الرقاق

وقول عامر بن الطفيل (الديوان ص٤٣):

وأبيضَ يخطف القَصَرات عضبٍ رقيق الحدّ زينه غمودُ

وانظر قولاً لجرير في ديوانه (٢/١٢٢ بيروت)، وآخر للراعي النميري في ديوانه (ص١٤٠– تح. فايبرت). ومما يستأنس به من أقوال المولدين قول كشاجم: "من طَيات المهندات الرقاقِ" (الديوان ص ٣٦٠). وقول المتنبي: "فهو كالماء في الشفار الرقاقِ" (الديوان ٢/٦٤١). وقول ابن فارس: "وسيوف رقاق النواحي" (متخيّر الألفاظ ص ٢٢٢). وقول الراغب الأصفهاني: "ومنه النواحل للسيوف أي

الرقاق الظبات" (معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٦)، فإن قيل: لعلّ ابن برّي أراد النظر إلى السيف من جهة حدّه على نحو يجعله يبدو كخيط دقيق. قلتُ: نظر كهذا يندر وقوعه، ولا موضع له في نص كلامه.

٦- تحريف في أدب الكتاب:

وفي "أدب الكتّاب" للصولي المطبوع بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤١هـ بتحقيق الشيخ العلامة محمد بهجة الأثري ومراجعة شيخه العلّامة محمود شكري الألوسي، قال بعض الكتاب في صفة الخطّ الجيّد: "إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه ... وتناسب رقيقة وجليلة". قلت: "رقيقة" بالرّاء محرّفة عن "دقيقة" بالدال. والخط يوصف بالدقة لا الرقة. يشهد لذلك ما جاء في الكتاب نفسه لبعضهم (ص٦٠):

يقول وقد كتبتُ دقيق خط إليه لِمْ تجنبت الجليلا؟

وفي "الحاوي في الطب" (٢/٢٣٩) أنّ مما يضرّ بالعين "... الانكباب على قراءة الخط الدقيق". وإن جاز أن يفوت ذلك على العلامة الأثري، وقد حقق الكتاب في أيام الحداثة، فلا يفوت على شيخه العلامة الألوسي. وذلك يُوقع في ظني أن الغلط مطبعي، وإن كان غير مذكور في موضع تصحيح الغلط في آخر الكتاب.

٧- تحريف في ديوان النابغة الشيباني:

وفي ديوان النابغة الشيباني المطبوع بدار الكتب المصرية قال النابغة (ص٣٧) في صفة الأسد:

رقيق الخصر رحب الجوف شيْن كأنّ أخا تواليه عمودُ

ورقيق في البيت تحريف دقيق، لأنّ الخصر مما يوصف بالدقة، وهو جزء من جسم فيه طول واستدارة. قال مرقّش الأكبر (ديوان المفضليات ص٤٧٤):

دقاق الخصور لم تعفّر قرونها لشجو ولم يحضرن حُمّى المَزَالفِ

وقال ابن مقبل (كتاب الصناعتين ص١٢١):

وقد قُدّ منها الخصر حتى وشاحها يجول وقد عمّ الخلاخيل والقُلبا

وقال عمر بن أبي ربيعة (ثمار القلوب ص٤٠٢):

بخصور تحكي خصور الزنابير... ر دقاق عممن للانتصاف

وربما كان "عممن للانتصاف" – وليس بين يدي ديوانه – تحريف "هممن بالانقصاف". وقال ابن فارس في مجمل اللغة (مادة: خصر): "المخصَّر: الدقيق الخصر".

٨- تحريف في كتاب الحيوان:

أ- وجاء في أصول كتاب الحيوان (٣٥٣/١) قول الجاحظ: "فكفاك بالخمول دقة ولؤماً وقلة ونذالة"، ولكن الأستاذ عبدالسلام محمد هارون حذف "دقة" بالدال وأثبت مكانها "رقة" بالراء. وقال: "في الأصل: دقة" هكذا. وهو سهو منه، فهذا موضع الدقة بالدال، واستعمال اللؤم والدقة معاً كثير في العربية. كقول النجاشي (البيان والتبيين ٣٧/٤):

إذا الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بني العجلان رهطَ بن مقبلِ

وقول حصين بن الحمام (ديوان المفضليات ص١١٨):

جزى اللهُ عنا عبد عمرو ملامةً وعُدوان سهم ما أدقّ وألأما

وقول حسان بن ثابت (الديوان ص٣٢٦):

بنو عمّ دار الذل لؤماً ودقة وأحلام تيسٍ يمّم الدار أسقعِ

وقول الفرزدق (الديوان ٤٢٠/١):

أتعدل أحساباً لئاماً أدقة بأحسابنا؟ إني إلى الله راجعُ

وقول بعضهم (الاقتضابِ ق ٥٢/١):

خالي أبو أنس وخال سراتهم أوسٌ فأيهما أدقّ وألأم؟

وشاء أبو نواس أن يقرن الدقة بالبخل بدلاً من اللؤم فقال (البيان والتبيين ٣٥٥/٣):

أرى جعفراً يزداد بخلاً ودقة إذا زاده الرحمن في الرزقِ

ب- وأيضاً في كتاب الحيوان (٤٧/٢) في نعت كلب الصيد: "ويكون رزين المحزم رقيق الوسط". ولا أجد معنى واضحاً لرقيق الوسط، وأجده محرّفاً عن "دقيق" الوسط. فوسط الكلب جزء مما فيه طول واستدارة، واتساع الصدر ينخرط إلى وسط دقيق، أي بطن خميص، ويلي البطن الخصر. ونحو هذا الانخراط معروف في كلاب الصيد. وتقدّم في دقة الخصر ما يزيد الأمر وضوحاً (الفقرة ٧).

وتنبيهاي هذان يخصّان الطبعة الأولى من كتاب الحيوان. ولم أعثر على الطبعة الثانية في خزانة الكتب SOAS التابعة لجامعة لندن، ولا في خزانة الكتب البريطانية، فإن كان المحقق تلافى ذلك فيه، كان تنبيهي نافعاً لمن كان لديه الطبعة الأولى دون غيرها.

٩- تحريف في البيان والتبيين:

أ- وفي البيان والتبيين (٨٩/١) قول للجاحظ في مدح سهل بن هارون: لا يُقضى له بالحكمة قبل الخبرة، وبرقة الذهن قبل المخاطبة، وبدقة المذهب قبل الامتحان". قلت: "رقة" في رقة محرّفة عن "دقة"، جاء في تاريخ الطبري (٢٨٩/٩) في جعفر البرمكي "وكان من أدق الخلق ذهناً، وأصحهم فكراً". وفي الإمتاع والمؤانسة (١٤١/٣): "وإن

بلغ الغاية في دقة الذهن، وحسن البيان، وبلاغة اللفظ". ثم إنّ الفكر وهو أيضاً من باب الذهن يوصف بالدقة للمدح، كقول الجواليقي في شرح أدب الكتاب (ص٢٨): "يريد الدقيق الفكر من الناس الذي يغوص على المعاني". أما رقة الذهن، بالراء، فإن وُجد لها نص دلّت على الذم، لذلك استعملت رقة العقل للذم، والعقل من باب الذهن والفكر المذكورين، كقول الليث، كما في التهذيب (١٨٥/٧): "السخف: رقة العقل". فإن قلتَ: كيف ترد "بدقة" في نصّ الجاحظ المذكور في عبارتين متصلتين. في قوله "برقة الذهن" و"بدقة المذهب"؟. قلت: ربما فعل ذلك الجاحظ حين لا يقصد إلى تنميق كلامه. ألا ترى إلى قوله في كتاب الحيوان وقد أعاد استعمال "عند" (١٧٢/٣): "أثير عند مولاه، عظيم المنزلة عنده". ولو شاء تنميق كلامه لجاز أن يقول: عظيم المنزلة لديه. ونظير ذلك إعادته "به" في قوله في الكتاب نفسه (٢٥٥/٣): "وهو مسلم لذلك، وقانع به، وقليل الاكتراث به". ولو كان أعاد النظر فيه لجاز أن يقول: الاكتراث له. وأيضاً إعادته "العجيبة" في الكتاب عينه، في قوله في الديك (٢٤١/٣): "فجمع المعرفة العجيبة، والرعاية العجيبة"، ولم يقل: الرعاية الغريبة.

ب- وللمحقق سهو في البيان والتبيين. فقول سلمة بن عياش (٣٩/١):

كأنّ بني رألان إذ جاء جمعهم فراريج يلقى بينهنّ سويق

جاء في تفسيره: "فقال ذلك لدقة أصواتهم وعجلة كلامهم". وقال محقق الكتاب إنه أخذ بـ"دقة" المذكورة في نسختي "ل" و"هـ" دون "رقة" التي في سائر النسخ لأنها تحريف. قلت: "رقة" صحيحة ولا تحريف فيها. على أن "دقة" التي أخذ بها أيضاً صحيحة. وظنّي أن "رقة" التي أهملها وقال بتحريفها أصح منها. وذلك لدلالتها على الضعف الذي هو من صفة تلك الفراريج التي تُطعم السويق، لقرب عهدها بالتفقيس. فنحن نقول لصوتِ العصفور "دقيق" حين نقيسه بصوت غليظ كصوت الغراب، ولكنّ العصفور إذا أذِي بشيء، فوهنت قوته، وضعف صوته، كان وصف صوته بالرقة أولى من وصفه بالدقة وكذلك يقال في صوت فرخه حين يكون قريب

عهد بالتفقيس، فليُقس هذا بأصوات تلك الفراريج، واستعمال الدقة والرقة ههنا من التداخل الذي يكون بين هذين اللفظين، ومضى القول فيه (الفقرة ٣).

١٠- سهو للعلامة الميمني في "خزانة الأدب":

في "خزانة الأدب" (٢١٤/١)، من طبع المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٨هـ وبتحقيق العالمين الجليلين أحمد تيمور باشا وعبدالعزيز الميمني ورد للنجاشي:

إذا الله جازى أهل لؤم بذمةٍ فجازى بني العجلان رهط بن مقبلِ

وقال الأستاذ الميمني في "بذمة": وحفظي على غير ما وضع: ورقة". قلتُ: قوله "ورقة" تحريف "ودقة". ومن معاني الدقة الحقارة أو الخساسة، وهذا المعنى يشاكل لفظ لؤم الذي مع دقة. وتقدم ذكر البيت على وجه الصحة منقولاً من البيان والتبيين (٣٧/٤) ومعه شواهد على اجتماع دقة ولؤم (الفقرة ٨).

١١- سهو لمؤلف "جمهرة رسائل العرب":

في "جمهرة رسائل العرب" (١٦٠/٤) المطبوع بمصر سنة ١٩٣٧، وهو تأليف الأستاذ أحمد زكي صفوة، جاء في كتاب بعث به أبو علي البصير إلى أبي العيناء، وهو منقول من اختيار المنظوم والمنثور (٤١٧/١٣): "أما بعدُ، فإنك الرجل الدقيق حسبه، الرديء مذهبه، الدنيء مكسبه، الخسيس مطلبه". وقال المؤلفان في "الدقيق" حسبه: "وربما كان الرقيق". وذلك سهو منه، فالمراد بـ "الرقيق" في النص "الحقير" وهو يوافق العيوب التي أعقبته، وهي: الرديء، والدنيء، والخسيس. وتقدَّمَ قول للفرزدق يصف فيه بحسب بالرقة، وهو:

أتعدل أحساباً لئاماً أدقة بأحسابنا؟ إني إلى الله راجعُ

١٢- تحريف في "العقد الفريد":

أ- وفي العقد الفريد (٤٨/٤)، وهو بتحقيق الأستاذ أحمد أمين والأستاذ أحمد الزين، والأستاذ إبراهيم الأبياري، ورد قول الشاعر:

أبـــقت رياستـــه لأسرتـــه لـــؤم الفـــروع ورقـــة الأصـــلِ

و "رقة" بالراء، ومعناها الضعف ليست بشيء. وأجدها محرّفة عن "دقة" بالدال، أي خساسة، يؤنس بذلك "لؤم" الفروع قبلها. واجتماع اللؤم والدقة كثير في العربية، وتقدمت أمثلة له (الفقرة ٨-أ).

ب- وأيضاً في العقد (١٩٥/٤) أن محمد بن الليث كتب إلى جعفر بن يحيى: "أما بعدُ، فليكن قلمك بحريّاً، لا سميناً ولا رقيقاً، ما بين الرقة والغلظ". و"رقيقاً" محرف عن "دقيقاً". والرقة محرّفة عن الدقة، فالقلم مما له طول واستداره، فهو يوصف بالدقة الفقرة ١)، وفي النص استعمل السمين فالغِلَظ وهما نقيض الدقيق والدقة، وفي أدب الكتاب (ص٥٤) قال إبراهيم بن العباس الصولي لغلام كان يكتب بين يديه: "ليكن قلمك صلباً بين الدقة والغلظ".

ج- وأيضاً في العقد (٣١٨/٥) للنجاشي:

إذا اللـه عـادى أهـل لـؤم ورقـة فعـادى بنـي العجـلان رهـط بـن مقبـلِ

ومضى هذا البيت مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه مع تعليق العلامة الميمني عليه (الفقرة ١٠)، وبيّنت أن الصواب "دقة" بالدال لا رقة بالراء، وقلت إن البيت ورد في البيان والتبيين (٣٧/٤) على وجه الصحة.

١٣- تحريف في "جمع الجواهر في الملح والنوادر":

وفي "جمع الجواهر في الملح والنوادر" للحصري القيرواني، وهو بتحقيق الأستاذ علي البجاوي (ومطبوع بمصر سنة ١٩٥٣)، قال العتبي (ص٦٦): "وكما يُمَلّ الجدّ فيدخل في الهزل، كذلك يُمَلّ الرقيق فيحتاج إلى الجزل"، والرقيق محرّفة

عن الدقيق، والدقيق يقابل الجزل، والجزل معناه الجليل، وهي مقابلة نادرة أحوجت إليها السجعة.

١٤- تحريف في "كليلة ودمنة":

وفي كتاب كليلة ودمنة، وهو مصوّر ببيروت سنة ١٩٧٣ عن الطبعة التي حققها الأستاذ عبدالوهاب عزام، جاء في باب "ابلاد وايراخت وشادرم ملك الهند" (ص ٢٢٤) قول ابلاد للملك "أيها الملك إني مع رقة شأني، وضعف خطري، قد أغلظت في القول واجترأت". وأرى أن الوجه في "رقة" "دقة"، أي ضآلة شأني. وضد الدقّة أو الضآلة الجلالة.

ومنه قول حفظته سنة ١٩٣٠ وأظنّ قائله عصرياً:

اللـــــه جـــــل شأنـــــه لـــــه الصفـــــات العاليـــــة

فهذا شاهدي لجلالة الشأن، ومن بحث فغير بعيد أن يظفر بشاهد على دقة الشأن.

١٥- تحريف في "رحلة ابن بطوطة":

أ- وفي مجاني الأدب (١٦٩/١) المطبوع سنة ١٩١٣ قول منقول من رحلة ابن بطوطة جاء فيه "صنعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف، بعضها رقاق، وبعضها غلاظ، فتباع الغلاظ ... وتباع الرقاق..."، وليست الرحلة بين يدي. وعلى كل حال، الصواب "دقاق" في الموضعين، فالقضبان ذات طول واستدارة، والغلاظ يُقابلها الرقاق. ثم إنه ليس في سياق القول ما يدل أن الرقاق بمعنى الضعاف.

ب- وفي مجاني الأدب (ص١٧٢ و١٧٣)، عن رحلة ابن بطوطة، جاء في العود الهندي "شجره يشبه شجر البلوط إلا أن قشرة دقيق، وأوراقه كأوراق البلوط". والصواب أن يُقال في القشر "رقيق" ولا وجه لوصفه بالدقة (انظر الفقرة ٢).

١٦- تحريف في "طباع الحيوان" لأرسطو:

أ- وفي كتاب طباع الحيوان لأرسطو، وهو مصوّر ببيروت عن طبعة الكويت لسنة ١٩٧٧ بتحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوي، جاء في حجاب الصدر (ص٤٨): "وهو لاحق بالأضلاع والجنبين والفقار. وفي أوسطه أجزاء دقيقة خلقتها من صفاق". وأرى أن "دقيقة" تحريف "رقيقة"، لأن سياق الكلام يقتضي أن توصف أجزاء الصفاق، وهو كالنسيج، بالرقة. ويجوز أن توصف أجزاء من النسيج أو ما يشبهه، كالصفاق المذكور في النص، بالدقة، كأن تكون نكتاً دقيقة أو نحو ذلك، وليس ذلك بالمراد في النص. ووُصف الصفاق على الصواب، أعني بالرقة، في موضع آخر من الكتاب (ص١٠١). جاء فيه: "وفيما يلي ناحية الحجاب منها فخلقته عن صفاق رقيق جداً".

ب- وفي الكتاب عينه (ص١٤٠) جاء في الأسد "وفي بعض عظامه الرقيقة مخ يسير". والرقيقة تحريف الدقيقة. لأن العظام لا مخ فيها، فهي كالصحيفة، بلا جوف، كعظم الكتف وكالأضلاع. وإنما يكون ذلك في بعض العظام التي توصف بالدقة التي هي بخلاف الغلظ، وهي تشبه الأنابيب.

١٧- تحريف في "محاضرات الأدباء":

وفي كتاب "شعر دعبل بن علي الخزاعي" المطبوع بدمشق سنة ١٩٨٣ (ط٢ ص١٩٣) نقل المؤلف الدكتور عبدالكريم الأشتر في الحاشية عنواناً من كتاب "محاضرات الأدباء" (١٨٣/٢)، وهو "عظم المخلخل ورقة الخصر". وليس بين

يديّ محاضرات الأدباء. والصواب على كل حال "ودقة الخصر" بالدال من "دقة". وتقدم قول مبسوط في دقة الخصر (الفقرة ٧).

١٨- تحريف في الحاوي في الطب":

وفي كتاب "الحاوي في الطب (٧٨/٩) المطبوع بحيدر آباد سنة ١٩٦٠: "الرقيقة الخصر، الضيقة الفرج، التي لا تلد"، والصواب "الدقيقة" الخصر.

١٩- تحريف في "الإمتاع والانتفاع":

وفي كتاب "الإمتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع" لمحمد بن الدرّاج السبتي جاء في أوتار العود (ص٣٥): "والعرب تسمى الرقيق من أوتاره الزير، والثاني المثنى ...". وأرى أن الوجه "الدقيق"، لأن الوتر مما فيه طول واستداره، ويجوز أن يُقال: الزير وتر دقيق وصوته رقيق، لأن أرقّ أوتار العود صوتاً الزير، ويغلظ الصوت شيئاً في المثنى، فشيئاً في المَثْلَث، فشيئاً في البم والبَمُّ رابع الأوتار وآخرها وأغلظها صوتاً. روى القالي في أماليه (٢٣٠/١): "سمع بعض العرب صوت العود فقيل له: ما تسمع؟ قال: حسناً، ولكن اقطع هذا الأبحّ فإني أشنؤه – يريدُ البم". وذلك لغلظ صوته، وفي القاموس في الزير "الدقيق من الأوتار وأحدّها"، ومحقق كتاب الإمتاع هو الدكتور محمد بن شقرون الأستاذ بجامعة محمد الخامس وليس في الكتاب ذكر لموضع الطبع ولا سنته. وفيه ما يدلّ على أنه طُبع بُعَيد سنة ١٩٨٠. وفي الكتاب غلط مطبعي كثير.

٢٠- استعمال الدقيق والرقيق مجازاً:

كنت قد كتبت أيام الطلب مقالة استعملت فيها "دقة المعنى" في تقريظي لِشعر، واتفق أن اطّلع على المقالة قبل نشرها عالم لغوي جليل، فقال كالمنكر عليّ: كيف تستعمل دقة المعنى للتقريظ وهي لضده؟ فغيّرت اللفظة آخذاً بقوله، ثم

وضح لي أنه كان واهماً، وأنه ربما كان قد قاس دقة المعنى على بعض الاستعمالات المجازيّة المراد بها الذم كدقة الخلق مع أن القياس في هذا الموضع قد يضل عن الصواب، وقد توفي ذلك العالم الجليل رحمه الله، ولم ينشر رأيه فيما نشر من تصحيح في اللغة، وأظنه بدا له فيه، فإذا علمنا أن "رقيق اللسان" للمدح لم يجز لنا أن نقيس عليه "رقيق الدين" فنعدّه للمدح، لأنه للذم وإذا علمنا أن "دقيق الخلق" للذم لم يصحّ أن نقيس عليه "دقيق الذهن" فنعده للمدح، على أنّ استقراء نصوص الدقيق والرقيق، مع الرغبة في التفهّم، والميل إلى الاستدلال، من شأنه أن يذلّل ما تعنّد، ويحلّل ما تعقّد، ولِوَهم ذلك العالم الجليل في "دقة المعنى" ووهم غيره ممن ذكرت في مقالتي هذه في الاستعمال المجازي للدقيق والرقيق، رأيت أن أنشر هاهنا جريدة بما اجتمع عندي من الاستعمالات المجازية لهاتين اللفظتين، ذاكراً ما كان منها للمدح أو الذم أو غيرهما، ومقيّداً إياها بشواهد صحيحة:

أ- **الدقة:**

١- دقة الأصل (للذم): من قول الشاعر مصحّحاً (الفقرة ١٢-أ):

أبقت رياسته لأسرته لؤم الفروع ودقة الأصلِ

٢- دقة الإنسان (للذم): قال ثعلبة بن صُعَير (ديوان المفضليات ص٢٥٤):

مكارم يجعلن الفتى في أرومة يفاع وبعض الوالدين دقيقُ

٣- دقة الحسب (للذم): تقدم لها بيت للفرزدق، وقول لأبي علي البصير (الفقرة ١١).

٤- دقة الخلق (للذم): من خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (الأخبار الطوال ص١٦١): "أخلاقكم دقاق، وعهدكم شقاق، وماؤكم زُعاق".

٥- دقة الذهن (للمدح): تقدم له شاهد من تاريخ الطبري (٢٨٩/٩) وآخر من الإمتاع والمؤانسة (١٤١/٣) (الفقرة ٩- ب).

٦- دقة الشأن (للذم): مرّ شاهدها مصححاً في كليلة ودمنة (الفقرة ١٤).

٧- دقة الفكر (للمدح): تقدم لها شاهد من شرح أدب الكاتب ص٢٨ (الفقرة ٩-أ).

٨- دقة الفهم (للمدح): قال الجاحظ في رسالة القيان: "عذب اللفظ، دقيق الفهم، لطيف الحس، خفيف الروح" (رسائل الجاحظ ص٧١).

٩- دقة المحتد (للذم): قال الفرزدق (البيان والتبيين ٥٠/١):

سأرمي ولو جعلت في اللئام ورُدّت إلى دقة المحتد

١٠- دقة المعنى (للمدح): قال الزمخشري (نزهة الألباء ص٣٩٠): "كيف سمّيت هذا الكتاب مع نفاسته وغموض معانيه ودقتها بهذا الاسم". وانظر بيتاً للمتنبي في الوساطة (ص٣٠٤)، وانظر طوق الحمامة (ص٦).

١١- دقة النسب (للذم): قال ابن الأعرابي (التهذيب ٤٧٧/٦): "الهُنا" النسب الدقيق الخسيس".

١٢- دقة النظر (للمدح): في "شرح أدب الكاتب" (ص٢٨): "ويعني به المتفلسف والمنجمّ لدقة نظرهما، ولطف فهمهما".

١٣- دقة النفس (للذم): في الألفاظ الكتابية (ص٥٦): "يُقال: فلان بخيل ... ودقيق النفس، ودنيء النفس".

١٤- دقة النقد (للمدح): في كتاب الصناعتين (ص١٤٠): "وإنكار جرير قوله: الثني من كسائها، نقد دقيق". وسياق الكلام كله يدل على المدح.

١٥- دقة الهمّة (للذم): في "الصداقة والصديق" (ص٧): "لأنهم من دقة الهمم، وخساسة النفوس، على حال لا يجوز أن يكونوا في حومة المذكورين".

ب- الرقة:

١- رقة البصر (ضعفه): في ديوان عنترة (ص١٦٢): "غزا عنترة طيئاً وقد رقّ بصره..."، وسياق الكلام كله يدل على المدح.

٢- رقة الحال (سوؤها): في اللسان (مادة: رق): "وأرقّ فلان، رقّت حاله".

٣- رقة الخلق (للمدح): في معاهد التنصيص (٥/١): "وخلائق رقّت وراقت، وطرائف علت وفاقت".

٤- رقة الدين (للذم): في "تبيين كذب المفتري ص٣٩٦": "... فقول حمله عليه رقة الدين وقلة الحياء".

٥- رقة الشوق (للحب). ومعناهما متقاربان. وشذّ عني نصّاهما.

٦- رقة الصبابة واستعمالها معروف.

٧- رقة العزيمة (للذم): قال صفي الدين الحلي (الديوان: ص):

لما سعينا فما رقّت عزائمنا عما نروم ولا خابت مساعينا

٨- رقة العقل (للذم): مضى شاهده منقولاً من التهذيب (١٨٥/٧) (الفقرة ٩-أ).

٩- رقة الكلام (للمدح) أي لينه، في كليلة ودمنة "فلما فرغ الجرذ من الكلام أجابته السلحفاة بكلام لطيف رقيق".

١٠- رقة اللسان (للمدح): مَضى شاهدها منقولاً من البيان والتبيين (١/٣٣٤) (الفقرة ٣).

١١- رقة اللفظ (للمدح): في رسائل أبي حيان التوحيدي (ص١١٥): "وكلامه السحر الحلال ... بمعان دقيقة، وألفاظ رقيقة".

والمجاز من الدقيق والرقيق أكثر من هذا بكثير. وإنما ذكرت منه ما نجم لي اتفاقاً.

٢١- ختام:

إن التحريف بين الدقيق والرقيق طريق نبت عليه عوسج. وإن كنتُ قلعتُ شيئاً منه، فعسى أن ينهض غيري ليقلع منه المزيد. ففي ذلك فوائد قوامها التبصير بمواضع الكلم، والإعانة على تحقيق الكتب ... وهي فوائد يصيب منها من شاء، دون أن يجشَّم مجشَّماً، ولا أن يغرم مغرماً، وقد بلغ ما رجعت إليه من الكتب ٦٩ كتاباً - مع عدّ جزء الكتاب كتاباً - وأكثرها مستعار من مكتبة SOAS. والحمد لله على عونه وتوفيقه.

دُرّة القاري
منظومة في ظاءات القرآن الكريم

نظم: الحافظ عبدالرزاق الرسعني
تحقيق: الدكتور عبدالهادي الفضلى
(جامعة الملك عبدالعزيز – جدة)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد: فهذا لون من التأليف يعرض لبيان ما يُقرأ ويُكتب بـ(الظاء) من الكلم القرآني الكريم، فتدخل مادته في دائرة التأليف في علوم القرآن.

واعتمد مؤلفه أسلوب النظم فيه تسهيلاً لاستظهاره وتيسيراً لاستحضاره، وهو نهج سلكه غير قليل من المؤلفين المتقدمين، وشاع سلوكه في أخريات العصر العباسي وعصر الدول المتتابعة.

ومؤلفه:

هو أبو محمد عز الدين عبدالرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء الرسعني الجزري الحنبلي.

هذا كل ما ذكرته المصادر التي رجعت إليها في سلسلة نسبه.

وتفرد الزركلي في أعلامه[1] بذهابه إلى أن اسمه (عبدالرازق) – بتقديم الألف على الزاي –، إلا أنه لم يذكر دليل تصويبه هذا، وعليه فالراجح في اسمه هو (عبدالرزاق)– بتأخير الألف عن الزاي– لأن في الآخرين من هو أوثق منه في الرواية وأعمق في الدراية كالحافظ الذهبي والحافظ ابن الجزري والحافظ الداودي.

كما تفرد الداودي في طبقاته[٢] بإضافة (أبي الهيجاء).

و (الرسعني) نسبة إلى بلدة (رأس عين)، قال ياقوت في معجم البلدان[٣]: "رأس عين، ويقال: رأس العين .... مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودُنيسر ... وفي رأس عين: عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور".

و (الجزري) نسبة إلى الجزيرة، وهي جزيرة أقور – بالقاف– قال ياقوت في معجم البلدان[٤]: وهي التي بين دجلة والفرات، مجاورة الشام ... من أمهات مدنها: حرّان والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار وماردين وآمد وميّا فارقين والموصل، وغير ذلك".

و (الحنبلي) لتمذهبه مذهب الإمام ابن حنبل اعتقاده العقيدة السلفية.

ولد بـ(رأس عين) سنة تسع وثمانين وخمسمائة للهجرة.

ونشأ نشأة علمية أهلته لأن يشارك في العلوم الإسلامية التالية:

١– التفسير، وألّف فيه تفسيرين هما: (رموز الكنوز) و(مطالع أنوار التنزيل)، وعده كل من السيوطي والداودي في طبقات المفسرين، وترجما له في كتابيهما.

٢– القراءات، وعده ابن الجزري في طبقات القراء، وترجم له في الغاية.

٣– الحديث، ورحل في طلبه إلى بغداد ودمشق وحلب، فسمع في بغداد من عبدالعزيز من منينا وطبقته، وفي دمشق من أبي اليمن الكندي وطبقته، وفي حلب من الافتخار عبد المطلب الهاشمي.

كما سمع ببلدته رأس عين من أبي المجد القزويني.

وعده الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ وترجم له في تذكرته، وكذلك الجلال السيوطي وترجم له في طبقات الحفاظ.

وولي مشيخة دار الحديث بالموصل.

٤- الفقه، وتتلمذ فيه على الشيخ موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، وحفظ كتابه (المقنع) في الفقه الحنبلي.

يضاف إلى ذلك تفننه بعلوم الأدب وقوله الشعر.

وروي عنه غير واحد من المحدثين، منهم:

ولده أبو عبدالله محمد بن عبدالرزاق، والحافظ عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي في معجمه، وأبو المعالي أحمد بن إسحق الأَبْرَقُوهي الأصبهاني في المعجم.

ومن تأليفاته:

١- درة القاري (وهي هذه المنظومة).

٢- رموز الكنوز، في التفسير، أربعة مجلدات ضخام.

٣- مختصر الفرق بين الفرق للبغدادي.

٤- مصرع الحسين، وذكره الذهبي في التذكرة باسم (مقتل الشهيد الحسين عليه السلام).

٥- مطالع أنوار التنزيل ومفاتيح أسرار التأويل، في التفسير أيضاً.

وتوفي في سنجار سنة إحدى وستين وستمائة للهجرة، كما ذكر الذهبي وغيره ممن رجعت إليهم باستثناء الداودي فإنه ذهب إلى أنه توفي سنة ستين وستمائة.

وقالوا فيه:

الذهبي: "الإمام" المحدث، الرحال، الحافظ، المفسر، عالم الجزيرة ... كان إماماً متقناً ذا فنون وأدب ... ومن أوعية العلم والخير".

السيوطي: "كان إماماً، محدثاً، فقيهاً، أديباً، شاعراً، ديناً، صالحاً".

ابـن الجـزري: "الإمـام العلّامـة المحـدث المفسـر المقـرئ شـيخ ديـار بكـر والجزيرة".

الداودي: "كان إماماً فقيهاً محدثاً أديباً شاعراً ديّناً صالحاً فاضلاً في فنون العلم والأدب ذا فصاحة وحسن عبارة"(٥).

ومنظومته:

تتألف من واحد وثلاثين بيتاً، من البحر البسيط التام:

مستفعلن فاعلن فعلن "مرتين" وأشار الناظم إلى هذا قوله:

سـميتها (درة القـاري) ونِسْـبَتُها بحـر البسـيط فزنهـا واختبـر تـبنِ

ورويّها: النون المكسورة.

والبسيط من الأبحر العروضية ذات الموسيقى المطربة، والنون المكسورة من الروي ذي الجرس المستعذب، وهذا مما يساعد على الاستظهار والاستذكار بسهولة ولذاذة.

وسماها مؤلفها (درة القاري) – كما رأينا في البيت المتقدم–.

ونسبة هذه القصيدة إلى ناظمها الرسعني مفروغ من صحتها، فقد أدرجها في قائمة مؤلفاته جميع من قرأته ممن ترجم له. أمثال:

– حاجي خليفة في كشف الظنون ٧٤٣/١، ذكرها باسمها (درة القاري)، لكنه وهم في رويّها حيث قال: "قصيدة تائية من البسيط".

– البغدادي في هدية العارفين ٥٦٦/٢، ذكرها باسمها أيضاً، إلّا أن لقب ناظمها كان في المطبوعة هكذا (الرستغفني)، وهو تحريف.

– الزركلي في الأعلام ٢٩٢/٣.

– كحالة في معجم المؤلفين ٢١٧/٣.

- ابن الجزري في غاية النهاية ٣٨٤/١، قال في معرض حديثه عن ناظمها: "صاحب الظائية النونية".

- الداودي في طبقات المفسرين ٢٩٤/١، قال: "ومن نظمه القصيدة النونية المشهورة في الفرق بين الضاد والظاء".

والكلم القرآني المشتمل على حرف (الظاء) الذي احتوته المنظومة هو من المواد اللغوية التالية:

حظر.	حظظ.	حفظ.	شوظ.	ظعن.
ظفر.	ظلل.	ظلم.	ظمأ.	ظنن.
ظهر.	عظم.	غلظ.	غيظ.	فظظ.
كظم.	لظى.	لفظ.	نظر.	وعظ.
				يقظ.

وأن يدخل هذا اللون من الدراسة لما يلفظ ويكتب بـ(الظاء) – أخت الطاء– في علوم القرآن، لأن هناك فرقاً بين (الضاد) – أخت الصاد– و(الظاء) – أخت الطاء– في اللفظ والكتب.

ففي اللفظ والنطق: يتفقان في أن كلاً منهما حرف مجهور، إلّا أن الظاء صوت رخو، والضاد صوت مزدوج.

ويختلفان في المخرج: فالظاء مخرجه من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، والضاد مخرجه من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس[٦].

وفي الكتب والرسم: فالضاد تكتب هكذا: (ضـ ـضـ ـض. ض)، والظاء ترسم هكذا: (ظ. ـظـ. ـظ، ظ).

فلئلا يقع الغلط في النطق والرسم القرآنيين قام العلماء العرب بأمثال هذه الدراسات والكتابات الصوتية والرسميّة (الإملائية).

وقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على:

١- مخطوطة مكتبتنا الخاصة بالبصرة، ورمزت لها بـ(خ)، وهي تضم من القصيدة أحد عشر بيتاً فقط، وخطها غير جيد، وكثير الأخطاء.

٢- مخطوطة مكتبة الدراسات العليا- جامعة بغداد، وهي ضمن مجموع برقم ١٢١٠، ورمزت لها بـ(ب)، وتضم جميع أبيات القصيدة، وخطها جيد، وخطأها قليل.

وذكر في عنوان الأولى منهما: "أرجوزة (؟) في الظاءات التي في القرآن للشيخ الإمام العالم العلامة المقرئ".

أما الثانية فلم تعنون بشيء، إلّا أن اسم القصيدة وهو (درة القاري) جاء في بيتها الأخير.

وكلتاهما خلو من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

وقمت في مجال تقومي النص بـ:

١- المقابلة بين النسختين.

٢- الاعتماد على السياق والإطار الثقافي للمادة في فهم مقصود الناظم.

٣- التقطيع العروضي لضبط الوزن.

وفي مجال التعليق قمت بـ:

١- شرح بعض الكلمات اللغوية شرحاً مختصراً.

٢- تعريف الأعلام بذكر الاسم الكامل وتاريخ الوفاة.

٣- تخريج الكلم القرآني.

وأخيراً: أرجو أن أكون قد قمت عن طريق هذا العمل بشيء من الواجب في خدمة القرآن الكريم ولغته الشريفة، والله تعالى ولي التوفيق وهو الغاية.

المنظومة

١ حفظت[٧] لفظاً[٨] عظيم[٩] الوعظ[١٠] يوقظ[١١] من

ظما[١٢] لظى[١٣] وشواظ[١٤] الحظر[١٥] والوَسَنِ[١٦]

٢ مَنْ يكظمِ[١٧] الغيظ[١٨] يظفرْ[١٩] بالظلال[٢٠] ومن

يظعن[٢١] عن الظلم[٢٢] يظللْ راكدَ الشَفَنِ[٢٣]

٣ لا تنظر[٢٤] الظنَّ[٢٥] والفظ[٢٦] الغليظ[٢٧] ولا

تظهرْه ظهر ظهورٍ[٢٨] تحظَ بالإحنِ[٢٩]

٤ انظر تظاهرْ فمن لم ينتظر خلبت

عظامه ظُفُرُ الظلماء والمحنِ

٥ فهذه أربع يا صاح قد جَمَعَتْ[٣٠]

ما في القرآن[٣١] من الظاءات فامتحنِ

٦ لكنَّ سبعةَ ظاءاتٍ قد (اشتبهت)[٣٢]

بالضـــاد فـــي (الـــذكر)[٣٣] فاســمع قــول مؤتمــنِ

٧ الحـــظ والحظـــر والغـــيظ الظـــلال مـــع الـــ

ـــوعظ انظـــر الفـــظ واهجـــره مـــدى الزمـــنِ

٨ فالحـــــــظ بالظـــــــاء إلّا أنّـــــــها وردتْ

بالضـاد فـي (الفجـر)[٣٤] و(المـاعون)[٣٥] فاسـتعنِ

٩ باللـــه واعلـــمْ بـــأنّ (الحاقـــة)[٣٦] انفـــردتْ

بثالـــــثٍ لا تزدهـــــا تُـــــرمَ باللكـــــنِ[٣٧]

١٠ والحظـــر بالضـــاد[٣٨] إلّا موضعـــين ففـــي

(ســبحان)[٣٩] (محظــوراً انظــر) ثــم قِــسْ وزنِ

١١ فـــي ســـورة (اقتربـــتْ)[٤٠] بعـــد (الهشـــيم) لهـــا

مِثْـــلٌ وهـــذان فـــي المعنـــى علـــى سَنَـــنِ[٤١]

١٢ والغـــيظ بالظـــاء إلّا (مـــا تفـــيض)[٤٢] و(غيـــ

ـض المـاء)[٤٣] فـي (هودٍ) الهـادي إلـى السُـنَنِ[٤٤]

١٣ ثـــم الظـــلال وفيـــه الأمـــر مشتبـــهٌ

فاسمـــع تفاصيـــل قولـــي تُـــدْعَ بالفَطـــنِ

١٤ بالضـــــاد تقـــــرأ[٤٥] إلّا تسعـــــة قرئـــــتْ

بالظـــاء[٤٦] إجمـــاع أهـــل العلـــم واللُسُـــنِ[٤٧]

١٥ (مـــن الســـماء فظلـــوا)[٤٨] (الحجـــر) أولهـــا

ووجهـــه ظـــلّ مُســـوَدّاً[٤٩] مـــن الشَجَـــنِ[٥٠]

١٦ لســـوء مـــا حكمـــوا تتلـــى مذّمتهـــم

فـــي (النحـــل) و(الزخـــرف) احـــذر كـــل مفتتـــنِ

١٧ إذا تلـــوتَ (فظلّـــتْ)[٥١] بعـــدها (فنظـــلُّ)[٥٢]

اعـرفْ (فـيظللنَ) فـي (الشـورى)[٥٣] اهتـدِ استـبنِ

١٨ (طـه) (الذي ظَلْتَ)[٥٤]، بعد (العنكبوت) (فظلّوا

فـي)[٥٥] وفـي (الشـعرا) حـرفٌ[٥٦] أيـا سـكني[٥٧]

١٩ قبـــل (الحديـــد) (فظلـــتم)[٥٨] وهـــو آخرهـــا

اقبلـــه علمـــاً فليـــت الجهـــل لـــم يكـــنِ

٢٠ والــوعظ أيــن أتــى بالظــاء غيــر (عضــين)

(الحجـــر)[٥٩] بالضـــاد فاقرأهـــا ولا تهـــنِ

٢١ واعلــم بــأن لــيس فــي القــرآن مــن نظــرٍ

بالضـــاد إلّا نقيـــض البـــؤس والحـــزنِ

٢٢ فـي هل (أتـى)[٦٠] (نضـرة)[٦١] قبـل (النعيم) لهـا

مثـــل بســـورة (ويـــلٌ)[٦٢] فاعتبـــرْ تُعَـــنِ

٢٣ وفـــي (القيامـــة)[٦٣] أخـــرى وهـــي (ناضـــرةٌ)

الأُولـــى حنانيـــك يـــا ذا الفضـــل والمـــنِ

٢٤ والفــض بالضــاد فــي كــل المواضــع[٦٤] إلّا

(كنـــت فظـــاً)[٦٥] ولـــيس الهـــين كالخشـــنِ

٢٥ وأجْمَـــعَ الســـبعة[٦٦] الغـــر الثقـــات علـــى

تـــلاوة (الظـــن) بالظـــا فاقـــفُ واستـــبنِ

٢٦ لكــنْ قــد اختلفــوا فــي قولــه (بضــنين)[٦٧]

فاتّبـــعْ حُسْـــنَ حصْـــري واستمـــعْ لسنـــي

٢٧ بالضـــــاد عاصـــــمٌ الكوفـــــيُّ يقرأهـــــا

وحمـــــزةٌ ثـــــم عبداللـــــه[٦٨] والمدنـــــي[٦٩]

٢٨ وقـــــد تلاهـــــا أبـــــو عمـــــرو وشيعتـــــه

بالظـــــاء وابـــــن كثيـــــرٍ مَـــــعْ أبـــــي الحســـــنِ[٧٠]

٢٩ وقـــــد تقضّـــــت بحمـــــد اللـــــه مودعـــــة

حســـــن البيـــــان بـــــلا عـــــيبٍ ولا أفـــــنِ[٧١]

٣٠ شـــــعاع أنوارهـــــا يحكـــــى ذُكـــــاءَ[٧٢] ويجـــــ

ـــلو مـــا علـــى القلـــب مـــن شـــك ومـــن دَخَـــنِ[٧٣]

٣١ سمّيتهـــــــا (درة القـــــــاري) ونسبتهـــــــا

(بحـــــر البسيـــــط) فزنهـــــا واختـــــبر تَـــــبِنِ

تمت القصيدة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه بمنّه وكرمه.[٧٤].

الهوامش

(١) انظر: الأعلام ٢٩٢/٣.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢٩٣/١.

(٣) ١٣/٣-١٤.

(٤) ١٣٤/٢.

(٥) انظر: الأعلام ٢٩٢/٣، معجم المؤلفين ٢١٧/٣-٢١٨، غاية النهاية ٣٨٤/١، شذرات الذهب ٣٠٥/٥-٣٠٦، طبقات المفسرين للسيوطي ٦٦-٦٧، تذكرة الحفاظ ١٤٥٢/٤-١٤٥٣، طبقات المفسرين للداودي ٢٩٣/١-٢٩٥.

وتجد ترجمته أيضاً في: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعليمي، طبقات الحفاظ للسيوطي، العبر للذهبي.

(٦) انظر: المعجم الوسيط: حرف الضاد وحرف الظاء.

(٧) جاء من كلمها في القرآن الكريم: حَفِظَ، حفظناها، نحفظ، يحفظن، يحفظوا، يحفظونه، احفظوا، يحافظون، حافِظوا، استُحفظوا، حفظاً، حفظهما، حافظٌ، حافظاً، حافظات، حافظون، حافظين، حفظة، حفيظٌ، حفيظاً، محفوظٍ، محفوظاً.

الحافظات، الحافظون، الحافظين.

(٨) منها في القرآن: يلفظ.

(٩) منها في القرآن: عَظْم، العَظْم، عِظاماً، العظام، عِظامَه، عظيم، العظيم، عظيماً، يُعظِّم، يُعْظِم، أَعْظَمُ.

(١٠) منها في القرآن: وعظتَ، أعظك، أعظكم، تعظمون، يعظكم، يعظه، عِظهم، عِظوهنَّ، يُوعَظُ، يُوعظون، الواعظين، موعظة.

(١١) منها في القرآن: أيقاظاً.

(١٢) منها في القرآن: ظَمَأ، تظمأ، الظمآن.

(١٣) منها في القرآن: تلَظَّى، لَظَىً.

(١٤) منها في القرآن: شُواظ.

(١٥) منها في القرآن: محظوراً، المحتظِر.

(١٦) الوسن: ثقل النوم.

(١٧) منها في القرآن: الكاظمين، كظيم، مكظوم.

(١٨) منها في القرآن: غيْظ، الغيظ، غيْظِكم، غيْظِهم، تغيّظاً، يَغيظ، لغائظون.

(١٩) منها في القرآن: ظُفُر، أَظْفَركم.

(٢٠) منها في القرآن: ظِلاً، ظِل، ظِلُّها، ظِلال، ظِلالاً، ظلاله، ظلالها، ظلالهم، ظليل، ظليلاً، ظللّنا، ظُلة، الظُلة، ظُلَلٍ، كالظلل، ظَلَّ، ظَلَّتْ، ظلْتَ، فظلْتُم، ظَلّوا، فنظل، فيظللن.

(٢١) منها في القرآن: ظعنكم.

(٢٢) منها في القرآن: أَظْلَمَ، مُظْلماً، مُظْلِمون، ظُلمات، الظلمات، ظُلْمٌ، ظُلْماً، ظُلْمة، ظُلْمهم، ظَلَمَ، ظَلَمَت، ظَلَلْتُم، ظَلَمَكَ، ظَلَمنا، ظلمناهم، ظَلَموا، ظَلَمَهم، ظلمونا، ظُلِمَ، يَظلم، يَظلمهم، يَظلمون، يُظلمون، تَظْلم، تَظْلمون، تَظلموا، تُظْلَم، تُظلمون، ظالم، الظالم، ظالمة، ظالمون، الظالمون، ظالمين، الظالمين، ظالمي، أَظلمُ، ظَلوم، ظَلوماً، ظلّام، مظلوماً.

(٢٣) الشفن: مؤخر العين. وفي ب: السفن: جمع سفينة.

(٢٤) منها في القرآن: نَظَرَ، أَنظرُ، تَنظر، تنظرون، لننظر، يَنظر، يَنظروا، ينظرون، انظرْ، انظرْنا، انظروا، انظرونا، فانظري، نَظْرة، الناظرين، ناظرة، تُنظرن، انظرني، يُنظرون، منظرَون، المنظَرين، ينتظر، ينتظرون، انتظر، انتظروا، منتظرون، المنتظرين، نَظِرَة.

(٢٥) منها في القرآن: ظنَّ، ظناً، الظنِ، ظنكم، ظَنَّة، الظنونا، ظننتُ، ظننتم، ظَنّنا، ظَنّوا، أظنُّ، لأظنّك، لأظنّه، تظن، تظنون، نظن، نظنك، نظنكم، يظن، يظنون، الظانين.

(٢٦) منها في القرآن: فظاً.

(٢٧) منها في القرآن: غلظة، اغلظ، استغلظَ، غليظ، غليظاً، غلاظ.

(٢٨) منها في القرآن: ظَهْرَك، ظَهرِه، ظَهْرها، ظهوركم، ظهوره، ظهورها، ظهورهم، ظُهورهما، ظِهرّياً، يُظاهِرون، تُظاهرون، ظَهَر، يَظهروا، يَظهروه، أظهرَه، يُظهِر، ليُظهِره، ظاهِر، الظّاهر، ظاهراً، ظاهِرُه، ظاهرة، ظاهرين، الظهيرة، تُظهرون، ظَاهَروا، ظاهروهم، يُظاهِروا، تظاهر، تَظاهَروا، تَظاهرون، ظهير، ظهيراً.

(٢٩) منها في القرآن: حَظٌّ، حظاً.

(٣٠) في ب: حَصَرَتْ.

(٣١) القرآن: غير مهموز، وهي قراءة ابن كثير المكي.

(٣٢) سقطت من خ.

(٣٣) سقطت من خ.

(٣٤) هي (تحاضون) من الآية ١٨ من سورة الفجر.

(٣٥) هي (يحض) من الآية ٣ من سورة الماعون.

(٣٦) هي (يحض) أيضاً من الآية ٣٤ من سورة الحاقة، وتقرأ (الحاقة) بالتخفيف للوزن.

(٣٧) اللكن: العجمة في اللسان.

(٣٨) هي: حاضراً، حاضرةً، حاضرةَ البحر، حَضَرَ، حضروه، يحضرون، حاضري المسجد، أُحضرت، لنحضرنّهم، أُحضرت، مُحْضَراً، مُحْضَرون، المُحْضَرين، مُحْتَضَر.

(٣٩) يعني سورة الإسراء، وكلمة (محظوراً) فيها من الآية ٢٠.

(٤٠) يعني سورة القمر، والكلمة التي فيها هي (المحتظِر) من الآية ٣١: "فكانوا كهشيم المحتظر".

(٤١) إلى هنا انتهى ما في نسخة خ. والسنن – بفتح السين–:
الطريقة والمثال.

(٤٢) من الآية ٨ من سورة الرعد.

(٤٣) من الآية ٤٤ من سورة هود.

(٤٤) السُنن – بضم السين–: الشرائع والأديان.

(٤٥) هي: ضَلَّ، ضَلال، الضلال، ضلالاً، ضلالك، الضلالة، ضلالة، ضلالتهم، تضليل، ضللتُ، ضللنا، ضلوا، أضلَّ، أَضلّانا، أضللتم، أضللن، أضلّنا، أضلني، أضلّه، أضلهم، أضلوا، أضلُّونا، أيضلُّ، يضلون، أَضِلُّ، تَضِلَّ، تَضِلّوا، تُضِلُّ، يُضِلُّ، فيضلك، يضلل، يضلله، ليضلنا، يضله، يضلهم، ليُضِلوا، يُضلوك، يُضلون، يُضلونكم، يُضَلونهم، لأضلّنّهم، يُضَلُّ، ضَلالاً، الضالون، ضالين، الضالين، مضل، المضلين، أَضَلُّ.

(٤٦) انظر: الهامش رقم ٢٠ ويأتي عدها في الأبيات التالية.

(٤٧) اللسن- بضم أوله وثانيه- جمع لسان وهو اللغة.

(٤٨) من الآية ١٤ من سورة الحجر.

(٤٩) النص هو: (ظلَّ وجهه مُسْوَدّاً) وهو من الآية ٥٨.

من سورة النحل، ومن الآية ١٧ من سورة الزخرف كما سيشير الناظم في البيت الذي يليه.

(٥٠) الشجن: الهم والحزن.

(٥١) من الآية ٤ من سورة الشعراء.

(٥٢) من الآية ٧١ من سورة الشعراء.

(٥٣) من الآية ٣٣ من سورة الشورى.

(٥٤) من الآية ٩٧ من سورة طه.

(٥٥) من الآية ٥١ من سورة الروم – وهي بعد العنكبوت-.

(٥٦) وهو (الظلة) من الآية ١٨٩.

(٥٧) السكن: كل ما سكنت إليه واستأنست به.

(٥٨) من الآية ٦٥ من سورة الواقعة – وهي قبل الحديد-.

(٥٩) من الآية ٩١.

(٦٠) يعني سورة الإنسان.

(٦١) من الآية ١١.

(٦٢) يعني سورة المطففين، والكلمة فيها في الآية ٢٤.

(٦٣) من الآية ٢٢.

(٦٤) هي: (انفضوا) في موضعين: ١٥٩/ آل عمران، و ١١/ الجمعة، و (ينفضوا) ٧/ المنافقون.

(٦٥) من الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

(٦٦) هم القراء السبعة: عبدالله بن عامر الشامي (ت ١١٨هـ) وعبدالله بن كثير المكي (ت ١٢٠هـ) وعاصم بن أبي النجود الكوفي (ت ١٢٧هـ) وأبو عمرو بن العلاء

البصري (ت ١٥٤هـ) وحمزة بن حبيب الكوفي (ت ١٥٦هـ) ونافع بن أبي نُعيم المدني (ت ١٦٩هـ) وعلي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت ١٨٩هـ).

(٦٧) من الآية ٢٤ من سورة التكوير.

(٦٨) يعني ابن عامر.

(٦٩) يعني نافع بن أبي نُعيم.

(٧٠) يعني الكسائي.

(٧١) الأفن: النقص.

(٧٢) ذكاء – بضم الذال المعجمة – الشمس.

(٧٣) الدخن – بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة – الحقد.

(٧٤) رجعت في استفادة الكلمات الظائية المستعملة في القرآن الكريم والمشار إليها في هذه المنظومة إلى كتاب: (معجم ألفاظ القرآن الكريم) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة. ولمعرفة آياتها التي وردت فيها يرجع إليه أو إلى مثل: (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) أو (هداية الرحمن لألفاظ وآيات القرآن).

والحمد لله رب العالمين

المراجع

للمقدمة والتحقيق والتعليق

١- القرآن الكريم.

٢-الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد، ابن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢هـ) تحقيق حسين تورال وطه محسن (النجف الأشرف: م النعمان ١٩٧٢م).

٣- الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، ابن مالك أيضاً، تحقيق حاتم صالح الضامن (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) ط٢.

٤- الأعلام، خير الدين الزركلي (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٩م) ط٤.

٥- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي (القاهرة: م الخيرية ١٣٠٦هـ) ط١ "تصوير".

٦- تذكرة الحفاظ، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، (حيدر آباد الدكن: م مجلس دائرة المعارف العثمانية) ط٤.

٧- تلخيص العروض، عبدالهادي الفضلي (جدة: دار البيان العربي ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ط١.

٨- التيسير، أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، اعتناء اوتوبرتزل (إستانبول: م الدولة ١٩٣٠م) "تصوير".

٩- طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة وهبة (١٣٩٦هـ-١٩٧٦م) ط١.

١٠- طبقات المفسرين، الحافظ الداودي (ت ٩٤٥هـ) تحقيق علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة وهبة ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ط١.

١١- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) باعتناء برجستراسر (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ط٣ "تصوير".

١٢- فائت نظائر الظاء والضاد، حاتم صالح الضامن، (مع كتاب الاعتماد لابن مالك).
١٣- الفرق بين الضاد والظاء، أبو القاسم الزنجاني (ت ٤٧١هـ) تحقيق موسى بناي علوان العليلي (بغداد: م الأوقاف والشؤون الدينية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
١٤- كتاب في معرفة الضاد والظاء، أبو الحسن القيسي الصقلي، تحقيق حاتم صالح الضامن (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ط٢.
١٥-كشف الظنون، حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، (بيروت: دار الفكر ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) "تصوير".
١٦- لسان العرب، ابن منظور (بيروت: دار صادر...).
١٧- محيط المحيط، بطرس البستاني (بيروت: مكتبة لبنان ١٩٧٧م).
١٨- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية (القاهرة: دار الشروق ١٤٠١هـ-١٩٨١م).
١٩- معجم البلدان، ياقوت الحموي (بيروت: دار صادر ودار بيروت ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) "تصوير".
٢٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، (القاهرة: م دار الشعب...).
٢١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (القاهرة: م دار المعارف ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ط٢.
٢٢- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (بيروت: دار إحياء التراث العربي...).
٢٣- هداية الرحمن لألفاظ وآيات القرآن، محمد صالح البنداق، (بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠١هـ-١٩٨١م) ط١.

٢٤- هدية العارفين، إسماعيل البغدادي، (بيروت: دار الفكر ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) "تصوير".

معجم شعراء أساس البلاغة

للأستاذ عرفان عبدالباقي الأشقر

لا يخفى على الناظر في معجم أساس البلاغة للإمام جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، وفرة الشواهد الشعرية واختلاف أصحابها من جاهليين وإسلاميين، متقدمين ومتأخرين، مشهورين ومغمورين، مكثرين ومقلين، وإن غلبت شواهد المخضرمين والإسلاميين، وقد بلغ عدد الشواهد الشعرية فيه، ما يزيد على (٥٦٠٠) بيت وشطر، عزا الزمخشري نحو ثلثيها والباقي ساقه دون عزو، وقارب عدد شعراء الأساس الذين ذكر أسماءهم نحو "٣٧٦" شاعراً بعضهم ذكر الزمخشري أسماءهم وكناهم واكتفى في بعضهم الآخر بذكر ألقابهم وأحياناً بذكر كناهم، وبعض الشواهد أسندها إلى كتاب معين كالحماسة، وبعضها إلى قبيلة معروفة، وأحياناً بذكر من رواه أو أنشده من العلماء، واختلفت عبارته في تقديم الشواهد غير المنسوبة، فمرة يذكر: "وقال" وأخرى: "وقال أيضاً" وحيناً: "وله أيضاً" وغالباً ما كانت عبارته: "وقال أيضاً" و"وله أيضاً" تشير إلى أن الشاهد لشاعر الشاهد السابق المنسوب، أمّا قوله: "وقال" فهي على الأعم والأغلب تشير إلى شاعر آخر غير صاحب الشاهد السابق المنسوب.

منهجي في العمل:

١- اعتمدت في عملي مصورة إحياء المعاجم العربية ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م التي أشرف على إخراجها محمد نديم عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤١هـ بتحقيق الأستاذ عبدالرحيم محمود.

٢- لم أهمل أي شاهد شعري أكان بيتاً تاماً: أو شطراً أو بعض شطر.

٣- ترجمت للشعراء المغمورين ما استطعت ذلك بإيجاز ولبعض المشهورين الذين ورد خلاف في أسمائهم أو عصرهم.

٤- تحققت من نسبة الشواهد التي اكتفى الزمخشري فيها بإيراد لقب الشاعر أو اسمه دون الكنية أو الكنية فقط لكثرة تشابه الأسماء والألقاب ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٥- في البدء أوقعتني عبارة الزمخشري في تقديمه لبعض الشواهد "وقال" في لبس فظننت أنها لشاعر الشاهد السابق المنسوب لأنني وجدت بعضها كذلك، لكني عدت بعد ذلك: إليها فحاولت عزوها إلى أصحابها ما أمكنني ذلك.

٦- أشرت أحياناً إلى اختلاف رواية الشاهد أو نَسَبْتُهُ إلى شاعر آخر.

٧- نسبت قدر جهدي الشواهد التي نسبت نسبةً غير محددة وهي ما ورد في نسبته إلى الهذليّ أو الحماسيّ وألحقتها بشواهد أصحابها ذاكراً الشاهد الشعري تاماً.

٨- اعتمدت في ترتيب أسماء أصحاب الشواهد الصورة التي وردت في الأساس معتبراً اللقب والكنية كالاسم وأفردت الكنى فجعلتها في آخر حرف الهمزة.

٩- أشرت أحياناً إلى ما وقع من خطأ أو سقط أو تحريف في الشاهد أو في اسم صاحبه.

١٠- خرّجت بعض الشواهد.

١١- وضعت علامة "X" بعد الجذر اللغوي إذا ورد للشاعر شواهد في أكثر من موضع في المادة نفسها.

١- أبَاق الدُّبيري

نفذ

كنيته أبو قريبة "عن التاج "أبق".

- أبان بن عبدة

يقظ

لم يرد الاسم صريحاً وإنما ورد "الحماسيّ" انظر الحماسي "يقظ" وهو أبان ابن عبدة بن العَيَّار في الحماسة شرح **المرزوقي ص (٦٣٤)**.

٢- الأُبَيْرد بن المُعذَّر

تمر

ويقال له أيضاً "الأبير واليربوعي" وهو الأبير بن المعذر بن قيس شاعر فصيح بدوي من شعراء الإسلام وأول دولة بني أمية انظر البيان والتبيين (٨٥/٤) حاشية والمؤتلف والمختلف (٢٤) وفي مختار الأغاني لابن منظور (٣٤٥/١) "الأبير الرياحيّ" وفيه: وليس بمكثر ولا مدح الخلفاء ولا وفد عليهم" وذكره في جمهرة اللغة (١٣/٣) "الابيرد بن المعذَّر الرياحيّ".

٣- الأحنف

صعد

ورد الشاهد للأحنف دون تحديد والبيت في اللسان (صعد) للأحنف دون تحديد وهو للأحنف بن قيس في "سرح العيون" (٥٨) والأحنف هو الضحاك وقيل صخر بن قيس انظر الأعلام (٢٧٦/١).

٤- الأحوص

رفع – شفع – ضرع – عزل – فظع – نسم.

عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عاصم الأنصاري عن الأعلام (١١٦/٤) وفي سير أعلام النبلاء) (٥٩٣/٤) عبدالله بن محمد بن عبيّدالله.

٥- أحَيْحه

ذمر – عقل

... بن الجُلاح الأوسي والشاهد في "عقل" في مختار الأغاني (٣٥٨/١) لأحيحه بن الجلاح. ت (١٣٠) ق. هـ.

٦- الأخطل

بدد x – بسل – جهر – حدب – حرر – حلم – حور x– خرس – خرط– خزر – خصم – دبب – ربع x– ربل – رحي – رشأ – رعث – رعد – رغو – ركل – رهن – زجر – زعزع – شهر – شول – صمع – ضمر – ضوع– ضيق – عجز – عصر – عضض – عفوا – عين – غصص – غلل– غول – فرج – فسكل – فوت – فيض – قعد – قود – كذب – كلأ – كمم – كيل – مدد – مشق – موت x – ميز – نبأ (١) – نبح – نجد – نقل – نمل– وري– وسع – وشظ – وعك.

البيتان في (نبأ) وردا دون نسبة وهما:

ألا فاسقياني وانفيا عنكما القذى وليس القذى بالعود يسقط في الخمر

ولكن قذاها كل أشعث نابئ أتتنابه الأقدار من حيث لا ندري

وهما في ديوان الأخطل بتحقيق الدكتور قباوة (٤٨٥-٤٨٦) باختلاف في الرواية.

- الأخنس بن شهاب

زرب

لم يرد الاسم صريحاً وإنما ورد "الحماسيّ" انظر "الحماسي" "زرب" وهو ابن ثمامة التغلبي ت "٧٠" ق.هـ عن الأعلام (٢٧٧/١).

أرطأة بن سُهيّة

زرب

لم يرد الاسم صريحاً وإنما ورد "الحماسي" انظر "الحماسي" "زرب" وهو أرطأة ابن زفر الفطفافي المرّي، أبو الوليد بن سهية وهي أمه انظر الأعلام "٢٨٨/١".

أسامة بن الحارث الهذليّ

خدر - ربع - هبط

ورد الشاهد في خدر منسوباً إلى الهذليّ "خدر" "وربع".

وهو أحد بني عمرو بن الحارث ذكره المرزباني في معجمه وقال مخضرم "عن الإصابة ١-١٠٤" وأسامة هذا لم ترد له ترجمة وافية انظر الشعر والشعراء" لابن قتيبة "٤١٩" ويُكنى أبا سهم" وهو في اللسان "ربع" أسامة بن حبيب الهذليّ.

٧- أسد بن ناعصة

نجع - نمش

ورد اسمه في "نجع" أسد بن باعصة بالباء وأظنه خطأ مطبعياً وهو أسد بن ناعصة بن عمرو التنوخي جاهلي انظر الأعلام "١-٢٩٨" وكان صعب الشعر

وقلما يروى شعره لصعوبته وهو الذي قتل عُبيداً بأمر النعمان "عن لسان العرب "نعص".

الأسدي

روح

الشاهد في اللسان والتاج "روح" و"سدف" وفيهما جميعاً دون تحديد.

٨- الأسعر الجعفي

حصن – سعر

مرثد بن أبي حمران الحارث بن معاوية الجعفي جاهلي انظر الأعلام "٧١-٢١٠" كنيته "أبو زهير" في كنى الشعراء لابن حبيب (٢٩٣) والشاهد في "سعر" في الجمهرة باختلاف في الرواية وهو عنده الأسعر بن مالك الجعفي" جهرة اللغة "١-٢٠٢".

٩- الأسعر بن يعفر النهشليّ

حتف – حضر – قنأ – مذل

الشاهد في "حتف" وكذا في "قنأ" وردا للأسود دون تحديد الشاهد "حتف" ورد في قصيدة للأسود بن يعفر في كتاب الاختيارين للأخفش الأصغر (٥٦٠) والشاهد في "قنأ" في اللسان "قنأ" للأسود بن يعفر.

وهو الأسود بن يعَفر (يعَفُر) (يَعْفِر) أعشى بن نهشل كنيته أبو الجراح جاهلي فحل انظر المفضليات (٢١٥) حاشية.

١٠- الأشتر

لجج – ومض

ورد الشاهد في "ومض" "للأشتر دون تحديد وهو للأشتر النخعي في اللسان "شمس" واسمه مالك بن الحارث.

١١– الأشعث بن قيس

عطف

بن معدي كرب الكندي.

١٢– الأعشى

أبب – أثّل – برد – برر – بغى – تلع – جثّل – جدل – جدي – جرل – جرم – جسر – جنف – جوع – جول – حبب – حبك – حجم – حذر – حرز – حرم – حصي – حضن – حفو – حلج – حمر – خثم – خذل – خرت – خزل – خلو – دعم – دفق – رأي x – رجع – رزأ – رضع – رقق x – رنب – رهص – ريش – سبح – سفن – سمع – سنق – سود – شبو – شحم – شرخ – شرن – شفع – شيط – صقب – صوك – ضحك – ضمر – طرد – طمو – ظلل – عذر – عصف – عكف – عمد – عمر – عيف – غرف – غرق – غلو – غمد – فتل – فرع – فوق – قرد – قرف – قزع – قود – كثر – كذب – كرر – كسح – كفل – كلل – كمم – لطط – لعو – لوث – لوح – لوي – مصد – مصع – مطق – مهل – نجب – ندف – نشد – نضو – نطق – نكر – حبب – هضم – هكل – وبل – وجد – وحي – وزر – وصل – وضح – وفد – يدي – يرق – يقن.

الاعشى: ميمون بن قيس.

ورد "في عيف" صدر البيت هكذا "وما تعيف" والصحيح "ما تعيف" فهو من الرمل.

١٣- أعشى همدان

بخخ – جدف – زحف.

عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث الأعلام "٣/٣١٢".

١٤- الأعور النبهانيّ

قرن

الشاهد نقائض جرير والفرزدق (٣٢/١) وقائله العنّاب أعور بني نبهان واسمه نعيم بن شريك، وذكر ابن دريد في "الاشتقاق" (٣٩٥): ومنهم الأعور وهو حريث بن عنّاب الشاعر الذي كان يُهاجي جريراً وفي الحاشية (٢) "وعنان أيضاً بالنون الأعور النهاني الذي هجا جريراً،" ١هـ، قال الأمير: قال الكلبي: اسمه سحمه بن نعيم الأخنس وفي معجم الشعراء للمرزباني "٨٧" الأعور النبهانيّ الطائي اسمه عدي بن أوس وقيل اسمه: سُمحة بن نعيم وكان يهاجي جريراً. وفي المؤتلف والمختلف (٤٦) نبهان بن عمر بن الغوث. وفي الأغاني (١٤-٣٨٢) وما بعد ترجمة لحديث بن عناب لم يشر فيها إلى لقبه ولا إلى هجائه جريراً وذكر فيه "شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية وليس بمذكور في الشعراء لأنه كان بدوياً مقلاً غير متصد بالشعر للناس في مدح ولا هجاء ولا يعدو شعره أمر ما يخصه".

١٥- الأغلب

أطط – ذكر – رحح – فثر – قعب – كفح – لحف.

الأغلب العجلي مخضرم عرف بالأغلب الراجز.

الشاهد في "أطط" ذكره في اللسان وقال: قال ابن بري: هو للراهب. وذكر مثله في التاج وقال: ومثله قول أبي محمد الأعرابي والآمدي والصحيح أنه للأغلب العجلي، وهكذا ذكره ابن سلام الجمحي في الطبقات في ترجمة الأغلب كما حققه الصاغاني.

والبيت رواه ابن سلام في الطبقات ط ١ ص(٥٧٢) وط (٢) ص(٧٣٨) والشاهد في قعب في التاج للأغلب العجلي.

١٦- الأفوه الأوديّ

تجر - خور- ذعر- ذنب- رعف- طبق- فضل- نضر- نظم-[١] هفف[٢].

١٧- امرؤ القيس

أوب- أيد- بزز- بصر- بطن- بلق- بهي- تمم- ثعل- ثنن- ثني- ثوب- جرو- جزع x- جسر- جغر- جمع- جوز- حبو x- حذف- حن- حرس- حزم- حفف- حفل- حقب- حذف- حرن- خضد- خطأ- دبأ- دري- ذقن- رصص- روح- زيم- سبي- سعف- سفر- سفن- سمو- سوف- شنن- شعف- شلو- شنج- صحب- صفر- ضجع- ضلع- ضمم- ضيف- عجم- عزل- عفر- غطط- غلب- ملك- فيأ- قتر- قدر- قدس- قصر- قضي- قعب- قصص- قوس- كمش- لبس- لثق- مجر- معمع- نأنأ- نبل- نحض- نصل- نمي- نوط- هبب- هزز- هصر- هكل- هنأ- ودق- ورد- ورس- ورق.

---

(١) وردت الشواهد للأفوه دون تحديد وهي على التتابع في ديوان الأفوه الأودي باختلاف في الرواية ص(١١)- (٢٠) - (٦).

(٢) البيتان في (هفف) في الديوان ص(١٦) و(١٨).

١٨- امرؤ القيس الكنديّ

طهو – ظنن

هو امرؤ القيس بن عانس شاعر مخضرم من أهل حضرموت توفي نحو (٢٥)هـ عن الأعلام (١٢/٢) وفي الشعر والشعراء "ابن عابس" بالباء وكذا في الاشتقاق لابن دريد (٣٧٠) وفيه "عابس بن المنذر".

أمية بن أبي عائذ الهذليّ

طرح – فرغ – لوذ

ورد الشاهد في "لوذ" منسوباً إلى الهذلي دون تحديد انظر الهذلي "لوذ" ذكره في الإصابة (١-١١٣) في المخضرمين الذين لم يرد خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبي ﷺ.

١٩- أمية بن أبي الصلت

جسر – حتف– رتق– ركب – صلب – عيط– فرج – فوق– قلد– كثف– كرب– هرش– وجه– جججح.

الشاهد في "رتق" ورد للأمية دون تحديد وكذا في "ركب" والشاهد في "ركب" في اللسان والتاج لأمية دون تحديد والشاهد في "صلب" ورد دون تحديد وكذا في "عيط" وهو في اللسان والتاج لأمية دون تحديد أما الشاهد في "فرج" وهو:

"ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال "فقد ورد دون نسبة والبيت في خزانة الأدب ٢-٥٤١ وذكر البغدادي أن الشاهد قد وجد في أشعار جماعة والمشهور أنه لأمية بن أبي الصلت من قصيدة طويلة وذكر أن جامع ديوانه محمد ابن حبب رواه باختلاف يسير وذكر أيضاً أن البيت وجد أيضاً في قصيدة رواها الأصمعي لأبي قيس اليهودي وقيل: لابن صرمة الأنصاري وقال ابن المستوفى في شرح شواهد المفصل: إنه وجده في أبيات لأبي قيس بن

صرمة ووجد أيضاً في أبيات لحنيف بن عمر اليشكري ووجد في أبيات لأعرابي ورواه صاحب الحماسة البصرية لحنيف بن عمير وفي المقتضب للمبرد (٤٢/١) دون نسبة وفي الحاشية نسبه سيبويه إلى أمية بن الصلت وقد جاء البيت في شعر عبيد بن الأبرص.

الشاهد في "فوق" ورد لأمية دون تحديد.

الشاهد في "قلد" ورد دون تحديد وهو لأمية بن أبي الصلت في اللسان والتاج الشاهد في "كثف" ورد لأمية دون تحديد وهو لأمية بن أبي الصلت في التاج.

الشاهد في "كرب" ورد لأمية دون تحديد وهو لابن أبي الصلت في التاج.

الشاهد في "هرش" ورد لأمية دون تحديد.

الشاهد في "وجه" روى الزمخشري عجزه في صلب وهو في كليهما دون تحديد الشاهد في "جحجح" وهو "ماذا ببدر فالعقنقل في مرازبة جحاجح" رواه الزمخشري لابن الزبعري وهو في التاج لأمية بن أبي الصلت وكذا في معجم مقاييس اللغة (٤٠٥/١) وقال محقق المقاييس في الحاشية: هو من قصيدة عدتها (٣١) بيتاً رواها ابن هشام في السيرة (٥٣١-٥٣٢) وذكر أن البيت في المجمل واللسان (جحح) دون نسبة.

٢٠- الأمير الشريف

كدس – نشب – ولث.

أظنه علي بن عيسى بن حمزة بن وهّاس من أهل مكة وشرفائها وأمرائها قرأ على الزمخشري بمكة انظر معجم الأدباء (٨٥/١٤).

والشواهد التي أوردها الزمخشري للأمير لا أدري أهي للأمير أم لغيره فما قدّمها بِهِ لا يقطع بنسبتها إلى الأمير سوى في "ولث" فقد ذكر قبل البيت: وفي

بعض نفاثات الأمير... أما في "كَدس" فقد ذكر قبله: ما كتبه لي... وفي "نشب" ذكر قبله سمعت الأمير....

٢١- أنس بن أبي إياس

هيب

شاعر إسلامي اسمه أنس بن أبي أناس أو ابن أبي إياس بن زنيم الكناني الديلي أو الدئلي وهو ابن أخ سارية بن زنيم الصحابي والبيت في أبيات رواها الجاحظ في الحيوان (١١٦/٣) و(٢٥٥/٥) وانظر التاج (أنس) وفي الإصابة (٦٩/١) وهو أخو أسيد ابن أبي إياس الصحابي وفي (١١/٤) ذكر أبو عمر: أنس بن أبي أُناس استخلفه الحكم بن عمرو على خراسان حين حضرته الوفاة.

٢٢- أوس بن حجر

أدم- أكل x- بضع- جمم- حفر- حوط- خبل- خرد- خطم- خمط- خون- دعو- دمر- رجع- زبن- زجج- سعد- شرط- شلل- شوس- صنول- طلع- عجب- عضل- فتأ- ففو- قرس- قرم- قلع- قمع- كتر- كعب- مرض- مظع- منن- نبض- نطع- نمر- نهم- هول- وشج.

الشاهد في "دمر" عجزه في "سقف" دون نسبة وردت الأبيات في "أدم" و"أكل" و"حوط" "وشوس" و"ضول" و"فتا" و"ففوا" مقطوعة النسبة إلى أوس بن حجر وما تبقى وردت لأوس دون تحديد الشاهد في "بضع" في ديوان أوس (٨٥) باختلاف يسير والشاهد في "جمم" في الديوان (٤٤) والشاهد في "خبل" في الديوان (٢١) باختلاف في الرواية وذكر في تخريجه أنه في الكشاف لطرفة وكذا في المفصل وهو في ديوان طرفة (١٤٧) والشاهد في "خرد" في الديوان (٢٦) واللسان والتاج والشاهد في (حطم) في التاج "بلخ" والشاهد في "خمط" في د/١٢٢ والشاهد في "خون" في د/٢٢ والشاهد في "دعو" في د/٣٢ والشاهد في "دمر" في

د/٧٠ والشاهد في رجع في د/٦٧ والشاهد في "زين" في د/١٢١ والشاهد في زجج في د/٨٣ وفي اللسان والشاهد في "زين" في د. ١٢١ والشاهد في زجج في زجج في د/٨٣ وفي اللسان والشاهد في "سعد" في د/٩٥ والشاهد في "شرط" في د/٨٧.

٢٣- اياس بن حصين

فرض

أياس بن حُصين بن زياد بن عقفان بن سويد كوفي كان في زمن الحجاج، والشاهد في نقائض جرير والأخطل (٢١٢) باختلاف يسير وذكر رواية نقائض جرير والفرزدق وقال "منعَةْ" تصحيف وهو في نقائض جرير والفرزدق (٨٩٦) باختلاف.

٢٤- أياس بن سهم الهذليّ

غزل – فحو

٢٥- اياس بن الوليد

غلو

٢٦- ابن أحمر

بصر- جنن- جهل- جور- حبر- حيي- خزز- دفع- رضض- رنب- رنو- روى- زبر- زبل- زغل- شكك- صمم- ضرب- طرق- طنب- عرش- عضض- قبل- قدع- كري- لدد- لمس- مرر- نزل- هلل- هوج- وأم- وفد.

عمرو بن أحمر الباهلي

الشاهد في "بصر" في د/٨٥ والشاهد في "جنن" في د/١٥٩ والشاهد في "جهل" في د/١٤٩ والشاهد في "حبر" في د/٧٠ والشاهد في "حيي" في د/٤٣ باختلاف والشاهد في "خزز" في د/٥٩ باختلاف.

ابن أم دينار

انظر زميل

- ابن جؤيّة

انظر ساعدة بن جؤية

٢٧- ابن حسان

ختم

ورد الشاهد منسوباً لبعض ولد حسان في عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، وهما اثنان عبدالرحمن بن حسان وسعيد بن عبدالرحمن وكلاهما عاش إلى ما بعد وفاة عمر رضي الله عنه.

٢٨- ابن الدمينة

خيس – نجم- هدر

عبدالله بن عبيد الله والدمينة أمه.

الشاهد في "خيس" ينسب لابن ميادة انظر ديوان ابن ميادة (٢٤٩).

٢٩- ابن الرِّقاع

أبر- جسأ- جنح- شطف- فشغ- نوف

أبو داود عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي نسبه الناس إلى الرقاع وهو جد جده لشهرته.

الشاهد في "أبر" في الشعراء الشاميون ص(٥٢) وفي الطرائف الأدبية ص(٨٨) البيتان في "جسأ" في الطرائف الأدبية ص(٩٦) والشاهد في "جنح" في الطرائف الأدبية (٨٣) باختلاف في الرواية والشاهد في "شطف" في الشعراء الشاميون (٥٣) باختلاف يسير في الرواية وكذا الشاهد في "فشغ" ص(٥٣) باختلاف في الرواية والشاهد في "نوف" كذلك ص(٦٣) باختلاف في الرواية.

٣٠- ابن الزبعرى

جججح – روح– ورد

الشاهد في "جججح" نسبه الزمخشري إلى ابن الزبعرى وهو لأمية بن أبي الصلت انظر "أمية" والشاهد في "روح" في د/٢٩ باختلاف في الرواية وهو في البداية والنهاية ١٣٢/٤ كرواية الديوان والشاهد في "ورد" في د/٥١.

٣١- ابن شعواء الفزاريّ

جدي

٣٢- ابن عضاة

تبن

٣٣- ابن عَنّاب

وجى

الشاهد في التاج واللسان (وجى) دون نسبة وابن عناب: هو حُريث بن عناب النبهاني الطائي شاعر إسلامي أموي مقل انظر الخزانة (٥٨٨/٤) وربما كان هو الأعور النبهاني انظر الأعور النبهاني والاختلاف في اسمه.

٣٤- ابن عَنْقاء الفزاريّ

رغد – لحظ

عبد قيس بن نجوة أخو بني مازن بن فزاره "نوادر المخطوطات، ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه لابن حبيب" ص٣٠٩.

قيس بن بجرة وعنقاء أمه عاش في الجاهلية دهراً وأدرك الإسلام كبيراً وأسلم وقيل عبد قيس... عن "معجم الشعراء" للمرزباني ص(١٩٩) الشاهد في "لحظ" أورده الزمخشري منسوباً إلى عبد قيس بن بجرة.

ابن فسوة

انظر عتيبة بن مرداس.

٣٥- ابن القمقام

لوذ

٣٦- ابن قيس الرقّيات

روق- شعو- صنف- عقل- غسق- قتل- قدو- قصع

الشاهد في "غسق" ورد منسوباً إلى ابن قيس دون تحديد وهو في اللسان "غسق" لابن قيس الرقيات والشاهد في (روق) في د/١٧٥ باختلاف في الرواية.

ابن كراع

انظر سويد بن كراع.

٣٧- ابن مالك العيني

عضر

٣٨- ابن مُطير

رفف[١]

(١) د/٤٨

٣٩- ابن مفرّغ

دنر[١]- كفر[٢]- لبس[٣]

(١) د/٢٣٤ عن الأساس (٢) د/١٣٨ باختلاف في الرواية (٣) د/١٦١.

٤٠- ابن مقبل

أني- بجس- بذأ- بهج- بوب- تبع- ترة- تلو- ثرى- ثمر x- جدع- جذو- جنب- جهل- حجج- حدج- حذو- حرز- حفل- حوط- حيف- خفر- خلو-

خيل- دثر- دلق- ذخر- ذنب- ذود- ذوق- ذيل- رأى- رخو- ردي- رسس- رفع- ركض- رويد- سرق- سطر- سمع- سمر- سمن- سير- شور- صحح- صلل- صند- صنع- صنف- صهل- صوغ- ضأن- ضفو- طلو- طوع- ظلم- ظهر- عذق- عطف- عود- عود- عين- غدو- غمد- فتر- فضل- قبل- قتل x- قدم- قطو- قند- قود- قوس- كهل- لحف- لحم- لدم- لزز- لصق- لطم- مدد- مرح- مصع- ملل- منح- نبذ- نزع- نشش- نقذ- نمر- نهي- نوم- هرت- وقص- ونى- يسر.

في "جذو" بيتان أولهما نسبه إلى ابن مقبل وثانيهما ساقه دون نسبة وهو في د/٥٦

كأن خصيف الجمر في عرصاتها مزاحف قينات تحاذين اثمدا

الشاهد في "حفل" في ديوان الراعي للراعي ص(٤٦) والشاهد في "هرت" هو الشاهد نفسه في "ظلم" انظر "زهير بن أبي سلمى" خوف.

٤١- ابن مولى المدني

قلب

محمد بن عبدالله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار شاعر مضيف أسنّ حتى ألحق الدولة العباسية عن معجم الشعراء للمرزباني ص(٣٤٢).

٤٢- ابن ميادة

أفك - بهر- ترس- حرج- درس- ذمم- سور- شطن- ضول- قرد- ملأ- منن- نحر- وعد.

الرماح أو رماح بن أبرد بن ثوبان وميادة لقب أمه ت بين ١٣٦ و ١٤٦ هـ "عن الديوان".

الشاهد في "أفك" في د/١٨٢ والشاهد في "بهر" في د/١٣٥ باختلاف في الرواية والشاهد في "ترس" في د/١٤٧ والشاهد في "حرج" في د/١٧٧ والشاهد في "درس" ساقها الزمخشري في "قنع" دون نسبة وهي في ديوان ابن ميادة (١٧٩) باختلاف في الرواية والشاهد في "ذمم" في د/١٧٣ والشاهد في "سور"

في د/١٥٦ والشاهد في "سُطن" في د/٢١٣ باختلاف في الرواية والشاهد في "ضول" في د/١٨٧ باختلاف في الرواية والشاهد في "قرد" ينسب إلى ابن ميادة أو إلى ملحة الجرمي أو إلى عدي بن الرقاع انظر ديوان ابن ميادة (٢٥٥) والشاهد في "ملأ" في د/١٢١ والشاهد في "منن" في د/٢١٤ والشاهد في "نحر" في د/١٥٦ والشاهد في "وعد" في الديوان (١١٢).

انظر "ذو الرمة" "جسر" و"ابن الدمينة" "خيس".

٤٣- ابن نعيم

بدل

الشاهد في اللسان "مذر" لـ "شوّال بن نعيم" وفي "بدل" لـ "الشوّال بن نعيم" وقال أنشده يعقوب في الألفاظ. والشاهد في التاج "بدل" دون نسبة باختلاف في الرواية وهو في "مذر" لـ "شوال بن نعيم" وفي "شول" ذكر "وسالم بن شوّال بن نعيم المكّي تابعي".

٤٤- ابن هرمة

بلع - حور- درج- رهق- شرر- ضلع- طرق- طنب- عبر- عطب- غبب- فصح- قطم- كرس- لبأ- مزح- نخس- هدر- هدم- وعث.

٤٥- أبو أسامة

وقف

روي الشاهد منسوباً إلى أبي أسامة دون تحديد وهو أبو أسامة الجشمي" معاوية بن زهير شاعر فارسي مخضرم والشاهد له في الاختيارين ص٢٦٢ باختلاف في تبسيط في الرواية.

٤٦- أبو الأسود الدؤلي

دمل - كسو

البيتان في "دمل" و"كسو" وردا منسوبين إلى أبي الأسود دون تحديد البيت في "دمل" في اللسان لأبي الأسود دون تحديد وفي التاج قال: قال أبو الحسن

وهو في ديوان أبي الأسود ص/٨٥ وذكر المحقق أنه في حماسة البحتري ص/١٤٩ لأبي الأسود الكناني، والشاهد في "كسو" لأبي الأسود الدؤلي في وفيات الأعيان ٥٣٨/٢ ومختار الأغاني ٣٩٤/٤ وفصل المقال ٣٦٨ وديوانه ٤٢ باختلاف في الرواية.

٤٧- أبو الأسود العجلّي

قشو – متع

٤٨- أبو بثينة الباهلي

نجو

كذا ورد وهو تصحيف "الصاهليّ" فالشاهد لأبي بثينة الصاهلي من هذيل ثم القُرمي يهجو سارية بن زنيم في شرح أشعار هذيل ٧٣١,/٢

٤٩- أبو بكر الصديق

سفو

٥٠- أبو تمام الطائي

حرب- رفف- تمهل- نأد

الشاهد في "حرب" نسبه إلى الطائي دون تحديد وهو لأبي تمام في مديح الحسن بن رجاء والشاهد في "رفف" نسبه إلى الطائي دون تحديد وهو عجز بيت من قصيدة لأبي تمام يمدح مالك بن طوق التغلبي ديوانه ١٩١,/٣

٥١- أبو ثمامة بن عازب الضبيّ

شغف

من شعراء الحماسة اسمه البراء شاعر جاهليّ مقل فارس" عن ديوانه الحماسة مصورة عن طبعة مصر شرح محمد عبدالقادر الرافعي "٢٥٥/١".

٥٢- أبو جنب الهذليّ

رمى – نشر

أبو جندب بن مرة القِردي من شعراء هذيل عن ديوان الهذليين القسم الثالث ٨٦.

٥٣- أبو الجهم الجعدي

قبص

٥٤- أبو الحسن

روق

٥٥- أبو حمزة الصوفي

دوح

محمد إبراهيم في كبار شيوخ الصوفية ت (٢٩٦) هـ عن "المحمدون من الشعراء" ص١١٩.

٥٦- أبو حيّة النُّميري

رقل – ظفر – قصب – كرم

الهيثم بن الربيع توفي سنة بضع وثمانين ومئة في رواية البغدادي" عن الديوان ورد الشاهد في "رقل" منسوباً إلى الهذلي انظر الهذليّ "رقل".

٥٧- أبو خِراش

جرض – حتم – ذلق – ربل – رحم – رفو – فرن – كهل – هدى.

خويلد بن مرة شاعر مخضرم عن الخزانة (٢١٢/١).

الشواهد في "جرض" و"حتم" و"ذلق" و"رحم" و"فرن" وردت منسوبة إلى الهذلي دون تحديد فانظرها هناك.

٥٨- أبو دَهبَل

كنن

وهب بن زَمَعة بن أسيد بن جمح.

٥٩- أبو دؤاد

بعق- تمم- ثعب- حضر- رذي- زرر- شجو- شمم- صعلك- غرث- فهد- قرم- قسس- قصب- قوت- كبب x- لذع- لوث- مره- وتد- يسر.

جارية بن الحجاج وقيل غير ذلك وذكر في المؤتلف والمختلف (١١٦) أبو الايادي واسمه "جويرية بن الحجاج" وانظر ديوانه ففيه ذكر لأسماء أخرى. الشواهد في المواد كلها تقريباً ساقها الزمخشري منسوبة إلى أبي دؤاد دون تحديد.

الشواهد في "دبق- تمم- ثعب- شجو- شمم- صعلك- غرث- فهد- مرة- وتد- يسر" هي في ديوان أبي داود الايادي في "٣٢٨- ٣٣٩-٢٩٥-٣٤٨- ٣٣٤- ٢٩٨- ٣٥٢- ٣٠٣- ٣٢٣- ٣٠٧- ٢٩٣".

والشاهد في "شمم" ذكر في هامش الديوان:" أن صاحب الأساس وهم في نسبة هذا البيت إلى أبي داود الايادي ويرجح نسبته إلى أبي دؤاد الرؤاسي" وهو في القصيدة الميمة المنشورة في مجلة المورد العراقية السنة الثامنة العدد الثالث ص٢٨٢ لأبي دواد الرؤاسي.

والشاهد الثاني في "ذكر" ومطلعه/ أوف ما رقب.../ في الديوان ٣١٩.

أبو ذؤيب

جرس- جزر- جمل- حذق- حيف- خرم- خلس- ذأب- ذبح- ذمي- ربث- رغم- زيت- سمج- سمل- سوح- شرب- شرج- شمع- شوى- شيح- صيد- ضمد- طأطأ- طرح- طنف- عذر- عرض- عرف- عقب- عوق- فحش- فلج- قبب- قرح- كدس- كشح- مري- مشج- نبل- نجس- نزح- نطل- نفض- نوب- نيل- وشح- يبس.

٦١- أبو الرُبيس

بتر – خنز

الشاهدان في "شوى" و "ضمد" لم ينسبهما الزمخشري إلى أبي ذؤيب وإنما إلى الهذّلي" شوى" و"ضمد".

عبادة بن طهفة المازني وأورد البغدادي في الخزانة ٥٣٤/٢ عن صاحب الجمهرة اسمه: عبادة بن الثعلبيّ المازني وفي التاج "ربس" ذكر: "وأبو الربيس عباد بن طهمة بالميم في التكملة وتبعه الفيروز آبادي، وذكر الحافظ: طهفة.... الثعلبي وذكر أن رواية اللسان: التغلبيّ تصحيف".

الشاهد في "بتر" في التاج والشاهدان في "بتر" و"خنر" في اللسان "بتر" وساق الشاهد في "خنز" في اللسان "خنز" دون نسبة.

٦٢- أبو زُبيد الطائيّ

برد- جدع- جوب- خير- سرو- سوأ- صلي- علق- عول- غمس- قرس- قسو- كلل- نظر- نقد- وتر- ولي- وهم.

المنذر بن حرملة أو حرملة بن المنذر.

الشواهد أوردها الزمخشري لأبي زبيد دون تحديد سوى الأبيات في "عول- قسو- كلل".

الشاهد في "جوب" في الخزانة ١٥٣/٢ لأبي زبيد الطائي والشاهد في "سوأ" لأبي زبيد الطائي في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٦٠٤ والشاهد في "علق" لأبي زبيد الطائي في اللسان (حمر) والشاهد في "قرس" لأبي زبيد الطائي في معجم الأدباء ٢٠٣/١٠ وكذا الشاهد في "نظر" فيه ٢٠٢/١٠ والشاهد في "غمس" في لسان العرب "غمس" لأبي زيد وذكر عبدالسلام هارون في "تحقيق لسان العرب" مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ج ٢٦ ص١٢٠ أن البيت لأبي زبيد الطائي وهو في ديوانه ص٤٥.

- أبو السوداء العجليّ

شيح

البيت غير منسوب في الأساس ومطلعه "إذا سمعن الرّز من رباح..." وهو لأبي السوداء العجلي في اللسان "شيح".

٦٣- أبو شأس

روى

الشاهد في اللسان "روى" دون نسبة.

٦٤- أبو شجرة

غطل

عمرو بن عبد العُزى بن عبدالله بن رواحة من سُليم عن "نوادر المخطوطات، كذا "الشعراء" لابن حبيب "٢٨٤" وفي الأعلام ١١٩/٣ سليم بن عبد العزّى بن عبيد السُّلمي أمه الخنساء الشاعرة وذكر الزركلي في الحاشية (١) أنه في الكامل للمبرد ١٨٦/١ "عمرو بن العُزَّى" وقال الطبري اسمه: سليم بن عبد العُزَّى وهو في الإصابة سليم أيضاً" ١هـ.

٦٥- أبو صخر الهذلي

جمر- دعب- طوس- وهب

عبدالله بن مسلم بن سهب الهذليّ في "معجم الشعراء في لسان العرب" وفي الأعلام ٩١/٤ عبدالله بن سلمة وذكر في الحاشية "وفي اسم أبيه خلاف منشأه التصحيف".

أبو صعترة البولانيّ

نتج

ورد البيت منسوباً إلى الحماسي وهو في الحماسة شرح المرزوقي لأبي صعترة البولاني- انظر الحماسي (نتج).

٦٦- أبو طالب

حفر- رفف- سيح- نضح- نوط- هلك.

عبد مناف بن عبد المطلب بن هشام – الشاهد في "حفر" في سيرة ابن هشام ٣٧٨/١ والشاهد في "نضح" في اللسان "نضح" والشاهد في "هلك" في سيرة ابن هشام ٢٩٥/١ والخزانة ٢٥٨,/١

٦٧- أبو الطمحان القينيّ

سرق- قهو- قيأ- ملح.

حنظلة بن شرقيّ أحد بني القين من قضاعة وقيل في اسمه ونسبه ربيعة ابن عوف بن غنم بن كنانة بن القين" الأعلام ٢٨٦,/٢

٦٨- أبو الطيب المتنبيّ

سر- سعط

٦٩- أبو عبيدة

خلج

معمر بن المثنى والشاهد في بغية الوعاة ٢٩٥/٢.

٧٠- أبو عبيد السلامي

سنن

كذا ورد الشاهد منسوباً إلى أبي عبيد والشاهد من قصيدة لعبيدة بن عبد العزى السلّامي ابن عم الشنفرى وهو شاعر جاهلي عن "قصائد جاهلية نادرة" ١٣٠.

٧١- أبو العميثل

حرز

عبدالله بن خُليد بن سعد "عن الأعلام ٨٥/٤" وفي الخزانة ٢١٠/٢ أبو العميثل عبدالله بن خالد.

٧٢- أبو العلاء المعرّي

نبط

٧٣- أبو العيال الهذليّ

زحف – قوس

ابن أبي عنترة أو ابن أبي عنبر وهو أحد بني خُناعة بن سعد بن هذيل مخضرم عُمّر إلى خلافة معاوية، عن الأغاني "١٩٧/٢٤".

٧٤- أبو الغريب النّضريّ (البصريّ)

جذو – رنح

نسب الزمخشري الشاهد في "جذو" إلى أبي الغريب النّضري وهو في اللسان "جذا" لأبي الغريب النصري وكذا في التاج أما في "ورنح" فقد نسبه إلى أبي الغريب البصرّي وهو في اللسان "زنح" لأبي الغريب دون تحديد وكذا في التاج.

وأبو الغريب أعرابي له شعر قليل أدرك الدولة الهاشمية "عن خزانة الأدب "٣٢٥/٢".

أبو الغول الطّهوي

هدن

الشاهد ورد منسوباً إلى الحماسي انظر الحماسي "هدن" وأبو الغول أحد بني طُهيّة ويقال لهم بنو عبد شمس بن سود وكان يُكَنَّى أبا البلاد ولم يقف البغدادي على كونه إسلامياً أو جاهلياً انظر الخزانة ١٠٨/٣ وذكر التبريزي في شرح الحماسة ١٤/١ أنه إسلامي وكذا ياقوت في معجم البلدان "وقبى".

٧٥- أبو قدامة الطائي

نشأ

٧٦- أبو قلابة

صون

البيت في اللسان "ضرس" لأبي قِلابة الهذّلي وكذا في ديوان الهذليين القسم الثالث ص(٣٢) وأبو قلابة هو الحارث بن صعصعة أو عويمر بن عمرو جاهلي قديم عن "معجم المرزباني" ,٧٥

٧٧- أبو قيس بن الأسلت

جمع – سعى

الشاهد في "جمع" ورد في اللسان "جمع" والتاج "جمع" منسوباً إلى "قيس بن الأسلت السّلميّ باختلاف في رواية الصدر وهو في القصيدة "٧٥" من المفضليات لأبي "قيس بن الأسلت" وهو في القصيدة "٧٥" من المفضليات وأبو قيس اسمه صيفي

وقيل الحارث وقيل عبدالله وقيل صرفة وقيل غير ذلك وفي إسلامه خلاف "وقال صاحب الأغاني: والأسلت لقبه واسمه عامر بن جشم وهو شاعر من شعراء الجاهلية" انظر خزانة الأدب "٢/٤٧-٤٨".

٧٨- أبو قيس بن صرمة

رويد

في سيرة ابن هشام ١٥٧/٢: أبو قيس صرمة بن أبي أنس وانظر الإصابة ١٨٤/٢ فهناك اختلاف في اسمه أهو أبو قيس صرمة بن أنس أو ابن أبي أنس ابن صرمة وذكر أنه من بني النجار وفي الاشتقاق لابن دريد: من الخزرج صحب النبي ﷺ (٤٥١)/ وفي الأعلام ٢٩١/٣: شاعر مخضرم" وذكر له المبرد في التعازي والمراثي أبياتاً انظر ص(٤٥١) /١٢٥/.

٧٩- أبو كبير الهذّلي

حرق – فرش- هبل- هجل- وذل

ورد الشاهد في "وذل" منسوباً إلى الهذّلي انظر الهذلي "وذل".

اسمه: عامر بن الحلُيس من بني سهيلي وقيل: أدرك الإسلام وأسلم "الأعلام ٢٥٠/٣".

أبو المثّلم الهذليّ

فقح

ورد الشاهد منسوباً إلى الهذّلي انظر الهذلي "فقح" وهو شاعر جاهلي.

٨٠- أبو محمد الفقعسيّ

بتت

أبو محمد الحذلمي نسبة إلى حذلم بن فقعس عن مجالس ثعلب ١٥٥/١.

وعبدالله بن الربعي عن اللسان "جلا" وفي كنى الشعراء ٢٩٤ عبدالله بن ربعي الجذاميّ أبو محمد وفي الجمهرة ٢٥/١ أبو محمد الفقعسي واسمه عبدالله ابن ربعي،

وفي السمط ١٤٨/١ ذكر الميمني: رأيت له شعراً لما هزم خالد رضي الله عنه بني أسد مع طليحة بن خويلد فالظاهر أنه مخضرم.

٨١- أبو مُكعت الأسديّ

بور

ذكر في الإصابة ١٨٣/٤... الفقعسيّ وتقدم أنه اسمه عرفطة بن نضلة وقيل الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن الأشتر. وضبطه ابن ماكولا تبعاً للدراقطني "أبو مُكعت" اهـ.

وفي كنى الشعراء لابن حبيب ص٢٨٢: منقذ بن خنيس بن سلامة.

٨٢- أبو المنجم

نعل

كذا ورد وربما كان أبو النجم والشاهد غير موجود في ديوان أبي النجم ولم أعثر عليه.

٨٣- أبو النجم

أسد- افق- بخل- بقل- بهي- بوق- تنأ- توم- ثجل x- جبن- جذب- جرب- جنن- جهض- حثى- حدق- حشو- حنق- حيي- خبل- خرع- خضل- خنق- خوض- خول- خوي- ذرع- ذكر- ذوق- رفق- ركل- رمل- سخم- سدي- سمط- سنن- شرب- شظي- شيح- صبب x- صقل- صوب- صوم- طبل- طعم- طلس- طوح- طير- ظمأ- عتق- عرف- عشب- عصر- عصي- عطر- عمج- غرب- غشش- غضب- غمد- غمض x- فلل- فيل- قبل- قطر- قطب- قول- كحل- لطم x- لقط- مشط- ملس- موتx- نبأ- نحت- نصو[1] - هشش- هيب- ورد- وعد.

٨٤- أبو نُخيلة

تنأ- حنك- سبر- سته- عري- عطو- نقي.

---

(١) الشاهد الثاني في (نصو) ذكر قبله وقال أيضاً.

قال البغدادي في الخزانة ٧٩/١ أبو نخيلة اسم الشاعر لا كنيته وكذا في الأغاني وقال ابن قتيبة اسمه يعمر ويكنى أبا الجنيد وأبا العرماس وغلب على شعره الرجز.
وفي كنى الشعراء لابن حبيب ٢٨٣ أبو نخيلة السعدي وهو اسمه وكنيته.

٨٥- أبو نواس

اهب – شحم- قتب

٨٦- أبو الهندي

وضر

من مخضرمي الدولتين اختلف في اسمه فقيل غالب بن عبدالقدوس، ومثل عبدالمؤمن، وقيل أزهر، وقيل عبدالسلام عن فوات الوفيات ١٦٩/٣ وفي كنى الشعراء لابن حبيب اسمه أزهر بن عبدالعزيز.

٨٧- أبو وَجْزة

بقل- تبع- ترح- خضم- دعو- ربع- رقص- رمد- ربع- سبع- سبغ- صند- طرف- طمر- عنن- غمل- غمم- فظع- قطط- قطم- قلب- نحر- نسب.
... السعديّ المدنيّ في التابعين واسمه يزيد بن عبيد وقيل ابن أبي عبيد شاعر مجيد ومحدث ومقرئ توفي ١٣٠هـ عن الخزانة ١٥٠/٢ ويقال ابن عبدالله عن "كنى الشعراء" ٢٨٤.
الشاهد في "سبع" ورد غير منسوب ومطلعه.
"وتسبغه يغشى المناكب ريعها" وهو لأبي وجزة في التاج "سبغ".

٨٨- أبو الوليد الكلابيّ

غرض

٨٩- أبو يوسف بن عمر الخزاعي

غطل

٩٠- أخت حجر بن عدي الكندي

عمد

عمة امرئ القيس ترثي حُجْراً أخاها

أخت عمرو

انظر كبشة

٩١- أم الحسين

ردد

ترثي أخاها

انتهى حرف الألف

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في الأُذَيْن

للدكتور محمد هيثم خياط

لأني من المعجبين بالأخ الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، بادرت إلى كتابة هذا التعقيب، خشية أن يسارع المعجبون به وهم كثر، إلى الاقتناع بما كتبه في العدد المزدوج (٢٨-٢٩) من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (ص١٤٢).

فقد قال حفظه الله في حديثه عن القاعدة التي تقضي بإلحاق علامة التأنيث في المصغّر الذي خلا أصله من العلامة: ومن الغريب أن المعاصرين قد جهلوا هذه القاعدة، ولذلك صغروا "أذن" على "أذين" فقالوا الأُذين الأيمن، والأُذين الأيسر، كما في الكتب المدرسية، وجعلوا هذا المصغر مقابلاً لبطين في قولهم البطين الأيمن والبطين الأيسر اهـ".

وأول ما أريد أن أنبه عليه، أن "الأذينة" التي يُرغِّب الأستاذ الفاضل في استعمالها هي عضو آخر غير "الأذين" فالأُذين atrium هو ذلك الجوف القلبي الذي يعلو البطين. وفي القلب أربعة أجواف أذينان وبطينان. ولكن تتصل بكل "أذين" من الأعلى والخلف "أذينة" auricula تشبه الأذن الصغيرة، وقد يقال لها "زائدة الأذين".

وأذنا القلب اللتان كان يتحدث عنهما اللغويون والأطباء العرب، ليستا باatria وإنما هما ال "auriculae" ففي كتاب خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت: "وفي القلب أذناه، وهما في ناحيتيه يشبهان بالأذنين" وأذنا القلب – في القاموس "زَنَمَتَان في أعلاه" وهما كذلك في قانون ابن سينا "زايدتان على فوهتي [القلب] كالأذنين..." (المقالة الأولى من الفن الحادي عشر من الكتاب الثالث ص٤١١ في طبعة رومية)... وهم [illegible] القلب..." (كامل

الصناعة الطبية لعلي بن العباس، ص١٠٨) ولم يكونوا قد شرّحوا القلب تشريحاً دقيقاً من الداخل ليعرفوا ال "atrium حق المعرفة، فهو لا يميز في ظاهر القلب وإنما تميز زائدتاه فحسب.

وليس يخفى أن كلمة "auricula" أحقُّ بكلمة "الأذينة" لأنها تصغير "auris" في اللاتينية ومعناها "الأذن". أما كلمة atrium التي حلت محل auricle (الإنكليزية) في التسمية التشريحية الحديثة فهي من اللاتينية، وهي صحن الدار الرومانية القديمة، تتصل به من هنا وهناك أجنحة وغرف وممرات، كما أنها أطلقت أيضاً على أي ساحة مفتوحة تحيط بها أروقة ذات عمد، وهي بَنِيَّة توجد عادة قُدَّامَ المعبد.

وقد وجد "المعاصرون" أن من الخير أن لا ينأوا كثيراً باللفظ المقابل لكلمة atrium عن اللفظة التي شاعت من قبل عند قدمائنا، ويؤدوا المعنى الجديد في الوقت نفسه، فاختاروا تصغير "الأَذِين" بفتح الهمزة وكسر الذال المعجمة) وهو المكان الذي يصل إليه الأذان، وهو الأُذن أيضاً، وهو مذكر يصغر تصغير ترخيم على أُذَيْن" (بضم الهمزة وفتح الذال المعجمة).

وبعد، فقد أشار الأستاذ الفاضل في حاشية الصفحة الآنفة الذكر من مقاله القيم، إلى أن إلحاق علامة التأنيث في المصغر الذي خلا أصله من العلامة "قاعدة شاملة عامة في العربية، وأنه لم يقف على الشواذ منها إلا على كلمة "قوس" وهي مؤنثة من غير علامة ولم يسمع تذكيرها. ولكنهم قالوا في تصغيرها قويس ولم يؤثر عنهم قويسة".

ولأمر ما اختار الأستاذ هذا المجال. وإلا فالقوس – كما الجوهري– "يذكر ويؤنث، فمن أنث قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس". وفي العربية كثير من الأمثلة على مؤنثات لا تؤنث مصغراتها، يحضرني منها الآن أربعة:

١- الدرع "وتصغير الدرع: دُريع بغير هاء على غير قياس لأن قياسه بالهاء، وهو أحد ما شذ من هذا الضرب. ابن السكيت: هي درع الحديد" (اللسان: درع) على انه قد ورد تذكير الدرع فحكى اللحياني: درع سابغة ودرع سابغ، وقال سابغ، وقال أبو الأخرز:

مقلصا بالدرع ذي التغضن يمشي العِرضنْي في الحديد المتقن

٢- الضحى، "والضحى أنثى وتصغيرها بغير هاء لئلا يلتبس بتصغير ضحوة (اللسان: ض ح ي) وأنشد للنابغة الجعدي:

كأن الغبار الذي غادرت ضُحَيّا دواخن من تنضب

الشاهد فيه تصغير ضحى على ضُحَىّ، وكان القياس أ، تصغر بالهاء لأنها مؤنثة، إلا أنهم صغروها بغير هاء لئلا تلتبس بتصغير ضحوة" (شرح الشواهد، حاشية الصفحة ١٣٨/٢ من كتاب سيبويه).

٣- الناب، وتصغير الناب من الإبل – وهي مؤنثة- نُبَيْب بغير هاء... فيقال سميت لطول نابها فهو كالصفة فلذلك لم تلحقه الهاء، لأن الهاء لا تلحق تصغير الصفات..."

٤- العروس، "وفي حديث ابن عمر أن امرأة قالت له إن ابنتي عُرَيِّس وقد تمعط شعرها، هي تصغير العروس ولم تلحقه تاء التأنيث وإن كان مؤنثاً لقيام الحرف الرابع مقامه"

وفي الأمثلة الثلاثة الأخيرة تعَلّات ثلاث: "عدم الالتباس" و"شبهة الصفة" و"قيام الحرف الرابع مقام التأنيث" فإذا كانت التَعِلّة الأولى معتبرة، وهي كذلك إن شاء الله، فما كان أحرى أن تصغر "الأذن" على "أذين" لئلا تلتبس بتصغير "أذنة" وهي خوصة الشمام، وواحدة التبن، والشهوة.

ومعذرة لأخي الأستاذ إبراهيم وشكراً، فقد أتاح لي فرصة لرفع بعض الملام عن أصحابنا

تساؤلات

للأستاذ حسن الكرمي

لندن

(٣)

ذكرت في العدد السابق لمجلة المجمع الموقر أن صيغة (أفعل) من الألوان تأتي من الفعل (فَعِل يَفْعَل فَعَلاً). وقلت في التمثيل على ذلك:

(زَرِق، يزرَق، زَرَقا) فهو أزرق

و (خَضِر يَخْضَر خَضَراً) فهو أخضر

و (سَوِد يَسوَد سَوَداً) فهو أسود

وقلت إن المعاجم لم تذكر اشتقاق أبيض وأحمر وأصفر وما كل شيء تذكره المعاجم. وتقول المعاجم بحسب هذه القاعدة.

(أَدِم يأدَمِ أدَماً) فهو آدم

و (بَقِع يَبْقَع بَقَعاً) فهو أبقع

و (بَقِع يَبْقِع بقَعاً) أبقع

و (دَعِج يَدعَج دَعجاً) فهو أدعج

و (حَوِر يَحْوَرَ حَوَراً) فهو أحور

و (حَوِيَ يَحْوِي حَوىً) فهو أحوى

و (دَلِم يَدْلَمُ دَلَماً) فهو أدلم

وهكذا في: أصدأ وأقنى وأجهد وأشمط وأكدر وأكمل واعْفَر وأنمش، وأكلف وأسحم وأغد وغيرها، وجميع هذه مشتقة من الصيغة ذاتها، والمعاجم تذكر هذا الاشتقاق.

ولكنها لا تذكر اشتقاق أحلك، وأغبر. وأغبس وأدبس وأدهم وأرقط وأريش وأرقش وأربد وأغبش وأرهم وأكحل وأدجن وأحمّ وأرمد وأسخم وأجأى وغيرها. وكان يجب ذكر وأدجن وأحمّ وأربد وأسخم وأجأى وغيرها. وكان يجب ذكر صيغة الفعل لكل من هذه الألوان. وأي معجم جيد يجب أن يشتمل

ونخرج من كل ذلك بأن (أفعل) من اللون هي من صيغة (فَعِل يفعَل فَعَلاً) لا غير، وأية صيغة أخرى يجب أن لا تكون صحيحة. وانظر الآن إلى الصيغ التالية الموجودة في المعاجم.

(سَمُر يِسمُر سُمْرة) فهو أسمر. وفي قول آخر (سَمِر يِسْمُر سُمْرةً)

(حَلِكِ يَحْلَك حَلَكاً) فهو حالك (بدلاً من أحلك)

و (كَهِب يَكْهَبَ كَهَباً) فهو كاهب (بدلاً من أكهب)

و (جان يَجونُ جَوْناً) فهو أجون

و (جَأى يَجْأى جُؤةً) فهو أجْوأ (بدلاً من أجْأى) وبدلاً من (جَئي يَجْأىَ جأى)

و (حَلِك يَحْلَك حَلَكاً) فهو حالك (بدلاً من أحلك)

و (رَمُك يَرْمُك رُمْكَةً) فهو أرمك

و (خَضِب يْخضَب خُضوباً) بدلاً من (خَضِبَ يَخْضَبُ خَضبَاً) ولا ذكر في المعاجم لصفة (أخضب)

و (كَمِد يِكْمدَ كَمَداً) فهو كامِد (بدلاً من أكمد لِلّونِ)

و (كمِت يَكمْتَ كَمَتاً) فهو أكمت (وهذا الفعل غير موجود)

و "طَلُسَ يَطْلُس طُلْسَةْ وطَلساً) دون ذكر أطلس

و (قَهب يَقْهَب قَهَباً) فهو قهّب (بدلاً من أقهب)

والقصدَ من ذلك كله (١) جميع الألوان تكون على صيغة (فَعِل يَفْعَل فَعَلاً) وما خالف ذلك فهو غلط.

و (٢) أي فعل يخالف ذلك يجب تصحيحه، وإذا لم يذكر فيجب ذكره. وعلى هذا يجب أن تقول: (بَيِضَ يَبْيَض بَيَضاً).

و (حَمِر يَحْمَر حَمَراً)

و (صَفِر يَصْفَر صَفَراً)

و (سَمِر يسْمَرُ سَمَراً)

و (جَوِن يَجْوَن جَوَناً)

وقد اقتصر على هذا الوزن في الألوان الجوهري وابن سيده وابن القوطية وابن القطّاع.

استدراك وتعليق على كتاب
"حروف الممدود والمقصور" لابن السكيت المتوفى ٢٤٤هـ تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود

للدكتور رياض حسن الخوام
جامعة أم القرى

هذا الكتاب يُعد واحداً من الكتب الكثيرة التي أُلِّفت في هذا الجانب اللغوي الواسع، ومؤلفه غني عن البيان والتعريف عند المشتغلين بعلوم العربية، ولا شك أن محققه الفاضل قد بذل عناء شديداً حتى تم له إخراجه ونشره، ذلك أن المخطوط وحيد وقد كتب بخط نسخي غير متقن[١] غير أن ثمة ملحوظتين هامتين – فيما أعتقد – أود الإشارة إليهما:

الأولى: أن هناك نصين قد سقطا من الكتاب المحقق، أوردهما السيوطي في مزهره منسوبين لابن السكيت في كتابه هذا، قال السيوطي:

أ) "وفي كتاب المقصور والممدود لابن السكيت، قال أبو عبيدة: فقال فقيه العرب: من سَرَّه النَّسَاء – ولا نَسَاءَ – فليبكر العشار وليباكر الغداء وليخفف الرداء وليقل غِشيان النساء[٢]

ب) "وقال ابن السكيت في كتاب المقصور والممدود: قال الأصمعي: لم أسمع فَعَلَى إلا في المؤنث. إلا في بيت جاء لأمية بن أبي عائذ في المذكر،

كأني وَرحْلي إذا رُعْتُها على جَمزَى جازِئٍ بالرمال[٣]

---

(١) الممدود والمقصور، لابن السكيت، ٢٣
(٢) المزهر، السيوطي ١/
(٣) المزهر، السيوطي ط/٧١.

الثانية: أن نصوصاً وردت في الكتابين، غير أن نصوص المزهر فيها زيادات على تلك التي وردت في كتاب ابن السكيت، والمحقق لم يقم بالتعليق على ذلك مع كونه عالماً بذلك، نعتقد ذلك لأمرين:

أ) أنه حين قام بتوثيق نسبة الكتاب لابن السكيت ذكر أسماء الذين نصوا في كتبهم على تأليف ابن السكيت لكتابه هذا، وأنهى بقوله: وأنهى ذلك بقوله: وفي المزهر نقول منه تتفق مع ما جاء في كتاب المقصور والممدود[1]

ب) أنه أحال إلى كتاب المزهر في أكثر من موضع، وأكمل منه بعض السقط الذي وجد في المخطوط كما سنبين ذلك مما سيأتي.

ومهما يكن من أمر فإنّ ما يغنينا أن المحقق لم يعلق على هذه الزيادات بشيء، وها نحن نورد نصوص الكتابين مقارنين فيما بينها لنتبين ذلك، قال السيوطي:

أ) قال ابن السكيت في المقصور والممدود: كل ما كان من حروف الهجاء على حرفين الثاني منهما يُمَدُّ ويُقْصَرُ من ذلك: الباء والتاء والفاء والطاء والظاء والحاء والخاء والراء والهاء والياء[2].

أما ما ورد في كتاب ابن السكيت المحقق فنصه: كذلك كل حروف الهجاء ما كان منها على حرفين الثاني منها ألف يمد ويقصر[3] والمقارنة السريعة بين النصين تظهر تلك الزيادة الواقعة في نص المزهر تلك التي لم نجد تعليقاً عليها من قِبَلِ المحقّق.

ب- وفي المقصور والممدود لابن السكيت، يقال: بغلةٌ سفْواءٌ إذا كانت سريعة، قال أبو عبيدة: ولا يقال من هذا للذكر أسْفَى، ويُقالُ: بَعيرٌ عَيَاءٌ إذا كان لا

---

(١) الممدود والمقصور لابن السكيت ٢١

(٢) المزهر ٢/ ١٠٢.

(٣) الممدود والمقصور، ابن السكيت ١١١.

يحسن الضرّاب ولا يقال في الناس[1] والذي ورد من هذا النص كله في كتاب ابن السكيت المحقق هو "ولا يقال للذكر أسفى[2]" أما أول النص وآخره، ونسبة القول لأبي عبيدة فقد سقط كل ذلك دون إشارة من المحقق إلى ذلك.

ج) كلُ مصدر كان على مثال الفِعيِّلي مقصور لا يمد ولا يكتب بالألف نحو الهزِّيمي والخِطِّيمى والرميثى والرويدى، وزعم الكسائي أنه سمع المدّ والقصرَ في خصِّيصى وأمرهم فيضوضى بينهم، وقال الفراء لم أسمع أحداً من العرب يمد شيئاً من هذا ولم يجزه. ذكره ابن السكيت في المقصور والممدود[3] أما ما ورد في كتاب ابن السكيت المحقق فيتفق أوله مع نص المزهر، على الرغم من وقوع بعض الاختلاف – وسقط آخره كاملاً قال: اعلم أن كل مصدر على مثال فعيلي فهو مقصور ويكتب بالياء مثل الحضيضى مصدر حضضت[4] ثم راح يسوق ما كان على هذا الوزن دون ذكر لزعم الكسائي وقول الفراء اللذين وردا في نص المزهر.

د) قال ابن السكيت في كتاب المقصور والممدود: قال الفراء: ليس في الكلام فُعْلاء ساكنة العين ممدودة إلا حرفان: للقَوبَاءِ قَوْباء وللخُشَشَاء خُشَّاء[5].

وهذا النقل بنصه أورده ابن السكيت في كتابه وأشار المحقق في الحاشية إلى أن سقطاً قد وقع في المخطوط بعد: "قال" ثم قال: "لعله الفراء" واعتمد لإثبات هذا السقط على نص المزهر، ثم ذكر أيضاً أن نقصاً آخر قد وقع في المخطوط بعد كلمة: قوباء وقد أكمله أيضاً من نص المزهر[6] غير أن

---

(١) المزهر، سد ١/٤٤٠.
(٢) الممدود والمقصور، ابن السكيت ٩٦.
(٣) المزهر ٢/٢٠٢.
(٤) الممدود والمقصور ابن السكيت ٤٨
(٥) المزهر ٢/١٠٦.
(٦) الممدود والمقصور، ابن السكيت ٥٦ وانظر تعليق المحقق في الحاشية.

المحقق أغفل تتمة النص الذي أورده السيوطي منسوباً لابن السكيت في كتابه المقصور والممدود، فقد ذكر السيوطي بعد كلمة خشاء ما يلي:

قال: وليس في الكلام فِعَلاء (مكسورة الفاء مفتوحة العين ممدودة) إلا ثلاثة أحرف، السِّيَراء: ضَرْب من البرود ويقال: الذهب والحِولاء والكلام فيه بالضم والعِنَباء للعنب، قال وليس في الكلام فَعَلاء (بتحريك ثانيه وفتح الفاء) غير هذين الحرفين: السَّحناء: الهيئة لغة في السحْناء (بالسكون) ثأَواء لغة في ثأواء (بالسكون قال: وكل الأصوات مضمومة كالدعاء والرغاء والثغاء والعواء والمكاء: الصّفير والحداء والضغاء ضغاء الذئب، والزُّقاء: زقاء الديك إلا حرفين: النداء وقد ضمه قوم فقالوا: النُّداء، والغناء.[1] ويبدو أن المحقق قد ظَنّ أن نَقْلَ السيوطي من كتاب ابن السكيت قد انتهى عند قوله خَشَّاء لكني أعتقد أن النص كله منقول من كتاب ابن السكيت وذلك لثلاثة أمور:

أ) أن السيوطي أضاف بعد كلمة الغِناء التي انتهى النقل بها قائلاً: "وفي الصحاح قال الفراء"[2] مما يدل على أن ما سبق ذلك هو من كتاب ابن السكيت الذي ذكره في أول النص.

ب) أن الألفاظ الممدودة التي وردت في نص المزهر الدالة على الأصوات ذكرت في كتاب ابن السكيت المحقّق مع اختلاف بسيط في ترتيبها[3].

ج) أن سياق الكلام يدل على أن النص متكامل لا انفصام بين أوله وآخره.

وبعد: فهذا ما أردت بيانه وإيضاحه آملاً أن يتدارك المحقق الفاضل ذلك. والله من وراء القصد.

---

(١) المزهر، ١٠٧/٢.
(٢) المرجع السابق ٠٧/٢
(٣) انظر الممدود والمقصور ابن السكيت ٨٥.

أديب الشام الدكتور شكري فيصل

للدكتور نسيب نشاوي
جامعة عنابة

نعت الأوساط العلمية والأدبية والصحافة والإذاعة بدمشق وفاة أديب الشام الكبير الدكتور شكري فيصل عضو مجمع اللغة العربية بدمشق وعضو مجامع اللغة العربية في القاهرة والأردن وبغداد والهند، وأستاذ الدراسات العليا في جامعة دمشق والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعضو اتحاد الكتاب العرب.

توفي العلامة اللغوي الأديب المجمعي الدكتور شكري فيصل إثر عملية جراحية أجريت له في جنيف بسويسره مساء السبت في ١٤٠٥/١١/١٧هـ الموافق ١٩٨٥/٨/٣م وصلي عليه بالمسجد النبوي الشريف ووري جثمانه الطاهر بالمدينة المنورة يوم السبت في ١٤٠٥/١١/٢٤هـ الموافق ١٩٨٥/٨/١٠م. ففقد مجمع اللغة العربية عالماً باراً بأمته ورجلاً من رجال الأدب والفكر كان له فضل كبير في تخريج جيلين من الأدباء والجامعيين تابعوا نهجه في الاعتزاز بالتراث العربي الإسلامي والعمل على نشره وإحيائه.

وبدمشق (الشام) حيث ولد الأستاذ الفقيد تقبلت أسرته التعازي وكان لي شرف المشاركة في تقديم التعزية.

عرفتُ الدكتور شكري فيصل منذ نحو ثلاثين سنة، إذ كنا نسكن بالحي الذي يسكن فيه بدمشق وهو (حي العقيبة) وكانت أسرته وأبناء عمومته يقطنون هذا الحي أيضاً ويقع في قلب مدينة دمشق القديمة (الشام)، وعرف آنذاك بوداعته وجده ووجاهته وعلمه، إذ كنت أسمع مما يتردد بين رفاق الصبا أنه نشأ عصامياً ثقّف نفسه بنفسه وتفّوق على الأقران ثم سافر إلى مصر فدرس الماجستير والدكتوراه ونال المراتب الرفيعة. فصار قدوة أهل الحي، وما كنت أعلم أنني سأكون في يوم ما في

عداد طلابه بكلية الآداب بجامعة دمشق فقد كان أستاذاً فيها منذ مطلع الخمسينات وإذ ذاك كنا في المدرسة الابتدائية.

ولما دخلت جامعة دمشق عام ١٩٦٦م صرت أحد طلابه بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب ورأيت أن شهرته آنذاك قد طبقت الآفاق وملأت الوطن العربي، ودرست عليه سنتين، ففي السنة الأولى ألقى علينا محاضراته في مادة (الأدب الجاهلي) فكان يَحْدث لي ولطلابه ما يشبه النشوة أو الغيبوبة عن هذا العالم فنسبح مع الأدب الخالد وآفاقه وعواطفه وصوره: وتتجلّى لنا الحياة العربية القديمة بفطرتها السليمة وعواطفها البريئة ومباذلها الطريفة وخاصة حين تتكبّ على الغزل العذري أو المادي.. أو المفاخرة بالأحساب والأنساب والقوة الجسدية والنفسية.. ولم تزل اعتذاريات النابغة الذبياني لأبي قابوس ملك الحيرة ترنّ في سمعي إلى الآن ولا سيما قوله:

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسد

وما زلت أتبنّى رأيه في طه حسين الذي نفى كثيراً من الشعر الجاهلي في أن طه حسين أراد أن يعاكس التيار ليلفت النظر أولاً وليلقي صخرة كبيرة في مياه الأدب الراكدة في مطلع هذا القرن، ويتبّى منهجاً جديداً في معالجة النص الأدبي قائماً على الشك الديكارتي..

وأثمرت هذه المحاضرات بعض المطبوعات التي قدمها لنا عن **(طبقات فحول الشعراء)** لابن سلّام و (الشعر والشعراء) لابن قتيبة، وكتابين ألفهما – رحمه الله– أحدهما في دراسة (النابغة الذبياني) والآخر هو (تحقيق ديوان النابغة) صنعة ابن السكيت نشره ببيروت عام ١٩٦٦م. وطلب إلينا أيضا التركيز على كتاب (تطور الغزل في الجاهلية والإسلام) وهو من تأليفه أيضاً. ولم يقصر المقرر الجامعي على هذا فحسب فهناك كتاب (في الأدب الجاهلي) لطه حسين، طلب إلينا حفظه وحفظ جميع الردود التي تصدت له والمعركة الأدبية التي دارت رحاها حوله آنذاك

ولا سيما الصدام الذي وقع بين الرافعي وطه حسين وحركة التأليف التي نشطت إثره والتي أخرجت أخيراً الكتاب القيّم الذي صنعه الدكتور ناصر الدين الأسد تحت عنوان (مصادر الشعر الجاهلي) حيث أثبت صحة الأدب الجاهلي بشكل علمي دقيق..

أما الأستاذ العلامة أحمد راتب النفاخ فجعل آنذاك يلقي محاضراته حول سائر شعراء الجاهلية كشعراء المعلقات والشعراء الفرسان والشعراء الصعاليك.. وقد اختار لهم نصوصاً ذهبية جعلها في كتاب قيّم موثّق بعنوان **(نصوص مختارة من الشعر الجاهلي)** ليدعم مقرر الأدب الجاهلي الذي يحاضر فيه الدكتور فيصل.

إن ملاحظة حجم المادة التي كان يحاضر فيها الدكتور فيصل في الستينات يوحي بإخلاص هذا الرجل وسعة علمه وصدقه في تقديم منهاج شامل متكامل لطلابه الجامعيين، خصوصاً إذا عرفنا أن حجم الزمان المخصص للمحاضرة لا يعدو ساعتين أسبوعياً خلال عام دراسي، وإننا لنحنّ إلى تلك الأيام التي كان فيها التدريس الجامعي على هذا النحو.

في عام ١٩٦٨م وكنا نجحنا إلى السنة الثالثة بكلية الآداب سمعنا أن الدكتور فيصل قد عزم على السفر إلى الجزائر لتدريس الأدب العربي في جامعة الجزائر العاصمة فأدركت أنه ودع طلابه في أثناء امتحان (الأدب الإسلامي) قبل شهور إذ دخل علينا ونحن في قاعة الامتحان وسألنا عما نحتاج إليه لمعالجة أسئلة المقرر، ولم يكتف بل أخذ يتقدم إلى كل طالب في مقعده ويحييه بلطف ووقار مشيراً إليه أن اسأل عما بدا لك.. وتلك لحظات لا أنساها حين أطلّ عليّ وأنا في غمرة التفكير وسألني: هل السؤال واضح؟

وفعلاً أعارته جامعة دمشق إلى جامعة الجزائر ثلاث سنوات، وبقيت أتبادل الرسائل معه وما زلت أحتفظ ببعض ما أرسله إليّ من الجزائر. ولما تخرجت في جامعة دمشق كان قد عاد فصرت أزوره فيساعدني بتوجيهاته القيمة حول رسالة

الماجستير التي كنت أعدها بعنوان (لبيد بن ربيعة العامري حياتُه وشعره في الجاهلية والإسلام)، ثم صرت أزروه بمكتبه وهو أمين عام لمجمع اللغة العربية بدمشق.

ففي **حدود عام** ١٩٧٣م انتخب أميناً عاماً لمجمع اللغة العربية بدمشق فبدأ يخطط لمشروع علمي ضخم وهو نشر موسوعة (تاريخ دمشق الكبير) لابن عساكر، فاستعان بوزارة الدفاع السورية فأبدت استعدادها للمساعدة، وانتدب لهذا العمل فرقة من الباحثين في التراث عملوا بإشرافه وتوجيهه نحو خمس سنوات، فأخرجت المجموعة جزءاً من كتاب تاريخ دمشق الكبير عام ١٩٧٧م في ألف صفحة من القطع الكبير، وصار هذا الجزء نموذجاً للمحققين الذين دأبوا بعد ذلك على نشر بقية الأجزاء، وطالت الطريق على السائرين لأن كتاب ابن عساكر يتألف من ٥٦٠ جزءاً.. وهذا يعني أن المشروع سيحتاج إلى عشرات السنين.. وأخذ المجمع يفكر في هذا الشغل الذي أرهقه وأرهق الباحثين، ولكن عزيمة الدكتور فيصل كانت أشد من أن ينالها الوهن والرهق فأصرّ على متابعة ما خطط له.. وأصدر أجزاء أخر من الكتاب.. واضطر إلى ترك أمانة المجمع فبقيت شاغرة إلى أن قبلها العلامة الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب منذ عام ١٩٨١.

بين عام ١٩٧٠ وعام ١٩٨١م كان الدكتور فيصل في أوج نشاطه وعطائه وهو يعبر الخمسين إلى الستين من العمر (ولد عام ١٩١٨م) وكأن الأيام تزيده توقداً وحيوية، وهي حيوية كان يسكبها على التراث العربي الإسلامي فينبري لنشره وتشجيع حماته وأنصاره، يحاضر في عدة جامعات عربية في دمشق وبيروت وقطر والكويت وكأنما حببت إليه الأسفار فما أن يستقر حتى يرحل للتدريس أو المشاركة في المؤتمرات العربية والعالمية ونشر بحثه ومقالاته وكتبه وتحقيقاته وزيادة على ذلك هو عضو عامل في المجمع بدمشق وعضو بارز في مجامع القاهرة وبغداد والأردن والهند.. يشرف على لجنة إحياء المخطوطات ونشر التراث وعلى مجلة المجمع

بدمشق ويدافع عن العرب والمسلمين في المحافل دفاع الغيور القوي فلا يترك فرصة للنيل من أعدائهم، ولقد صبغ طلابه والباحثين من حوله بهذه الصبغة، فتخرجت على يديه نخبة استلهمت منه حب العربية وتراثها وإسلامها، ولعل أحداً لا يستغرب إذا قيل إن كثيراً من أساتذة اللغة العربية في الجامعات السورية من طلابه أو ممن تتلمذ عليه، تخرج على يديه جيل كامل من الأدباء والأكاديميين.. وما زال ذكره عطراً وذكرياته طيبة وما أظنها تموت.

حزّ في نفسه في عام ١٩٨١م أن أحيل على المعاش فخرج من هيئة التدريس بجامعة دمشق، وما واتاه جو المجمع اللغوي بدمشق لأنه أخذ يميل إلى نشر التراث العربي عامة.. فلم يعد المجمع يقصر همه على (تاريخ دمشق الكبير).. وتلقى بعض صدمات في أسرته ما أحبّ أن يفصح عنها.. فأكثر من الصمت، وتبيّن أنه بدأ يفكر بمجاورة رياض رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة فأمضى عقداً مع رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وسافر إليها أستاذاً للدراسات العليا منذ عام ١٩٨١م.. ولم يقطع صلته بمجمع اللغة بدمشق لأنه أحبه حباً عظيماً فصار يزوره في عطلة الصيف ويلتقي زملاءه فيه، كما لم يقطع صلته بالجزائر فكان يزورها أيام انعقاد (ملتقى الفكر الإسلامي) السنوي، وآخر ما عرفته الجزائر هو مشاركته في ذلك الملتقى في العام الماضي ١٩٨٤م وهي آخر مرة رأيته فيها وكان يجلس عالياً قرب سدة رئيس الملتقى.

ترك الدكتور شكري فيصل شواهد آبدة أذكت حركة نشر التراث العربي الإسلامي بسورية والعالم العربي، وأسهم في تنشيط الحركة الفكرية والثقافية العربية مع أمثاله من المصلحين، وزيادة على ذلك ألف كتباً جامعية في منهجية البحث الأدبي أو ما سماه (مناهج الدراسة الأدبية) ١٩٥١م وهو رسالة ماجستير قدمها إلى الجامعة المصرية عام ١٩٤٩م. ودرس حركة الفتوح الإسلامية في كتابه (حركة الفتح الإسلامي)، وحلل المجتمع العربي عقب انتشار الإسلام في كتابه

(المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري وتطورها اللغوي والأدبي) وهو رسالة دكتوراه، واعتنى بنشر التراث واختار منه شعراء الشام فاتصل بمجمع دمشق ونشر فيه كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء الشام) في (٣) أجزاء نشر الجزء الأول عام ١٩٥٥ والثاني عام ١٩٥٩ والثالث عام ١٩٦٤، وعني في هذه الأثناء بنشر ديوان أبي العتاهية محققاً وطبعه عام ١٩٦٤ بعنوان (أبو العتاهية أشعاره وأخباره) ثم ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكيت ١٩٦٨ ببيروت، ثم التفت إلى العناية بيسر الأعلام من العرب والمسلمين في المشروع الضخم الذي نوهنا به من قبل وهو تحقيق كتاب (تاريخ دمشق الكبير) جزء (عاصم- عايذ) ١٩٧٧، وجزء (عبدالله بن جابر – عبدالله بن زيد) ١٩٨١م بالاشتراك مع سكينة الشهابي ومطاع طرابيشي، وجزء (عبادة بن أوفى – وعبدالله ابن ثوب) ١٩٨٢ بالاشتراك مع روحية النحاس ورياض مراد، وهذا المشروع إن لم يكتمل اليوم فإن له كثيراً من المتحمسين الذين ما زالوا يعملون بدأب وصبر لإنجازه وتحقيق أجزائه الباقية منهم من بقي في المجمع ومنهم من يحقق خارج المجمع.

كما شارك في إنجاح مشروع الدراسات العليا بجامعة دمشق – كلية الآداب- وأشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعة دمشق والجامعات العربية الأخرى وقاوم حركة التغريب.. وعمل على دعم الأصالة العربية الإسلامية وإعلاء الأدب الرفيع الأسمى.. فكان نبراس خير وقدوة وسلوك.. ومثلاً أعلى للغيور على العرب والمسلمين.

تعريب التعليم العلمي الجامعي

يولي المجمع قضية تعريب التعليم العلمي الجامعي اهتماماً كبيراً، وكان المجمع قد أصدر في هذا المجال ستة عشر مرجعاً علمياً مترجماً في الرياضيات والفيزياء والكيمياء، وعلم طبقات الأرض من مستوى السنتين الأولى والثانية الجامعيتين.

وقد صدر عن المجمع، حديثاً، كتاب "الكيمياء الحيوية للخلية، وعلم وظائفها" تأليف ن.أ. ادوردز ..و.. ك.أ. هساك، ترجمة الدكتور الياس بيضون، ومراجعة الدكتور عدنان علاوي، وهو الكتاب السابع عشر من الكتب العلمية المترجمة التي أصدرها المجمع.

يقع الكتاب في سبعمئة وخمس وسبعين صفحة، ويشتمِلُ على عشرين فصلاً في الخلية، وعلم وظائفها كالأساس الخلوي للحياة والبروتينات والكربوهيدرات العوامل البيولوجية والأنزيمات، وعلم الطاقة الحيوية، والتركيب الضوئي وحلقة السكاكر الخماسية المفسفرة، وأيض النيتروجين، والكيمياء الحيوية للأحماض الأمينية، واستثارة الخلية العصبية والعضلية والبصرية وما إلى ذلك.

وقد رفع المجمع بنسخ من هذا الكتاب إلى صاحب الجلالة الملك الحسين المعظم، وسمو ولي العهد الأمير حسن المعظم، ودولة رئيس الوزراء ورئيس مجلس الأعيان، ورئيس مجلس النواب.

وبعث بنسخ إلى وزارات التعليم العالي ووزارات التربية والجامعات العربية والمؤسسات العلمية في الوطن العربي.

وقد تلقى المجمع عدداً من الرسائل التي تشيد بجهود المجمع في مجال تعريب التعليم العلمي الجامعي وخدمة اللغة العربية منها:

رسالة دولة رئيس الوزراء

تلقى المجمع الرسالة التالية من دولة رئيس الوزراء السيد زيد الرفاعي بتاريخ ١٧ شعبان ١٤٠٦هـ الموافق ٢٦/ نيسان سنة ١٩٨٦م:

عطوفة الدكتور عبدالكريم خليفة

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

عمان

تحية طيبة وبعد،،

تلقيت بالشكر كتابكم رقم ٢٤٥/٢/١٣/٩ تاريخ ١٩٨٦/٣/٣٠ وبرفقته كتاب "الكيمياء الحيوية للخلية وعلم وظائفها" من سلسلة الكتب العلمية التي قام بترجمتها المجمع وكذلك تقرير المجمع السنوي التاسع لعام ١٩٨٥.

ويسرني بهذه المناسبة أن أنوه بالجهود الموصولة والخدمات الجليلة التي يقوم بها المجمع الكريم والقائمون عليه في سبيل إثراء وإعزاز لغتنا العربية المجيدة كلغة حية تلعب دورها الحضاري مع اللغات الأخرى كما كان شأنها في تاريخها الزاهر.

أكرر الشكر وأرجو لكم دوام التوفيق والنجاح في حمل رسالة المجمع وتحقيق غاياته.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

زيد الرفاعي

رسالة رئيس مجلس الأعيان

تلقى المجمع من دولة السيد أحمد اللوزي، رئيس مجلس الأعيان رسالة برقم ٥٩٩/٨/١٠/٧ تاريخ ١٩٨٦/٤/١٣م، هذا نصها:

سعادة الدكتور عبدالكريم خليفة المكرم

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

إشارة لكتابكم رقم ٣٦٦/٥/٨ تاريخ ١٩٨٦/٤/٢

الموضوع/ كتاب الكيمياء الحيوية للخلية وعلم وظائفها

تلقيت ببالغ الامتنان هديتكم نسخة كتاب (الكيمياء الحيوية للخلية وعلم وظائفها) أحدث ما صدر من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني.

وإني إذ أشكركم ومجمع اللغة العربية الأردني الموقر على هذه الجهود المباركة والالتزام بمبدأ مساندة لغتنا العربية كقاعدة أساسية لوحدة أمتنا وشخصيتها، لأتمنى لكم التوفيق والنجاح لجعل لغتنا لغة التدريس والبحث العلمي في جامعتنا ومؤسساتنا العلمية.

واقبلوا فائق الاحترام

رئيس مجلس الأعيان

أحمد اللوزي

تعريب المصطلحات العسكرية

كان المجمع قد أصدر في مجال تعريب المصطلحات العسكرية: مصطلحات سلاح الصيانة، ومصطلحات سلاح المشاة، ومصطلحات سلاح التموين والنقل، ومصطلحات سلاح الجوّ، وأصدر خلال النصف الأول من هذا العام معجم "مصطلحات سلاح المدفعية".

يقع هذا المعجم في ست وستين صفحة من القطع الكبير، وقد تضمن عدداً من المصطلحات العسكرية المستعملة في سلاح المدفعية، واستعان المجمع في وضعه بعدد من الأخوة العسكريين في القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية.

حرص المجمع على أن يكون المعجم العسكري الموحد، الذي وضعته لجنة الخبراء العسكريين للجامعة العربية، دليلاً له ومرجعاً كبير الأهمية، وكان هدف المجمع من عمله هذا إضافة ما يمكن إضافته إلى المعجم العسكري الموحد، أو تصحيح أشياء أخرى فيه استكمالاً للفائدة.

تعليمات دعم التأليف والترجمة والنشر في المجمع

إن مجمع اللغة العربية الأردني يحرص كل الحرص على الاستمرار في مشروعه الرامي إلى تعريب التعليم العلمي الجامعي، وانطلاقاً من هذا فقد وجه المجمع رسالة إلى أعضاء هيئة التدريس في الكليات العلمية في الجامعات الأردنية يدعوهم فيها للمشاركة في هذا الواجب القومي وإنجاحه، لكي تصبح اللغة العربية لغة التدريس في الجامعات العربية، كما بعث إليهم بتعليمات دعم التأليف والترجمة والنشر التي أقرها المجمع، وفيما يلي نصها:

تعليمات دعم التأليف والترجمة والنشر في مجمع اللغة العربية الأردني

صادرة بموجب المادة (١٣) الفقرة (د) من قانون مجمع اللغة العربية الأردني رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦م

المادة (١) تسمى هذه التعليمات "تعليمات دعم التأليف والترجمة والنشر في مجمع اللغة العربية الأردني لسنة ١٩٨٦"، صادرة بموجب المادة (١٣) الفقرة (د) من قانون مجمع اللغة العربية الأردني رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦م، ويعمل بها ابتداء من ١٩٨٦/٢/١م.

المادة (٢) يكون للكلمات والعبارات التالية أينما وردت في هذه التعليمات المعاني المخصصة لها، إلّا إذا دلّت القرينة على غير ذلك.

المجمع: مجمع اللغة العربية الأردني.

الكتاب: دراسة أو مؤلف أو نصّ محقق عن أصول مخطوطة أو مطبوعة ينشر في مجلد أو مجلدات مفردة.

سعر الكتاب: السعر المثبت على غلاف الكتاب.

اللجنة: لجنة التأليف والترجمة في المجمع.

الصندوق: صندوق دعم التأليف والترجمة والنشر المذكور في المادة التاسعة من هذه التعليمات.

المادة (٣) يدعم المجمع تأليف الكتب وترجمتها حسب ما يلي:

(أ) الكتب التدريسية الجامعية في العلوم البحتة والتطبيقية.

(ب) أي كتب أخرى ترى اللجنة أنها تخدم رسالة المجمع.

المادة (٤) يقرّر المكتب التنفيذي دعم كتاب مؤلف أو مترجم، ومقدار الدعم

بعد الاستئناس برأي اللجنة.

المادة (٥) يتقدم المؤلف أو المترجم إلى رئيس المجمع بطلب دعم نشر كتاب له. وفي هذه الحال:

(أ) يقدم المؤلف ثلاث نسخ من مسودة الكتاب مطبوعة على الآلة الكاتبة في شكلها النهائي.

(ب) إذا اقتنعت اللجنة بأن المخطوطة يمكن أن تكون صالحة فلها أن تحولها إلى محكّم أو أكثر لدراستها وكتابة تقرير يتضمن ما يلي:

(١) مدى الدقة في المادة العلمية وحداثتها.

(٢) مقدار مطابقة المخطوطة لمنهاج المادة أو المواد التي ألفت من أجلها، أو التي ذكر المؤلف أن المخطوطة توافقها.

(٣) لغة المخطوطة من حيث السلامة والدقة والوضوح.

(٤) التزام المؤلف بالمصطلحات العربية والرموز الصادرة عن المجمع أو عن المجامع العربية الأخرى، ومؤتمرات التعريب.

(ج) المجمع غير ملزم بدعم كلّ كتاب يقدّم إليه.

المادة (٦) (أ) تقرّر اللجنة مقدار الدعم ونوعه سواء أكان دعماً مالياً مباشراً أم شراء عدد من النسخ بسعر الغلاف، أم كليهما.

(ب) وفي جميع الأحوال يقدّم المؤلف للمجمع عشرين نسخة من الكتاب المدعوم بعد طباعته.

(ج) للمجمع، في أحوال يراها مناسبة، أن يساعد أيضاً في نفقات تحضير كتاب أو مخطوطة.

(د) وفي جميع الأحوال يقدّم الدعم المالي إلى المؤلف دون سواه.

المادة (٧) للجنة أن تكلف شخصاً أو أكثر تأليف كتاب من أجل استعماله في التدريس الجامعي، وتسري على هذا الكتاب أحكام المادتين الثامنة والتاسعة من هذه التعليمات، وفي هذه الحال يكون المجمع صاحب حق نشر الكتاب.

المادة (٨) تظهر على غلاف كلّ كتاب ينشر بدعم من المجمع، وعلى الصفحة الأولى الداخلية منه عبارة (نشر بدعم من مجمع اللغة العربية الأردني).

المادة (٩) ينشئ المجمع صندوقاً يسمى "صندوق دعم التأليف والترجمة والنشر". ويؤلف له لجنة من ثلاثة أشخاص على الأقل من داخل المجمع أو من خارجه، تدعى (لجنة صندوق دعم التأليف والنشر)، وتكون مهمتها جمع الأموال للصندوق وتنميتها، وتكون مسؤولة أمام المكتب التنفيذي.

المادة (١٠) تتكون موارد الصندوق مما يلي:

(أ) المبلغ الذي يخصصه المجمع لهذا الغرض من ميزانيته كلّ سنة.

(ب) الهبات أو المنح التي تقدّمها الهيئات أو الأفراد داخل الأردن أو خارجه شريطة موافقة المكتب التنفيذي على ذلك.

المادة (١١) رئيس المجمع والمكتب التنفيذي مسؤولان عن تنفيذ هذه التعليمات.

رئيس المجمع، رئيس المكتب التنفيذي

الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

بعث مجمع اللغة العربية الأردني برسالة إلى معالي وزير التربية والتعليم، يقترح فيها أن تتبنى الحكومة الأردنية استضافة الأردن لهذا المركز، وفيما يلي نصها:

معالي وزير التربية والتعليم المحترم

الموضوع: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فيسرني أن أعلم معاليكم أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قد سعت بالتنسيق والتعاون مع مؤتمرات الوزراء العرب المعنيين بالشؤون الثقافية والتعليم العالي والبحث العلمي إلى إنشاء مركز عربي يعنى بالتعريب والترجمة والتأليف والنشر. وقامت المنظمة العربية بإعداد الدراسات اللازمة لهذا المركز، ثم أقرت الدول الأعضاء في مؤتمر وزراء الثقافة ومؤتمر وزراء التعليم العالي والبحث العلمي إنشاء هذا المركز على أن تستضيفه إحدى الدول العربية، وأن تساهم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ميزانيته.

وفي بادئ الأمر استعدت دولة الإمارات العربية لاستضافة هذا المركز، غير أنها ما لبثت أن اعتذرت للمنظمة عن عدم تمكنها من الاستمرار في تنفيذ هذا المشروع مما دعا المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى مخاطبة الدول العربية مجدداً لإبداء رغبتها في استضافة هذا المركز.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأردن يتمتع بكفاءات علمية متخصصة ومتميزة، وبمكانٍ متوسط بين أقطار العالم العربي، وبصلات طيبة بالعالم العربي خاصة والعالم الخارجي عامة، كما أن هذا البلد يبذل جهوداً حقيقية من أجل تأصيل نهضة علمية وتقنية متميزة يكون الفكر العلمي المعرب ركيزة أساسية فيها، ولذا فإن إنشاء مثل هذا المركز في الأردن سوف يحقق الأهداف القومية المرجوة منه، ويتيح له فرصة أفضل للنجاح، كما أنه سيؤدي إلى إغناء الحركة العلمية في الأردن، ورفدها بما يتلاءم ومتطلبات هذه المرحلة وسيؤدي أيضاً إلى استقطاب الكفاءات العلمية والفكرية المتميزة في الأردن للعمل في هذا المركز، وإلى إبراز دور الأردن في النهضة العربية العلمية والثقافيّة المرجوة في العالم العربي، وإلى تنشيط الحركة الاقتصادية في الأردن. وبجانب كون هذا المركز مركز إشعاع لنهضة علمية عربية فاعلة فإنه سيعمل أيضاً على تعزيز مكانة اللغة العربية في جامعاتنا العربية ومؤسساتنا العلمية، وسيكون هو المؤسسة الأولى التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الأردن، وإن استضافة الأردن لمثل هذا المركز أمر حيوي وذو أهمية كبيرة.

وقد استعدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتمويل النفقات الجارية للمركز، وطلبت من الدولة المضيفة أن تقدم مقراً مناسباً للمركز ومطبعة، وإن الالتزامات المترتبة على الدولة المضيفة قابلة للتفاوض مع المنظمة، ومن الممكن اختصارها، وتنفيذها على مراحل حسب ما تقتضيه طبيعة عمل هذا المركز وحاجته، فيمكن تأمين المقر اللازم من خلال المؤسسات العلمية الأردنية، كما يمكن أن تفي مطبعة الجمعية العلمية الملكية بحاجة المركز مبدئياً. وتجدون مع رسالتي هذه صورة وافية عن هذا المشروع، وما دار حوله من مراسلات.

ولهذا كله فإن مجمع اللغة العربية الأردني يقترح على معاليكم تبني فكرة استضافة الأردن لهذا المركز، ويأمل أن يحظى هذا الموضوع بكريم عنايتكم

وحسن اهتمامكم. وفقنا الله جميعاً في خدمة لغتنا العربية الشريفة، وتراثنا العربي الإسلامي المجيد.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام،،،

رئيس المجمع

الدكتور عبدالكريم خليفة

وأرفق المجمع بهذه الرسالة دراسة تضمنت الجهود التي بذلتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في سبيل إنشاء هذا المركز، كما اشتملت هذه الدراسة على الأمور التالية:

١- عرض لسير المشروع

١. قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بوضع مشروع خطة قومية للترجمة تضمنت دراسة جدوى إنشاء "مؤسسة عربية للترجمة والنشر وقدمته إلى المؤتمر الثالث للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية المنعقد ببغداد في نوفمبر/ تشرين الثاني سنة ١٩٨١ فوافق عليه من حيث المبدأ ودعا لاستكماله بمزيد من الدراسات. وبعد إدخال تعديلات على المشروع عرض على المجلس التنفيذي للمنظمة، في دورته الثلاثين بتونس سنة ١٩٨٢ فوافق على الخطة ودعا الدول العربية والمنظمة إلى تنفيذها.

وكان المؤتمر الأول للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي الذي انعقد في الجزائر في شهر مايو/ أيار سنة ١٩٨١ قد أوصى بإعداد دراسة جدوى إنشاء "مركز عربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر" في إطار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ووضع خطة شاملة لمجالات تعريب التعليم العالي. وتنفيذ برنامج يغطي الاحتياجات الملحة في تعريب الكتب والمراجع في مختلف ميادين المعرفة

والعلوم على المستويات الجامعية تأليفاً وترجمة. والعناية بترجمة الأبحاث العلمية المهمة التي تنشر في الدوريات العالمية أو نشر مستخلصات منها.

٢. رأت المنظمة التقارب والتشابه بين المشروعين فعملت على توحيدهما في مشروع واحد، ووضعت دراسة جدوى لمركز يستهدف المساعدة على تعريب التعليم العالي والتثقيف العام وقدمته إلى المجلس التنفيذي في دورته الثلاثين سنة ١٩٨٢ فدعا لاستكمال الدراسة وتقديمها إليه في دورة قادمة وبعد استكمال الدراسة قدمتها المنظمة إلى اللجنة الوزارية المكلفة بمتابعة توصيات المؤتمر الأول في اجتماعها بالجزائر في نوفمبر سنة ١٩٨٢ فأصدرت اللجنة توصية بتعديل بعض الأمور التفصيلية.

ثم عرضت المنظمة الدراسة على المجلس التنفيذي (في دورته الثانية والثلاثين) بدمشق سنة ١٩٨٢ فقرر إحالتها إلى الدول العربية لإبداء الملاحظات عليها. وأيد المؤتمر الرابع للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية المنعقد في (الجزائر سنة ١٩٨٣) قرار المجلس التنفيذي الأخير.

٣. بعد إحالة الدراسة إلى الدول العربية تلقت المنظمة أربعة عشر رداً من ست دول، فتقدمت بالدراسة – مشفوعة بملاحظات واقتراحات الدول العربية – إلى المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي الذي انعقد في الحمامات بتونس بتاريخ ٢٠-١٩٨٣/١٠/٢٢، فأكد على إقامة المركز.

وعرضت دولة الإمارات العربية المتحدة رغبتها في استضافة المركز مع تقديمها المبنى اللازم مع الأثاث والمطبعة فأوصى المؤتمر بالموافقة على استضافة دولة الإمارات العربية للمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر وتفويض المدير العام للمنظمة بالاتصال بالمسؤولين في دولة الإمارات العربية المتحدة لتحديد متطلبات إنشاء هذا المركز، كما أوصى بإحالة دراسة الجدوى إلى

لجنة متابعة توصيات المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي لدراستها وتقديمها إلى المجلس التنفيذي للمنظمة لإقرار برامج المركز وميزانيته للدورة القادمة ١٩٨٤-١٩٨٥.

وعرض الموضوع على المجلس التنفيذي في دورته الثالثة والثلاثين، كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٩٨٣ فرحب بقرار مؤتمر وزراء التعليم العالي بإنشاء المركز ورصد مبلغ ١٠٠،٠٠٠ دولار لتمويل ميزانية المركز.

ثم عرض الموضوع على المؤتمر العام للمنظمة في دورته العادية السابعة ديسمبر/ كانون الأول سنة ١٩٨٣ بتونس فقرر الموافقة على إنشاء المركز ورصد مبلغ ١٠٠،٠٠٠ دولار مساهمة من المنظمة في ميزانيته وقرر شكر دولة الإمارات العربية على استضافتها للمركز.

٤. واستناداً لهذا القرار وضعت المنظمة خطة لإنشاء المركز ومشروعاً لنظامه الأساسي ومشروع اتفاق مع دولة المقر، وكتب بذلك كله إلى الرئيس الأعلى للجامعات في دولة الإمارات واقترحت أن يتم لقاء بين المنظمة والمسؤلين في دولة الإمارات تتم خلاله مناقشة جميع الأمور المتعلقة بإنشاء المركز وتشغيله ووضع النصوص في صيغتها النهائية.

- زار وفد من المنظمة برئاسة المدير العام دولة الإمارات في تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٩٨٤ وجرت مداولات حول المركز والأسس التي تقوم عليها الاتفاقية بين المنظمة ودولة المقر، ووجه المدير العام للمنظمة دعوة إلى الرئيس الأعلى للجامعات لزيارة مقر المنظمة بتونس لإبرام الاتفاقية.

- أبلغت المنظمة المجلس التنفيذي في دورته السادسة والثلاثين في كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٩٨٤ بنتائج المساعي فقرر متابعة السعي لإنشاء المركز. وأكد

المجلس التنفيذي في دورته السابعة والثلاثين في تموز/ يوليو ١٩٨٥ بأن يتابع المدير العام العمل على إحداث المركز.

- وبناء على طلب دولة الإمارات أوفد ممثل للمنظمة في تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٩٨٥ وبحث تفاصيل مشروع الاتفاقية المذكورة واستعراض التزامات الدولة المضيفة والمنظمة لإنشاء المركز.

واعتذرت دولة الإمارات عن استضافة المركز. فأبلغت المنظمة ذلك إلى المؤتمر الثالث لوزراء التعليم العالي والبحث العلمي المنعقد في بغداد في ٢٢-١٩٨٥/١٠/٢٥ فقرر تكليف المدير العام للمنظمة بالاتصال بالدول العربية لمعرفة رأيها في استضافة المركز. وعرض الموضوع على مؤتمر وزراء الثقافة في دورته الخامسة بتونس ٢٦-١٩٨٥/١١/٢٨ فأيد هذا القرار.

ثانياً- أهداف المركز ومهامه

إن الحاجة ملحة إلى قيام مركز للتعريب والترجمة والتأليف والنشر يتمتع بصفتين:

١. أن يكون مركزاً عربياً يحظى بجهد عربي شامل ويستفيد من الطاقات العربية المتوافرة ويستهدف خدمة التعريب والتثقيف العام في الوطن العربي كله ويستند إلى تمويل عربي.

٢. أن يكون مركزاً قادراً من حيث التخطيط والتنسيق والتنفيذ.

ويمكن إجمال أهداف المركز بما يلي:

١. المساعدة على تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
٢. إغناء الثقافة العربية بخير ما ينتجه الفكر الغربي وبخاصة في العلوم الصرفة والفلسفة.

٣. اطلاع القراء باللغات الأجنبية على خير ما في تراثنا العربي.

وتتخلص مهام المركز بالآتي:

١. اعتماد مسح شامل لجهود التعريب التي تمت في الأقطار العربية ويتم الاعتماد على هذا المسح في التخطيط لعملية التعريب.

٢. تنفيذ برنامج يغطي الاحتياجات الملحة في تعريب الكتب والمراجع في مختلف ميادين المعرفة والعلوم على المستويات الجامعية عن طريق الترجمة والتأليف والنشر.

– العناية بترجمة الأبحاث العالمية الهامة التي تنشر في أمهات الدوريات العالمية وإعداد ونشر وتوزيع ملخصات بالعربية عن هذه البحوث.

ويمكن تحقيق هذا الهدف بالتصدّي لترجمة ونشر أمهات الكتب وأفضل المراجع وترجمة الدراسات والبحوث في ميادين الفكر والعلم والأدب والفن بنصوصها الكاملة أو بأخذ مستخلصات منها بغية إغناء الثقافة العربية المعاصرة وتأمين حاجات التعليم العالي بشكل خاص.

كما يقوم بتأليف الكتب والمراجع ووضع الدراسات والبحوث المختلفة ابتداء بما يحتاجه التعليم العالي وانتهاء بما يحتاج إليه سائر القراء.

٣. التنسيق بين مجهودات الترجمة التي تتم في الوطن العربي على صعيد التعليم العالي.

٤. اعتماد منهج لغوي يكفل النهوض بمستوى الترجمة والتأليف من ناحية الأداء والمصطلح.

٥. القيام بطباعة الكتب المترجمة والمؤلفة ونشرها وتوزيعها.

٦. إصدار نشرات شهرية أو فصلية باللغة العربية تشتمل على موضوعات ودراسات وبحوث علمية وأدبية وفنية، وتهتم بقضايا التعريب والتأليف والمصطلحات والشؤون اللغوية المختلفة.

ثالثاً – مبررات استضافة الأردن للمركز

نرى أن يكون الأردن مقر المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر.

فالأردن بلد متوسط بين البلاد العربية وأبوابه مفتوحة للأخوة العرب، وتتوافر فيه الحرية الفكرية المناسبة للنشاط العلمي مما جعله مركزاً نشطاً للمؤتمرات والندوات العلمية والفكرية العربية في السنوات الأخيرة.

– وتتوافر في الأردن – في جامعاته ومجامعه ومؤسساته كفاءات علمية متخصصة مما يوفر قاعدة علمية حسنة للمركز.

– وفي الأردن اهتمام واضح بنقل العلوم والتكنولوجيا، يتمثل ذلك في الندوات والمؤتمرات الكثيرة التي عقدت فيه في هذا المجال. وفي الأردن بدايات حسنة في الاتجاه إلى نقل العلوم والتكنولوجيا والتعريب. فقد قام المجمع بنقل مجموعة من المؤلفات العلمية الجامعية إلى العربية وهو ماض في هذا المنهج، ولدى الجمعية العلمية الملكية قسم يعنى بالعلوم ونقلها، ولدى الجامعة الأردنية توجه إلى الاهتمام بنقل الفكر الغربي إلى اللغة العربية، ولدى مؤسسة عبدالحميد شومان اتجاه مماثل للعناية بنقل العلوم. وتجدر الإشارة إلى أنه شكلت لجنة وطنية من عدد من المؤسسات العلمية لوضع سياسة وطنية لنقل العلم والتقنيات الحديثة إلى العربية منذ تسعة أشهر كل هذا يشعر بأن الظروف في الأردن مهيأة لاستضافة مثل هذا المركز.

– إن هذا المركز سيصبح من المراكز الثقافية والعلمية القومية التي ستستقطب نخبة من المفكرين والعلماء العرب والأجانب المعنيين بالعلوم والترجمة في مختلف النواحي، وسيعطي الأردن دوراً مرموقاً في التعريب ونقل العلوم.

– إن الأردن سيفيد علمياً من وجود المركز، فيما سيعقد من مؤتمرات وندوات ثقافية، مما سيسهم في تنشيط الحركة الثقافية فيه، وسيجد علماؤه وأساتذته مجالات جديدة لنشاطاتهم العلمية، كما أن مؤسساته ستفيد من الخبرات والإمكانيات العلمية العربية، وسيمكنها ذلك من تطوير أساليبها وزيادة فاعليتها وتوسيع رقعة نشاطها.

إن وجود المركز سيدعم عمليات التأليف والنشر وسيشجع الدور والمؤسسات الأردنية العاملة في هذا الميدان وسيصبح الأردن مركزاً له أهمية في عملية التبادل الثقافي والعلمي.

ويتنظر أن يفيد المركز من الإمكانيات التي تتوافر في الأردن من طباعة واتصالات ودور نشر وخدمات ضرورية، مما لا يتوافر في بلاد أخرى كما أنه سيجد في مكتباته وإمكانياته العلمية ما ييسر عمله. وقد يكون في كلّ ذلك ما يفيد في النواحي الاقتصادية.

هذا وسيكون المركز أول مؤسسة من مؤسسات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الأردن.

رابعاً – الكلفة والتمويل

أولاً: جاء في دراسة الجدوى تقدير بالنفقات التي يتطلبها إنشاء المركز وهي:

١. نفقات ثابتة وتشمل:

أ. المباني – وهي مبنى المركز مؤلف من ٢٥ غرفة (مساحتها ٦٠٠م٢) ومبنى المطبعة (مساحته ١٣٠٠م٢)، و ١٠ مساكن لشاغلي الوظائف الرئيسية من خارج المقر.

ب. التجهيزات، وهي تجهيزات إدارية وسيارات ومكتبة قدرت بـ ١٥٠،٠٠٠ دولار.

د- المطبعة وقدرت بـ ٧٥٠،٠٠٠ دولار.

٢. نفقات جارية، قدرت في السنة الأولى بـ ٣٠٠،٠٠٠ دولار وفي السنة الثانية بـ ٥٠٠،٠٠٠ دولار.

ثانياً: باستثناء مبنى الإدارة ومبنى المطبعة والمباني السكنية والتجهيزات الإدارية والفنية التي افترض أن يقدمها البلد المضيف، فإن مصدر التمويل الرئيسي هو الميزانية التي تقررها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أما المصادر الاحتمالية فهي المساعدات والهبات والتبرعات من الحكومات والمؤسسات العامة والخاصة والأفراد، والتي يتقرر قبولها حسب الأصول.

ثالثاً: يلاحظ أن دولة الإمارات العربية عرضت رغبتها في استضافة المركز وتقديم المباني اللازمة للمقر وللسكن مع الأثاث والمطبعة، وتوفير بعض الموظفين، ودعم المركز بمبلغ مالي لمرة واحدة.

وهذا العرض لا يلزم غيرها بل هو موضوع للتفاوض وخاصة وأن الإمكانيات والأوضاع في الأردن تختلف عن دولة الإمارات ويمكن تخفيضها بنسبة عالية، وهنا يذكر:

١- أن المقر يمكن أن يكون في مباني إحدى المؤسسات العلمية.

٢- لا مبرر لقيام البلد المضيف بتوفير المساكن لبعض الموظفين، فهي متوافرة بكلفة معقولة في الأردن، ويمكن اتباع ما هو جار في اتحاد الجامعات العربية.

٣- أما المطبعة، وهي تمثل العبء الأكبر، فيمكن صرف النظر عنها (بناء وأدوات) بوجود مطبعة الجمعية العلمية الملكية، وفي هذا تعزيز لمطبعة الجمعية.

٤- ثم إن المجال قائم لتقليص أعداد الموظفين بنسبة واضحة. ولا موجب لإحداث جهاز كبير ابتداء، بل يحسن الاكتفاء بالضروري من الوظائف ووفق متطلبات العمل، وبإمكان المركز أن يتعامل مع المتخصصين والعلماء في أماكن عملهم في الأساس.

كلّ هذا يعني أن يخضع الموضوع ابتداء للمفاوضة بشكل يجعل المشروع عملياً ويجنب المركز الإنفاق الزائد على الشؤون الإدارية ويوجهه للتركيز على الجوانب العملية ومتطلباتها، وعلى اختصار المراحل.

ندوة اتحاد المجامع اللغوية القادمة

قرر مجلس اتحاد المجامع العلمية واللغوية في جلسته التي عقدها صباح يوم السبت الرابع من رجب سنة ١٤٠٦هـ الموافق ١٥ آذار ١٩٨٦م، أن يعقد اتحاد المجامع ندوة بمقر مجمع اللغة العربية الأردني في عمان في شهر كانون الثاني عام ١٩٨٧م لمناقشة "مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية العربية".

المؤتمر السنوي الثاني والخمسون لمجمع القاهرة

عقد مجمع اللغة العربية في القاهرة مؤتمره السنوي في دورته الثانية والخمسين من ٣ آذار إلى ١٧ آذار من هذا العام، وقد مثل المجمع الأردني في هذا المؤتمر رئيس المجمع الأستاذ عبدالكريم خليفة.

وصدر عن المؤتمر عدد من القرارات والتوصيات منها:

١) يؤكد المؤتمر توصياته السابقة التي تنص على ضرورة العناية باللغة العربية في مراحل التعليم، ولا سيما مرحلة التعليم الجامعي والعالي.

٢) يوصي المؤتمر بضرورة الحرص على تعليم قدر من القرآن الكريم حفظاً وتلاوة وتفسيراً في مراحل التعليم الأساسي.

٣) يوصي المؤتمر بأن يلتزم المدرسون في مرحلة التعليم الأساسي باللغة الفصحى في مختلف المواد حتى تتعود عليها الناشئة مع العناية بعرض مختارات منتقاة من التراث العربي شعراً ونثراً ودراستها، حتى تتمثل الناشئة الصياغة العربية السليمة.

٤) يوصي المؤتمر بنشر ما وضعه المجمع من مصطلحات في مجال الحاسبات الإلكترونية بهدف توحيدها على امتداد الوطن العربي.

٥) يؤكد المؤتمر ضرورة العمل على توحيد المصطلحات العلمية في الوطن العربي ويوصي بتكوين هيئة قومية تتولى إنشاء مركز للمعلومات تسجل فيه جميع المصطلحات العلمية باستخدام الآلات الحاسبة.

٦) يوصي المؤتمر بأن تكون اللغة العربية السليمة لغة المسرح وبخاصة في مسارح الدولة.

٧) يدعو المؤتمر القادة والمسؤولين في الوطن العربي إلى أن يحرصوا على أن تكون خطبهم الرسمية وكلماتهم إلى الجماهير بلغة عربية واضحة.

استقبال الدكتور عبدالكريم خليفة
في مجمع القاهرة

أقام مجمع اللغة العربية في القاهرة حفل استقبال للدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني بمناسبة انتخابه عضواً عاملاً في مجمع القاهرة العتيد، وقد شارك الدكتور عبدالكريم خليفة في جلسات المؤتمر السنوي لمجمع القاهرة في دورته الثانية والخمسين، وقدّم بحثاً للمؤتمر بعنوان: (تيسير تعليم اللغة العربية في التراث).

الموسم الثقافي الرابع لعام ١٩٨٦م

أقام المجمع موسمه الثقافي الرابع لعام ١٩٨٦ في الفترة الواقعة بين الخامس من نيسان والثالث من أيار، وكان الموضوع العام لهذا الموسم يدور حول تعريب العلوم، واشتمل على ثلاث محاضرات وندوتين.

وشارك في هذا الموسم عدد من العلماء الأفاضل من خارج الأردن وداخله، ومن أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني، وفي ما يلي أسماء المشاركين وعناوين محاضراتهم وندواتهم:

١- الأستاذ الدكتور محمود مختار، عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، دور الحاسوب في تعريب العلوم.

٢- الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا، أستاذ علم العقاقير والنبات الطبي في جامعة دمشق، التركيب والانشاب في علم الفلاحة عند العرب.

٣- الأستاذ الدكتور إحسان عباس، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، دور عضو هيئة التدريس في تعريب التعليم العلمي الجامعي.

٤- الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس المجمع
والدكتور عبداللطيف عربيات
والدكتور سليمان عربيات
والدكتور محمد علي حميض
والدكتور عبدالله جراجات

ندوة بعنوان "تعريب تعليم الزراعة في الوطن العربي بين الواقع والتطلع"

٥- الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس المجمع
والأستاذ الدكتور محمود إبراهيم، عضو المجمع
والأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني، عضو المجمع
والأستاذ الدكتور محمد صقر
والأستاذ الدكتور عمر الشيخ

ندوة بعنوان "تعريب العلوم الإنسانية في الجامعات العربية"

وسيقوم المجمع بنشر موضوعات هذا الموسم في كتاب خاص.

وفد اتحاد الجامعات العربية

قام في الثالث والعشرين من كانون الأول لعام ١٩٨٥م وفدٌ من اتحاد الجامعات العربيّة، مكوّن من كلّ من الأستاذ الدكتور نبيه عاقل والأستاذ الدكتور محمد سعيد ومدير العلاقات العامة الأستاذ عصام ماشة بزيارة إلى مجمع اللغة العربية الأردني حيث التقى برئيس المجمع الأستاذ عبدالكريم خليفة، واستمع منه إلى شرح مفصل عن أعمال ومشاريع المجمع في خدمة اللغة العربية وتعريب التعليم الجامعي، ثم اطلع على الوفد على وحدة الحاسوب في المجمع، وعلى المكتبة فيه وقاعة المحاضرات وتأتي هذه الزيارة ضمن التعاون العلمي القائم بين المجمع والاتحاد.